العدد (٧٦) رجب ١٤٢٢هـ - أكتوبر ٢٠٠١م

المعرفة

اليمن السعيد

«يمن بلا قات».. وأمية!



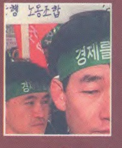
عبدالعزيز الخويطر:

الصحافة تعيش أزمة مع «حفظه الله»!



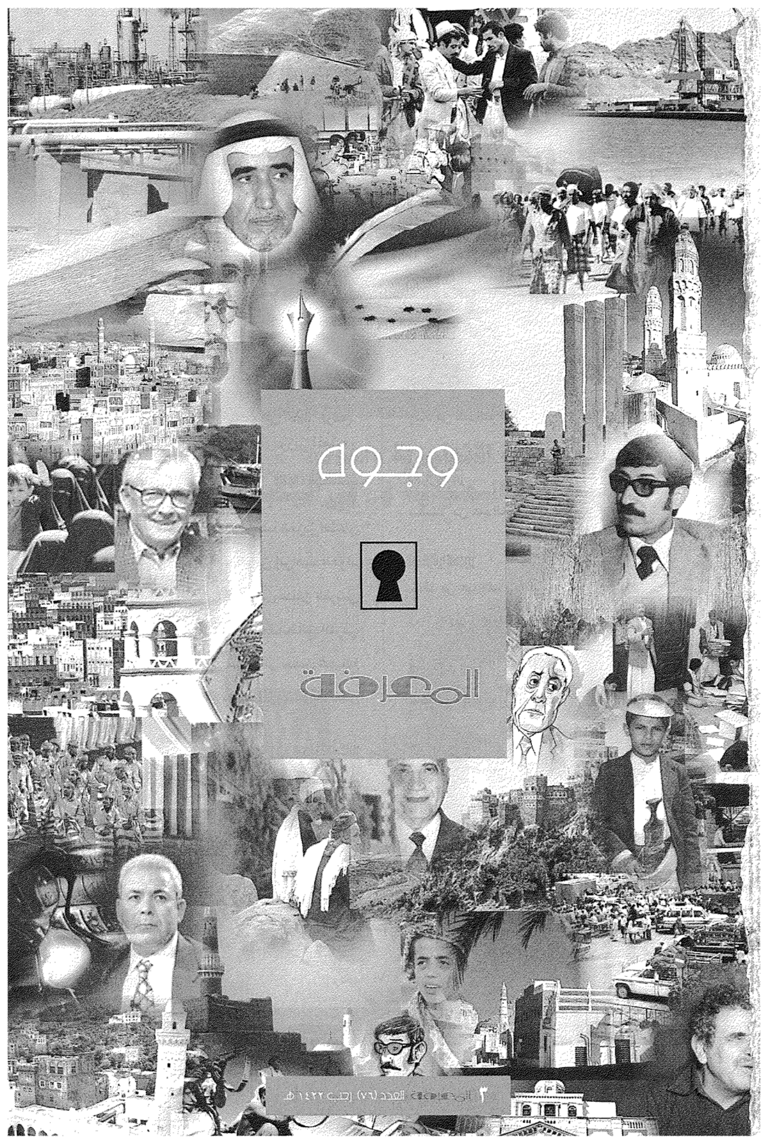
برهان غليون:

العرب ظاهرة «صمتية»



التعليم الكوري:

ألعوبة في أيدي السياسيين!


وجوه
المعرفة



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة المعـارف
المملكة العربية السعودية

العـدد (٧٦) - رجـب ١٤٢٢ هـ - أكـتـوبـر ٢٠٠١م

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عـهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عـبد العزيز
وأعـيد إصـدارها عـام ١٤١٧ هـ في عهـد خـادم الحرمـين الشريفين الملـك فهـد بن عـبدالعـزيز



ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحصة الأولى

بهذا العدد تكمل «المعرفة» عامها الخامس، وتدخل خمسيتها الثانية من عمرها المديد بإذن الله.

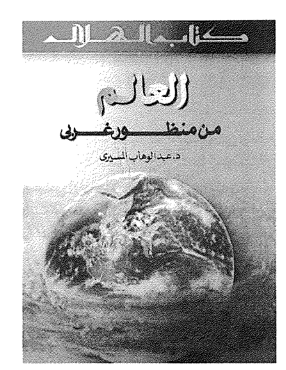
أردنا أن نحتفل بهذه المناسبة فلم نجد وسيلة للاحتفال سوى إجراء تغييرات في الشكل الإخراجي للمجلة من غلافها حتى صفحتها الأخيرة، أما الغلاف فقد سرنا في السابق على نمط الغلاف ذي الموضوع الواحد، وكنا ومازلنا نراه الأفضل والأفخم مهنياً، لكن لم يكن كذلك تسويقياً؛ لأن بعض القراء «الكسالى» حين لا يروق لهم موضوع غلاف لا يكلفون أنفسهم تقليب العدد في الداخل ليطلعوا على الموضوعات الأخرى المتعددة والمتنوعة التي قد تروق لهم، بل يتركون المجلة برمتها على «الرف»!

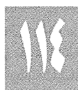
الآن اكتشفنا حقيقة مقولة: «الجمهور عايز كده»! ونأمل ألا يغضب الشكل الجديد لغلافنا قراءنا «الذوّاقة».. فقد آلينا على أنفسنا ألا يدفعنا ضغط التسويق إلى اتخاذ الغلاف «المخبوص» بالعناوين المبعثرة، بل سعينا إلى الجمع بين الذوقين: ذوق الغلاف ذي الفكرة الواحدة مع وجود عناوين متعددة في حيز محدّد.

وإذا كنا نحتفل فقد سعدنا أن يكون ملف عددنا الاحتفالي هذا عن «اليمن»، بلاد الحضارة والتاريخ والأصالة والدهشة.. اليمن أكبر وأوسع من أن يستوعبها ملف في مجلة، لكن هذا الملف نافذة تفتحها «المعرفة» لكم، لتبحثوا عن بوابة اليمن فتزوروها.

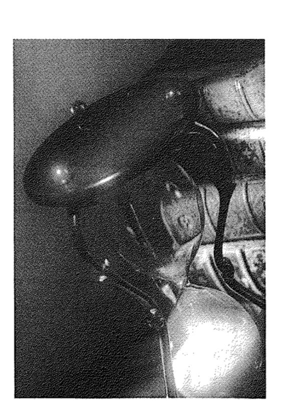
المعرفة

في هذا العدد





دعوة لتأسيس «فقه التحيز»





الفوز الأكبر والملك الأعظم

المراسلات

باسم :رئيس التحرير
ص.ب ٧ - الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277

الأسعار

السعودية: ٨ ريالات، الإمارات: ١٠ دراهم،
الكويت: ٧٥٠ فلساً، البحرين: ٥٠٠ فلس،
قطر: ١٠ ريالات، سلطنة عُمان: ٨٠٠ بيسة،
اليمن: ١٠٠ ريال، مصر: ١.٥ جنيه، المغرب: ٨ دراهم،
سوريا: ١٤ ليرة، الأردن: ٧٥٠ فلساً،
لبنان: ٣٠٠٠ ليرة، السودان: ٣٥ جنيهاً،
أمريكا: ٣ دولارات، بريطانيا: ١.٥ استرليني،
فرنسا: ١٥ فرنكاً.

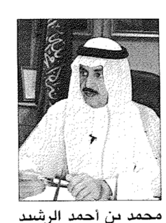
الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي: مئة ريال سعودي للأفراد،
ومئتا ريال للمؤسسات،
بريدياً أوعن طريق شركة التوزيع.
قيمة الاشتراك السنوي خارج المملكة ٤٠ دولاراً
«شاملة أجرة البريد»، (عن طريق الناشر).

الاعلانات

بالاتفاق مع : روناء للإعلام المتخصص

الوطنية للتوزيع


محمد بن أحمد الرشيد

مع بدء العام الدراسي:

تفاءلوا

أبنائي الطلاب،

زملائي المعلمين،

إخواني وأخواتي أولياء الأمور،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله أن يجعل هذا العام الدراسي علينا جميعاً عام يُمْنٍ وبركة، وأن يجعل ما بعده خيراً منه، ونحن نرقى في سلم التقدم الذي نَعِزُّ به في ديننا ودنيانا.

أيها الأبناء الأحباء:

في بداية كل عام أوجه لكم رسالة نابعة من عقلي وقلبي، أرجو أن تصل إلى عقولكم وقلوبكم، فتعوها وتعملوا بمقتضاها؛ أخاطبكم بكل ما عندي لكم من: حب، وإخلاص، وخبرة في هذه الحياة، لأنكم أعز ما لدينا؛ مصدر البهجة والأنس، وراحة القلب والنفس، معقد رجاء، ومحور دعاء، إشراقة أمل، يحثُّه عمل، نرجو لكم من الله فوق ما نرجو لأنفسنا، ولا نبخل عليكم بغال أو نفيس، نبتغي بذلك خيركم في دينكم ودنياكم، وخيرنا في ديننا ودنيانا، فأنتم - بعون الله - صنّاع مجد الوطن، وامتداد أعمالنا الصالحة - بإذن الله - بعد رحيلنا إلى دار البقاء.

تعلمون - أيها الأبناء الأعزاء - أن حكومتكم الرشيدة لم تدخر وسعاً في تيسير سبل العلم لكم، وتذليل صعابه، وأكبر دليل على هذا أن حصة التعليم من الميزانية العامة للدولة في المملكة العربية السعودية تكاد تكون أكبر من حصة التعليم في ميزانية أي دولة أخرى! وهذه النعمة ينبغي أن تقابل بالشكر والعمل الدؤوب. فكم من دولة لم تسمح لها إمكاناتها أن تبذل لطلابها ما يبذل لكم، نبغ فيها كثير من أبنائها، فكانوا علماء وأدباء يشار إليهم بالبنان، تتسابق الدول الكبرى في إغرائهم للعمل فيها، فهل أبناؤنا أقل منهم شأناً واقتداراً؟!

إننا نعدّكم لتكونوا خير بناة لمجتمعكم، تزاحمون بالمناكب أبناء الأمم السباقة، فتعلون راية دينكم، وعروبتكم، ووطنكم، وهذا يتطلب منكم أولاً: صدق الإيمان بالله وحسن التوكل عليه، ثم العمل الذي لا يعرف الكلل للأخذ بنواصي العلوم التي كنا فيها قادة فأصبحنا مقودين، ويجب أن يصاحب هذا - بل ويتقدم عليه - أن تكونوا في حسن الخلق أمثلة يحتذيها الآخرون: في الأمانة، والصدق، والتسامح، والتواضع، وعلو الهمة، والكرم، والنبل، والعفو، والجد، والإتقان، وغير ذلك مما حثنا عليه ديننا الحنيف، وحفلت به آيات كتابنا المجيد، وأحاديث رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم الذي

«كان خُلُقه القرآن»، والذي «بُعث ليتمم مكارم الأخلاق»، والذي بيّن أن حُسن الخلق من علامات كمال الإيمان فقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»، وأوضح أن حسن الخلق عبادة يتقرب بها المرء إلى ربه فقال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» و«وما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء».

فإذا حسُنت أخلاقكم اختفى من بينكم ما نسمع عنه أحياناً من حوادث غير مرضية، وأصبحتم في مدارسكم إخوة متحابين، قرناء خير لا قرناء سوء، تتعاونون على البر والتقوى، ولا تتعاونون على الإثم والعدوان، وأصبح الواحد منكم مرآة لأخيه، ينصحه بالحكمة إذا أخطأ، ويشجعه إذا أصاب. عند ذلك تصبح ذكريات أيام الدراسة عندكم ـ عندما تكبرون وتنطلقون في دروب الحياة ـ أحلى الذكريات وأغلاها، ويصبح زملاؤكم في الدراسة إخوة أو أقرب من الإخوة، إذ «رب أخ لك لم تلده أمك». وهذه أحاسيس وتجارب عشناها وعرفناها، نحن آباءكم. أحاسيس وذكريات عزيزة نحنّ إليها ونشتاق، ونتمنى أن تعود، ولكن هيهات!!

وأذكركم بأن احترام المعلم من آكد الآداب التي حث عليها الإسلام فقد قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه». وقد ضرب لنا الصحابة رضوان الله عليهم في هذا أروع الأمثلة، وكذلك مَنْ بعدهم من سلفنا الصالح. روي أن الصحابي الجليل الفقيه زيد بن ثابت رضي الله عنه كان مع حبر الأمة الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فلما أراد زيد أن يركب دابته أمسك له ابن عباس الركاب ليضع فيه رجله، وقال: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا!

كما أذكركم بأن الطالب الصالح يَعُدّ مدرسته مثل بيته، وصفّه مثل غرفته الخاصة، فيحرص على نظافتهما وترتيبهما، ولقد رأيت ـ كما ذكرت في أكثر من مناسبة ـ في إحدى زياراتي لبعض البلدان مدارس لا يوجد فيها عمال نظافة، يقوم طلابها بتنظيفها والعناية بها، لما ربوا عليه في بيوتهم ومدارسهم!!

أيها الزملاء المعلمون:

إن فاقد الشيء لا يعطيه؛ فالجاهل لا يستطيع أن ينفع الناس بعلمه، والضعيف لا يقدر أن يعين الناس بقوته، والفقير لا يتمكن من مواساة المحتاجين بماله... وأنى للمعلم أن يرقى بالمتعلم، وللمربي أن ينهض بالمتربي إذا لم يكن رأسماله من العلم والخلق يسع المتعلمين والمتربين؟ وإن ضعف الطالب يكون ـ أحياناً ـ دليلاً على ضعف المطلوب!

إن المعلم الناجح يصطاد قلوب طلابه بلطفه وحسن خلقه، وبحبه لهم، وحنوهّ عليهم، وينال إعجابهم واحترامهم بتمكنه من مادته التي يعلّمها، وبراعة إيصالها لهم، وبأن يكون لهم القدوة الحسنة: يصدق فعله قوله، فلا يكون قوله في جانب، وسلوكه في جانب آخر، فإذا أحبّ المعلم عمله وأخلص له، وجد المتعة فيه، وهانت عليه صعوباته، وإذا أحب الطالب معلمه، واحترمه بدافع من هذا الحب، وهما شيئان لا يشتريان بالمال، ولا يفرضان بالعصا، إنما ينالان بالحكمة، وبالرفق الذي قال فيه رسولنا المعلم عليه أفضل الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»، إذا حصل هذا الحب والاحترام في نفس الطالب أحب المادة لحبه معلمها، واستسهل صعبها، وتألق فيها، فانظروا عظم المسؤولية الملقاة على عواتقكم!

قال الحافظ المؤرخ الخطيب البغدادي رحمه الله، في كتابه «الفقيه والمتفقه»، متحدثاً عن آداب المعلم: «يلزم الفقيه (أي المعلم) أن يتخير من الأخلاق أجملها، ومن الآداب أفضلها، فيستعمل ذلك مع البعيد والقريب، والأجنبي والنسيب، ويتجنب طرائق الجهال، وخلائق العوام والأرذال». وروى عن الفضيل بن عياض رحمه الله قوله: «إن الله يحب العالم المتواضع، ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله ورّثه الله الحكمة. وينبغي (للمعلم) أن يعوّد لسانه لين الخطاب، والملاطفة في السؤال والجواب».

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يبعثني معنتاً (أي: مسبباً للمشقة) ولا مُتعنتاً (أي: طالباً زلات الآخرين)، ولكن بعثني معلماً ميسراً».

وكان بعض التابعين من الغلمان الصغار يأتون أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ليعلمهم، فيرحب بهم، ويقول: مرحباً بمن أوصى بهم رسول الله ﷺ فقال: «إنكم ستفتحون البلاد، فيأتيكم غلمان حديثة أسنانهم يتفقهون في الدين، فإذا جاؤوكم فأوسعوا لهم في المجلس، وأفهموهم الحديث، وأحسنوا تعليمهم».

وأحمد الله أن أكثر معلمينا على خير كثير؛ رأيتهم بعيني، وسمعتهم بأذني، وشعرت بالاعتزاز بهم، وبما يتحلون به من خلق حسن، واقتدار، وكفاية.

أيها الإخوة والأخوات من الآباء والأمهات:

إن بيوتكم هي المدرسة الأولى لأولادكم، ولن تجدوا إنساناً - معلماً أو سواه - يحب أولادكم كحبكم، ويخلص لهم كإخلاصكم، وإن السنوات الأولى من عمر الطفل هي مرحلة ذهبية وقاعدة خصيبة لتربيته، وتعليمه، إن ضيعها الأبوان فقد ضاع على الطفل خير كثير. لا تنتظروا من المدرسة كل شيء؛ لأن المدرسة لا تنتظر منكم كل شيء، فالتربية والتعليم في البيت ركن، وفي المدرسة ركن آخر، وتأتي بعدهما سائر الأركان. إن المدرسة بمعلميها، وإدارتها، شريكة للأبوين في العملية التربوية التعليمية، ولا بد لكل شريك من أن يؤدي واجبه كاملاً غير منقوص، بحسب استطاعته؛ حتى تثمر الأعمال، وتتحقق الآمال.

إن هذا العقد الذي نعيش فيه، يكاد لا يشبهه عقد آخر في تاريخ الإنسان على هذه الأرض: في عالم الاتصالات، ووسائل الإعلام، والعولمة، وانهيار الحدود والسدود. وهذا يضاعف علينا جميعاً المسؤولية أمام الله أولاً، ثم أمام أنفسنا، وأمام الجيل القادم: صغار اليوم كبار الغد إن شاء الله، فشتان بين قولهم عنا: رحم الله آباءنا وأمهاتنا؛ لقد بذلوا وما بخلوا: من ذوب أنفسهم، وحبهم، وعطفهم، ووقتهم، وجهدهم، ولم يطاوعونا - صغاراً - فيما نريد فوصلنا - كباراً - إلى ما نريد، وبين قولهم: غفر الله لهم، لقد أهملونا، ولم يمنحونا من وقتهم ما نحن أحوج إليه من مالهم، وأطاعونا فأضاعونا!!

وليسمح لي إخواني الإعلاميون - في ميادينهم كافة - أن أقول لهم: لقد أخرجت الفضائيات كثيراً من الأمور من أيديكم وأيدينا، لكن لايزال أمامنا مجال لتقديم البدائل الصالحة، إذا توفر فيها الإبداع والتشويق حققت الكثير.

أما الصحافة، التي نحترم ما يكتب فيها مما ينفع الناس ويمكث في الأرض، ونشيح عما سواه، هذه الصحافة الجادة المخلصة نرحب بنقدها البناء، ونصيحتها الصادقة، وندعوها إلى عدم التسرع في نشر ما لا تتثبت من صحته؛ فهناك الكثير مما يسعد ويبهج في مجال التعليم ويحتاج إلى تشجيع، وهناك الأخطاء التي لا يسلم منها أحد. وتصيد الأخطاء، وتكبيرها وإهمال الحسنات وتصغيرها، ليس من العدل والإنصاف في شيء.

أما بقية منسوبي وزارة المعارف في قطاعاتها المختلفة: في شؤون الطلاب، والاختبارات، والتطوير التربوي، والإشراف والنشاط المدرسي، وإدارات التعليم وإدارات المدارس والكشافة.. وما إلى ذلك، فإني أقول لهم: أنتم جنود مجهولون تعملون إرضاء لربكم أولاً، ولضميركم ثانياً، فاقبلوا النصيحة واعملوا بها، أما ما هو مناف للحقيقة مجاف للصواب فلا تبتئسوا به، وواصلوا العمل والعطاء، وصححوا للناس المعلومات والانطباعات الخاطئة، ولا يصدنكم عن ذلك الذين لا يعلمون.

أيها الأبناء الأحباء، أيها الزملاء الأوفياء، أيها الإخوة والأخوات، أدعو نفسي وأدعوكم في بداية هذا العام الدراسي الجديد إلى تصحيح النية، والتفاؤل، وعقد العزم، والتوكل على الله، والتعاهد على التعاون والتآزر والتناصح، والتحلي بالأخلاق الكريمة، والآداب الحميدة، نطبقها في أنفسنا، ندعو إليها، فلا خير في علم دون خلق:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أدام الله على هذه البلاد نعمه، وأعاننا على شكرها بما يرضيه عنا، وجزى عنا أولياء أمورنا جميعاً خير جزاء وأوفاه، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله. ■

اليمن السعيد

تقرأ في الملف:



- **نسبة الأمية في الشطر الشمالي تقدر بـ 75% بين الذكور، و98% بين الإناث.**



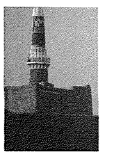
- **الوحدة اليمنية تتمتع بخصوصية تميزها عن التجارب الوحدوية العربية المعروفة.**



- **القات يهدر 14,622,000 مليون ساعة عمل يومياً.**



- **يهود اليمن.. يتحدثون العربية برطانة يهودية.**



- **الذهنية التوفيقية حاضرة بشكل بارز في خطاب الإمام الشوكاني.**

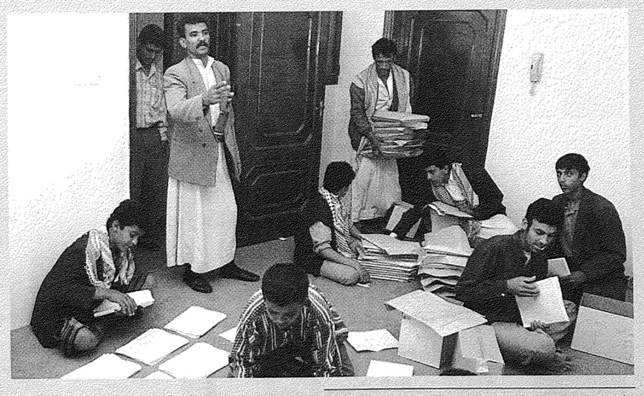
التعليم في اليمن:

الأمية العائق الأكبر

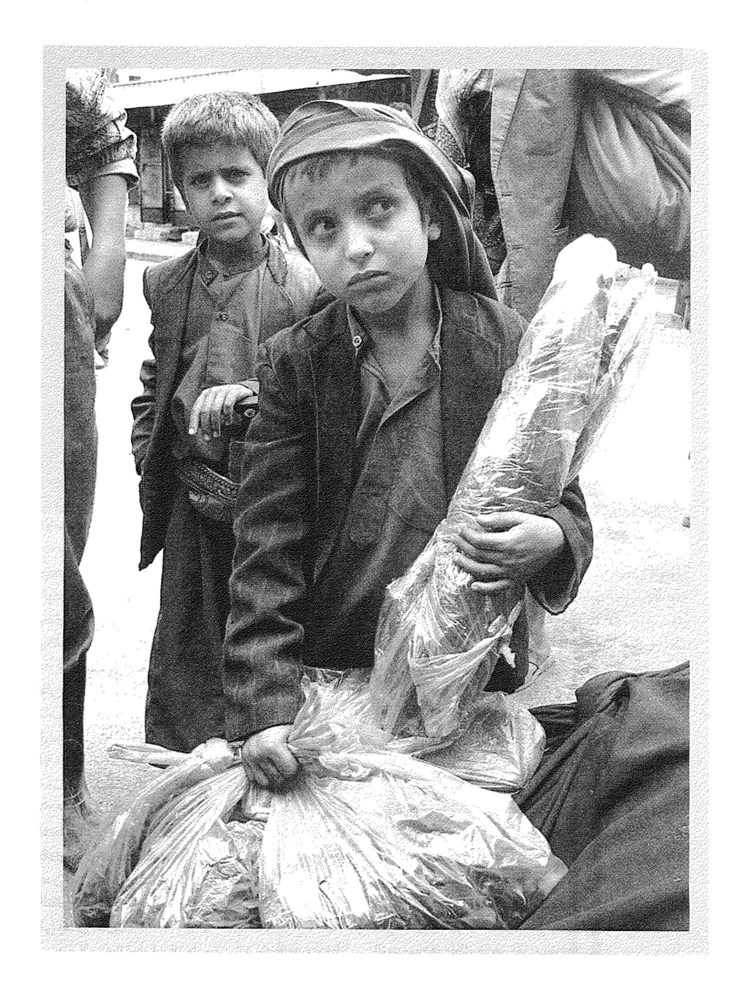
حميد العواضي *
صنعاء

ما انفك التعليم هماً يشغل الأمم، وأمراً لا يتوقف الخوض فيه عند حد. والتعليم في اليمن لا يخرج عن هذا القانون المتعارف عليه دولياً. وربما أن قضية التعليم في اليمن تكتسب وضعاً خاصاً قياساً بغيرها من الدول لأسباب عدة، من أهمها: أن التعليم بمفهومه الحديث لم يدخل اليمن إلا متأخراً، ولأن اليمن يعاني وضعاً اقتصادياً وسكانياً صعباً.

وسوف نحاول أن نسلط الضوء على هذه القضية منطلقين من خلفية تاريخية، ثم نبسط للوضع المأساوي الذي ظل يعانيه الشعب اليمني ردحاً من الزمن تحت وطأة التشطير، ثم نعرض لنظام التعليم ومناهجه ومستقبله.



* أستاذ مساعد بجامعة صنعاء، رئيس تحرير الموسوعة اليمنية.



كانت المساجد منارات للعبادة ودوراً للتعليم معاً. ففيها تقام الصلوات وحلقات التدريس جنباً إلى جنب. وأخذت المدارس تشتهر رويداً رويداً وتأسست «أربطة» للعلم و«هِجَر» و«معاقل» يأتيها المتعلمون من كل حدب وصوب. وبرزت أسماء مدن كبيرة مثل زبيد، وتعز، وجبلة، وصنعاء، وذمار، وصعدة، وتريم، وسيئون، وغيرها.

واستمر الحال على ما هو عليه حتى منتصف القرن العشرين. وكان العالم قد تجاوز هذه المدارس إلى جامعات ومؤسسات علمية تطبيقية ومناهج عصرية في حين ظل التعليم مقصوراً في اليمن على علوم الفقه واللغة. وبقي في «المِعْلامات» أو الكتاتيب محدوداً في أولياته الأساسية القراءة والكتابة والحساب في صورها البدائية.

وكرس هذا الوضع المأساوي أن اليمن في جنوبه قد ابتلي بالاستعمار البريطاني الذي أدخل البلاد في حلبة صراع وأفقدها القدرة على البناء والإمكانية للتفرغ للعلم والعمل. وابتلي شمال اليمن بحكم عزل البلاد عن كل جديد في العالم، وفرض عليها طوقاً حديدياً فلم تتمكن من رؤية ما يجري في البلدان الأخرى.

الاستعمار والتعليم

يعد أن احتل الإنجليز عدن سنة ١٩٣٩م واتساع سيطرتهم على جميع السلطنات في الشطر الجنوبي من اليمن، وبعد رحيل الأتراك من الشطر الشمالي من اليمن سنة ١٩١٨م ظل اليمن في شطريه يقبع تحت وطأة الجهل والتجهيل.

فالاستعمار البريطاني في الجنوب قد قصر اهتمامه على الموقع العسكري والاقتصادي لمدينة عدن وركز على تأمين المحافظة عليه. ولم يكن التفكير في نشر التعليم من أولوياته. إلا أن بعض المبادرات التي كانت ترمي في الأساس إلى خدمة الاستعمار والعاملين في خدمته قد أخذت تبرز. فقد أنشئت أول مدرسة حكومية نظامية عام ١٨٥٦م وأغلقت ثم أعيد فتحها عام ١٨٦٦م وهو التاريخ نفسه الذي افتتحت فيه أول مدرسة عربية. وتنوعت المدارس في العهد الاستعماري مع انحصار معظمها في عدن بين مدارس تبشيرية ومدارس الجاليات وبقاء التعليم التقليدي «المِعْلامات» وهي ما يعادل الكتّاب أو (الكتاتيب) في بلدان أخرى.

وخلاصة القول أن التعليم في الشطر الجنوبي إبان الاستعمار لم يحظ بأي اهتمام ولم يكن له أي جهاز إداري لتطوير المدارس والمعاهد ورفع المستوى الثقافي.

أما في الشمال فإن الوضع لم يكن أفضل حالاً، إن لم يكن أسوأ، فقد ظل التعليم التقليدي هو السائد، ولم تكن هناك سوى بعض المبادرات الفردية التي قام بها بعض المتنورين في إدخال نظم تعليمية حديثة. ولعل أهم وأشهر مدرسة عليا يمكن ذكرها في هذا السياق هي دار العلوم التي أنشئت في صنعاء عام ١٩٢٥م.

وظل التعليم منحسراً عن المجتمع، ومقصوراً على فئة من أبناء أعيانه، كما ظل منحصراً في بعض المدن الرئيسية وبشكل أقرب إلى التقليدي منه إلى العصري. حتى قيام الثورة عام ١٩٦٢م والاستقلال عام ١٩٦٧م.

وبعد ثورة اليمن وتمردها على أساليب الانطواء والعزلة تحت مبررات الحفاظ على القيم، وكذلك بعد استقلالها من الاستعمار، انتقلت إلى عصر جديد قوامه الأولوية المطلقة للتعليم باعتباره قادح زناد النهضة التي تنشرها اليمن في مختلف المجالات. ويفهم في محور هذه القضية أن التعليم بدأ في العقد السادس من القرن العشرين ولم يبدأ قفزاً وإنما سار بطيئاً متئداً تعوقه الإمكانات وتعرقله الصعوبات المادية. لكن ذلك لم يمنع قافلة التعليم من المضي قدماً في اتجاهات متعددة.

فقد عملت اليمن ـ شمالها وجنوبها ـ من أجل الوصول إلى غاية واحدة هي تعويض سنوات الحرمان ومحاولة اللحاق بركب الإنسانية المتقدمة. غير أن كل شطر سلك طريقاً ارتضاه له نظامه السياسي، ارتكز على خلاف أيديولوجي مع الشطر الآخر. وهو ما أفضى إلى:

- اختلاف المرتكزات الفلسفية التي يقوم عليها التعليم.
- اختلاف الأولويات التي تهدف إليها العملية التعليمية.
- اختلاف نظام التعليم وتباين نسق هيكليته.
- اختلاف بقية مكونات النظام التعليمي والتربوي.

ولا ينبغي المبالغة في بيان هذا الاختلاف؛ لأن قواسم مشتركة بين النظامين التعليميين ظلت باقية وإن فشلت بعض المحاولات في إيجاد كتاب تاريخ مدرسي واحد.

غير أن قاسماً وجدانياً وتاريخياً لم يقع الاختلاف عليه مطلقاً هو وحدة اليمن وواحديته أرضاً وشعباً. فقد ظل هذا المبدأ مقدساً تتشربه الأجيال وتتربى في حياضه. وهو ما كفل سرعة التكليف مع مقتضيات دمج النظامين التعليميين في نظام واحد بعد تحقيق الوحدة.



"ظل التعليم منحسراً عن المجتمع ومقصوراً على فئة من أبناء أعيانه، حتى قيام الثورة عام 1962م"

التعليم الموحد في اليمن الموحد

لقد كان لتحقيق وحدة اليمن في ٢٢ مايو (أيار) ١٩٩٠م أثر مهم في نفوس أبناء الشعب اليمني، وبذلك تحقق حلم الأجيال الذي طالما راودهم في قاعات الدرس وخارجها. وعكفت حكومة الوحدة على العمل من أجل توحيد التعليم بكل مراحله في نظام تعليمي متسق ومتطور ومرن وقادر على قيادة الأجيال إلى القرن الواحد والعشرين.

وفي عام ١٩٩٢م صدر القانون الخاص بالتربية والتعليم وحدد الفلسفة التربوية التي يرتكز عليها النظام التعليمي في اليمن في الآتي:

- الإسلام كإطار لتنظيم الجوانب العقائدية والفكرية والتشريعية للمجتمع.
- مبادئ الثورة اليمنية باعتبارها حصيلة كفاح الشعب اليمني ضد الظلم والطغيان والاستعمار والتجزئة.
- دستور الجمهورية اليمنية باعتباره الوثيقة التشريعية المرجعية منذ قيام دولة الوحدة.
- طموحات الشعب اليمني في مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي ورفضه التخلف بكل أنواعه وأشكاله، وتطلعاته لإقامة مجتمعه الجديد.
- التراث العربي الإسلامي وما قدمته الحضارة العربية الإسلامية من مساهمة حضارية في الحضارة الإنسانية.

وتحددت على ضوء هذه المرتكزات جملة من الأهداف العقائدية والفكرية والعقلية والأخلاقية والمهنية والوظيفية والصحية والبدنية والاجتماعية والفنية والجمالية يعمل النظام التعليمي والتربوي على ترجمتها عملياً.

وفي هذا العام ٢٠٠١م تم إدماج ما كان يعرف بهيئة المعاهد العلمية في نطاق التعليم العام التابع لوزارة التربية والتعليم.

نظام التعليم في اليمن

تشـرف على نظام التـعليم في اليـمن ثلاث وزارات أساسية هي: وزارة التربية والتعليم وتختص بالإشراف على التعليم العام في مرحلته الأساسية والثانوية، ووزارة التعليم الفني والتدريب المهني وتشرف على التعليم التقني في مـختلف مراحله، ثم وزارة التـعليم العـالي والبحث العلمي التي تعمل في نطاق المجلس الأعلى للجـامعـات اليمنية مع الإشراف على التعليم الجامعي في البلاد. كما تقـوم بعض الوزارات الأخـرى في الحكومـة على أنواع معينة من التعليم الداخلي في نطاق اختصاصها الوثيق.

احتضنها الجامع الكبير في صنعاء:

الحلقات التعليمية في عصر الشوكاني

حمود بن علي منصور
ـ صنعاء

تفخر بعض المدارس الأهلية في اليمن بأن السعة القصوى لفصولها لا تتجاوز ثلاثين تلميذاً.. وفي المدارس الحكومية يراوح العدد بين الستين والمئة للفصل الواحد.. وفي كلتا الحالتين يدخل المدرس المبرمج إلى فصول مبرمجة عند طلاب مبرمجين يتلقون مناهج تعليمية مبرمجة.

والنتيجة تخريج أعداد كبيرة من المبرمجين يندر أن تجد بينهم متميزاً، ولذلك كثر الخريجون وقل المتميزون.

عودة إلى الوراء للمقارنة.. إلى التعليم في الماضي.. وسنكتفي بالتعرف على جانب من التعليم في الجامع الكبير بصنعاء متخذين من عصر الشوكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ) نموذجاً لذلك.

وصف الجامع

يعد الجامع الكبير بصنعاء أول جامع بني في اليمن على عهد رسول الله ﷺ، وقد بني بجوار أجزاء من مباني قصر غمدان أو بجوار القصر ذاته[١]، ولا ندري كم كانت مساحته ولا كيف كان

وبغض النظر عن الجهات المشرفة فإن العملية التعليمية باليمن تستهدف في الأساس تحقيق تربية شاملة متجددة تسهم في تنمية الجوانب الروحية والخلقية والذهنية والجسمية للمواطن، وإكسابه القدرة على الإسهام في إيجاد مجتمع متعلم ومنتج. وتهدف العملية إلى غرس القيم الإسلامية السمحة في نفوس الناس وإشاعة روح الإسلام الحنيف القائم على احترام الحقوق وأداء الواجبات. وجملة أخرى من الأهداف التي لا يخلو منها أي نظام تعليمي.

والواقع أن النظام التعليمي بقدر ما يمثل حالة متطورة لما كان عليه قبل سنوات فإنه مازال بحاجة إلى مزيد من التطور والتنويع والامتداد والتركيز على الاختصاصات النوعية العلمية.

ويمكن إجمال مفاصل النظام التعليمي اليمني في المراحل التتابعية والنوعية التالية:

مرحلة الحضانة ورياض الأطفال، المرحلة الأساسية، المرحلة الثانوية، التعليم الجامعي، التعليم الفني والمهني، التعليم غير النظامي ومراكز محو الأمية.

„ يعاني التعليم الأساسي ظاهرة التسرب المدرسي وظاهرة الرسوم، واختلال نسبة الالتحاق بين الجنسين “

مرحلة الحضانة ورياض الأطفال

وهي المرحلة الجنينية للعملية التعليمية ويلحق بها الطفل من سن ٣ سنوات إلى ٦ سنوات، وتكتسي أهمية كبيرة وخطيرة لما تغرسه في نفس الطفل من القيم والسلوكيات التي ستوثر حتماً على مستقبله التعليمي. وقد نص القانون العام للتربية والتعليم على اعتبار أن ما تهدف إليه هذه المرحلة هو تطويع الطفل على حب العلم وتهيئته للمراحل التالية من التعليم من الناحية الصحية والاجتماعية محباً للتعاون مع الأطفال الآخرين.

ورغم هذا النص القانوني إلا أنه ليست شرطاً لازماً للالتحاق بالمدرسة، بل إن هذه المرحلة من التعليم مازالت في وضع صعب للغاية يمكن النظر إليها من زاويتين: حضانة ورياض الأطفال بالمفهوم العصري، أي تلك المؤسسات التعليمية ذات التجهيزات المناسبة والمشرفون المؤهلون والمنهج المحدد وهذا لا يتوفر إلا في القليل القليل منها والمنتشرة خصوصاً في المدن الرئيسية. أما الزاوية الثانية فهي تعليم الأطفال بالمفهوم التقليدي، ويتم ذلك لتحفيظ القرآن فقط في المساجد والمدارس وبعض



شكله(٢).. فقد كانت المساجد غالباً مبسطة محدودة الحجم.

أما المسجد الحالي فقد تم بناؤه بعد انهيار المسجد السابق بسبب السيول عام ٢٦٥هـ. وقد أعاد بناءه - بشكله الحالي - الأمير محمد بن يعفر بن عبدالرحمن الحوالي بعد عودته من حج موسم ٢٦٥هـ(٣).

ومن الواضح أن جميع أحجاره السوداء وغيرها.. وكذلك أعمدته الداخلية وأعمدة الأبواب جميعها من بقايا قصر غمدان وملحقاته. ويتكون المسجد من مقدمة وجانب شرقي وجانب غربي ومؤخرة ومرافق. ومن مرافقه مكتبتان (الشرقية والغربية) وقد نقلت المكتبة الشرقية إلى مبنى مستقل مرتبط بالجانب الغربي للمسجد. وفي المكتبتين ثروة طيبة من المخطوطات منها ما لم يحقق أو ينشر بعد، وهي أمنية أن يتبنى أحد المراكز المختصة تصوير ◄

المنازل. وهذا هو الشكل التقليدي الذي يسبق الالتحاق بالمدرسة الأساسية. ويتولى الإشراف على هذا النوع بعض الفقهاء وعلماء الدين والجمعيات الخيرية.

وهذان الشكلان من التعليم قبل المدرسي لما يدخلا دخولاً مباشراً تحت إشراف وزارة التربية والتعليم، ولا يوجد منهج خاص لهذه المرحلة، ومعظم الاهتمام بها يقوم به القطاع الخاص وتستفيد منه بعض الأسر في المدينة.

المرحلة الأساسية

التعليم الأساسي هو النواة الأولى في سلم التعليم اليمني، ويبدأ من سن السادسة ليمتد إلى تسع سنوات. ورغم أن العمل بنظام التعليم الأساسي قد تم بدمج سريع وشامل لفصلين مهمين في التعليم هما المرحلة الابتدائية (٦ سنوات) والإعدادية (٣ سنوات) ابتداء من عام ١٩٩١م وبغض النظر عن المشكلات التي ترتبت على هذا التطور في سلم التعليم فإن التعليم الأساسي يستوعب الآن نحو ٨٣,٨٪ من إجمالي تلاميذ هذه المرحلة يبلغ حوالي ٣,٣٤٨,٠٠٠ تلميذ تمثل نسبة الإناث منهم ٣٤,٢٪ وهي نسبة قليلة أخذت الدولة في علاجها عن طريق حوافز الإعفاء من الرسوم الرمزية التي تدفع، وعن طريق تشجيع الفتيات والأسر على أهمية الالتحاق بالتعليم الأساسي. ويبلغ عدد المدرسين في هذه المرحلة ١٤٣ ألف مدرس.

ويعاني التعليم الأساسي ظاهرة التسرب المدرسي بالدرجة الأولى وظاهرة الرسوم «الرمزية» بالدرجة الثانية، واختلال نسبة الالتحاق بين الجنسين وفقاً للريف والحضر وهو ما سوف نبينه لاحقاً.

المرحلة الثانوية

وهي المرحلة التي تستقبل مخرجات المرحلة الأساسية وتمتد إلى ثلاث سنوات، وتنقسم إلى تعليم ثانوي عام وفيه القسم العلمي والأدبي، وتعليم ثانوي متخصص: تجاري، صناعي، زراعي، بيطري. كما أن هذه المرحلة تؤهل المعلمين والمعلمات. وكما يتضح من هذا الإيجاز فإن المرحلة الثانوية هي مرحلة اختيارات متعددة أمام التلميذ وتعد مفصلاً مهماً من مفاصل النظام التعليمي لما تتيحه

" نسبة الأمية في الشطر الشمالي عام 1981م تقدر بـ 75% بين الذكور، و98% بين الإناث "

الحلقات التعليمية في عصر الشوكاني

جميع محتوياتهما لمزيد من الحفظ والتوثيق. ولتسهيل الوصول إليها للباحثين والمحققين والمهتمين بالنشر. وياحبذا لو أدخلت في (الإنترنت).

في وسط الجامع ساحة مربعة واسعة مكشوفة، تحيط بالجامع شوارع ضيقة من ثلاث جهات وزقاق من الجهة الغربية. وكان المسجد بمثابة جامعة مفتوحة ومبسطة وغير مكلفة مالياً.

الحلقات التعليمية:

قسَّم العلامة الشوكاني التعليم إلى ثلاث مراحل:

- مرحلة القراءة: تعلم القراءة والكتابة ومطالعة الكتب بأنواعها.
- مرحلة الطلب: يتلقى الطلاب علوماً تخصصية بمشاركة واعية.
- مرحلة الاجتهاد: وهي خاصة بالعلماء.

المرحلة الأولى: تتم في أي مسجد يتوفر فيه المعلم والتلاميذ.

المرحلة الثانية: يذهب الطلاب إلى علماء بارزين يتلقون عندهم ما يتقنونه من علوم. وهذه لا تكون إلا في مساجد معلومة وهي تشبه المرحلة الثانوية والدراسة الجامعية في أيامنا.

المرحلة الثالثة: لا تتوفر إلا في الجامع الكبير.. الذي يسميه الشوكاني الجامع المقدس(٤) ويسميه القاضي الأكوع «الجامعة»(٥). وهي تشبه الدراسات العليا (دبلومات ما بعد الجامعة وماجستير ودكتوراه وبحوث الترقية للأساتذة).

من تأهيل نوعي وتخصصي.

ويبلغ عدد الملتحقين بالتعليم الثانوي العام حوالي نصف مليون تلميذ، منهم ٢٩,١٪ من الإناث. والواقع أن نسبة الإناث تضاعفت خلال العقد الماضي (من ٢٠ ألف تلميذة عام ٩٠ / ١٩٩١م إلى ٩٤ ألف تلميذة عام ٩٩ / ٢٠٠٠م). أما عدد المدرسين في هذه المرحلة فيبلغ حوالي ١٢٦ ألف مدرس.

التعليم غير النظامي ومراكز محو الأمية

لقد بدأ العمل بالتعليم غير النظامي وبرامج محو الأمية منذ منتصف الستينيات. وكانت نسب الأمية لا تستند في التقديرات إلى دراسات إحصائية دقيقة. وقد أوضحت الدراسات أن نسبة الأميين في الشطر الجنوبي عام ١٩٧٣م ٤٦,٢٪ من إجمالي السكان، وأن الأمية تزداد انتشاراً في أوساط النساء، أما في الشطر



جميع المراحل تأخذ طابع الحلقة في طريق التدريس، ونظام الحلقات نظام مرن جداً ليس مملاً، فهو لا يخضع للأنظمة الصارمة المعمول بها في زماننا.. يستطيع الطالب أن يحضر متى أراد وينسحب متى يشاء.. ليس في حاجة إلى الاستئذان عند الانضمام إلى الحلقة أو الخروج منها في أثناء الدرس.. ولا توجد سبورة.. ولا واجبات مدرسية.. ولا تضييع للوقت في تهدئة التلاميذ ومسح السبورة وكتابة عناصر الدرس، وعقاب المشاغبين والمقصرين.. ولا يدخل التلميذ في صراع مع مدرسه قد تكون الغلبة فيه للتلميذ إذا كان مدعوماً. فالمعلم يحظى بالاحترام والتقدير والمحبة من الجميع. ويستطيع أي تلميذ أن يلتحق بأي حلقة في أي مسجد في أي وقت من السنة[٦] دون شروط، ودون شهادات ودون تعميد لها للإقرار بصحتها. ولن يحتاج إلى شهادة صحية ولا شهادة تسنين ولا زي مدرسي، ولا إقامة من الأمن لمن كان غير يمني، وفي مرحلة الطلب والاجتهاد لن يدفع رسوماً أياً كان نوعها.

الدروس:

تفاوتت نوعية الكتب التي كانت تدرس في الجامع الكبير بحسب الوضع السياسي لصنعاء الذي تفاوت بين السُّنة والشيعة والباطنية والزيدية، وإن كانت السُّنة هي الغالبة لخضوع صنعاء غالباً لحكام

الشمالي فإن هذه النسبة عام ١٩٨١م تقدر بحوالي ٧٥٪ بين الذكور و ٩٨٪ بين الإناث.

وقد صدرت قرارات جمهورية بشأن حملات محو الأمية وتعليم الكبار، وساهمت جهات تربوية وإعلامية وتعاونية في هذه الحملات. وتعتبر الأمية وعدم الالتحاق بالتعليم والتسرب من الصفوف المدرسية مشكلة تهدد التنمية البشرية في اليمن، وتضر بنظام التعليم والتدريب فيها.

تشير آخر الإحصاءات إلى أن نسبة الأمية مازالت مرتفعة لدى الفئة العمرية ١٥ سنة فأكثر حيث تبلغ ٥٥,٧٪ بين الذكور و٧٤,١٪ بين الإناث.

وقد أقرت الدولة عام ١٩٩٦م استراتيجية وطنية لمحو الأمية وتعليم الكبار، ولم تحقق هذه الاستراتيجية نتائج كبيرة بسبب محدودية الموازنة المالية التي خصصت للبرنامج، وكذلك لضعف دور المجتمع المدني في مجال محو الأمية. ولذلك ستظل الأمية كواقع مشكلة كبيرة وتغذى بالتسرب المدرسي في سنوات التعليم الأولى بسبب الصعوبات المعيشية، وتدني نسبة الوعي بالتعليم وشيوع مسلمات خاطئة حول العملية التعليمية. وتشير آخر الإحصاءات إلى أن نسبة الأطفال في الفئة العمرية (٦:١٤)سنة) خارج نظام التعليم تقدر بين ٢٢,٨ - ٣٨,٦٪ بين الذكور و٥٦,١٪ بين الإناث.

غير أن الإصلاح الهيكلي لنظام التعليم يرمي إلى معالجة هذا الاختلال ضمن الخطة الخمسية القادمة.

"87,8 من طلاب الجامعات في التخصصات النظرية و12,2% في التخصصات العلمية"

التعليم المهني والفني

نظراً إلى الأهمية المتزايدة التي يكتسبها التعليم المهني (بعد المرحلة الأساسية) الفني (بعد المرحلة الثانوية) باعتبار هذا النوع من التعليم عنصراً أساسياً يرفد مختلف قطاعات العمل والإنتاج بالقوى العاملة المؤهلة والمدربة، ونظراً إلى اتساع مجالات العمل الصناعية والزراعية والسمكية والنفطية والسياحية والخدمية وغيرها، وازدياد الطلب على المؤهلين فنياً ومهنياً في سوق العمل، فإن اهتماماً خاصاً قد أخذ يبرز ويزداد يوماً بعد يوم.

وقد نص قانون التعليم على المحددات العملية المترتبة على

◄ الحلقات التعليمية في عصر الشوكاني

سنيين، ولمرونة الحكام المنتسبين إلى الزيدية وعدم تشددهم غالباً.

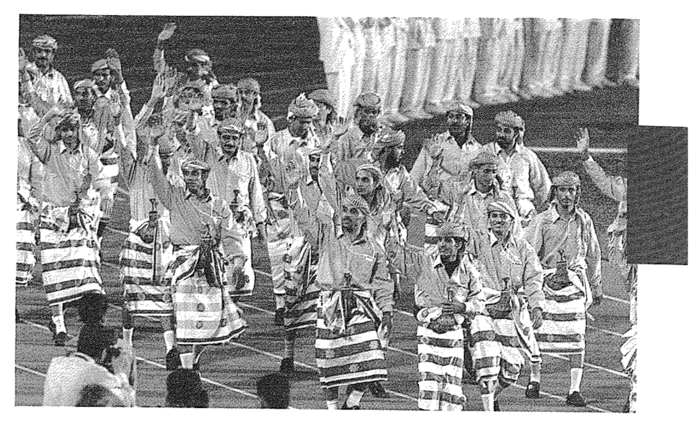
وقد بين لنا القاضي الشوكاني نماذج للكتب التي كانت تدرس في الجامع الكبير ومنها:

صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، موطأ مالك، شفاء عياض، سنن النسائي، سنن ابن ماجة، سنن أبي داوود، المنتقى لابن تيمية، شرح بلوغ المرام، فتح الباري، شفاء الأمير، البحر الزخار، ضوء النهار، الكشاف وحاشيته للسعد، الأزهار، مختصر الفرائض للعصيفري، الكافية والشافية لابن حاجب، التهذيب للتفتازاني، منظومة الجزري، منظومة الجزاز في العروض، آداب البحث للعضد، قواعد الإعراب وشرحها للأزهري، الكامل وشرحه لابن لقمان(٧).

الكتب

عندما نتحدث عن الكتب وقراءتها ينطبع في الذهن شكل الكتاب المعروف في أيامنا.. غلاف جميل، تفنن في العنوان.. طباعة أنيقة كل حروفها واضحة.. ويتسلم كل طالب كمية من الكتب ينظر إليها بتقزز وازدراء (إلا ما ندر).

الكتاب في الحلقات التعليمية كان عزيزاً وغالياً ونادراً.. ومحبوباً. ليس هذا فحسب بل كانت كلماته غامضة، فليس من السهل أن تقرأ كتاباً قديماً؛ لأنه كتب بخط اليد.. وقد



هذا النوع من التعليم باعتباره يهدف إلى تنمية معارف التلاميذ العلمية والتخصصية، بحيث يتمكنون بعد تخرجهم من الدخول إلى سوق العمل مباشرة أو مواصلة تعليمهم العالي أو الداني. كما أنه يفتح أمامهم مجالات عديدة للاختيار في ضوء قدراتهم واستعداداتهم.

وبقدر التنوع الذي صار إليه هذا التعليم من حيث أنه يشمل ثانويات فنية، وصناعية، وبيطرية، وتجارية، وزراعية، وتدريبية، عامة ومتخصصين، إلا أن الأرقام تشير إلى أن الإقبال على هذا النوع من التعليم مازال ضعيفاً بحيث لا يتجاوز ٤,٠٪ من إجمالي الملتحقين

يكون كاتبه هو الطالب، قد نسخه عن كتاب آخر إذا وفق في الحصول على الورق الذي كان غالياً جداً ونادر الوجود.. ولم تكن الأقلام المعروفة موجودة ولا الحبر كذلك.. فقد كان القلم عبارة عن ماسورة من الشجر تسمى (الحلال) يتم تشذيب رأسها ليصبح مثل سن القلم.. أما الحبر فيتم مزجه بحسب الحاجة فهو مكون من الغراء بالإضافة إلى مادة ملونة (سوداء أو حمراء غالباً). أما الكتب التي يكتبها النساخون المتخصصون في ذلك فأسعارها مرتفعة ولا يستطيع الطالب شراءها ما لم يكن ثرياً، والأثرياء قليلون.

ويجد غالب الطلاب بغيتهم في مكتبة المسجد.. ففيها كتب موقوفة يستطيع الطالب قراءتها كما نقرأ اليوم القرآن في المساجد، ويندر أن تتعرض هذه الكتب للسرقة أو التلف.

وفي عام ١٣٤٤هـ جمعت الكتب الموقوفة في مساجد صنعاء وأضيفت إليها كتب أخرى،[٨] وتكونت المكتبة الشرقية للجامع الكبير التي تقع اليوم غربي الجامع وتسمى مكتبة الأوقاف.

المعلمون

كان الحكام أيام الدولة الرسولية يخصصون رواتب مجزية للمعلمين ولمساعديهم، وفي حكم الدولة القاسمية الذي بدأ من ١٠٤٥هـ صار المعلمون يقومون بالتعليم تطوعاً[٩]، وكل معلم يعتمد على نفسه في نفقاته، وقد يجد بعض العلماء هدايا من مسؤولين أو غيرهم تعينهم على أمور

بجميع مراحل التعليم، أي ما يعادل ١٧ ألف طالب من مجموع ٤ ملايين طالب.

وبالعودة إلى مخرجات هذا التعليم تتبين لنا المشكلة، فقد بلغ عدد خريجي التعليم - حسب آخر الإحصاءات - ١٤٥٦ طالباً و١٨٠ طالبة فقط مقابل ٢٤٤٣٦ خريجاً وخريجة من الجامعات. ويظهر من هذه الأرقام عدم التوازن بين التعليم الفني والتعليم العام، حيث إن إزاء ١٧ خريجاً جامعياً ثمة خريج فني واحد فقط. في حين أن النسبة المعقولة والمقبولة هي أن يكون إزاء كل خريج جامعي أربعة خريجين فنيين. كما أن الإنفاق الحكومي على هذا التعليم لا يتجاوز حالياً ٠,٥٪ من الإنفاق العام. وإزاء هذا الوضع فإن الدولة قد أنشأت وزارة للتعليم الفني والتدريب المهني تعنى بالاهتمام بهذا النوع من التعليم والعمل على تطويره وتحسين مخرجاته.



التعليم الجامعي

يعد التعليم الجامعي في اليمن حديث النشأة، حيث يرجع إلى السبعينيات من القرن العشرين. وقد تطور خلال ثلاثين عاماً تطوراً غير متزن من حيث زيادة عدد الملتحقين به، مع غياب قدرة استيعابية وتأهيلية كافية.

وأبرز سمات الاختلال ظهرت في توسع التخصصات النظرية والأدبية وازدواجية وتماثل الكليات وأقسام الجامعات، الأمر الذي جعل مخرجات هذه الجامعات لا تلبي الاحتياج الفعلي للتنمية في البلاد.

وقد شهد العقد التاسع من القرن العشرين زيادة عدد الجامعات إلى ثلاث عشرة جامعة، منها سبع جامعات حكومية: جامعة صنعاء ١٩٧٠م، وعدن ١٩٧٠م، وتعز ١٩٩٤م، والحديدة ١٩٩٥م، وإب ١٩٩٥م، وذمار ١٩٩٦م، وحضرموت ١٩٩٦م، ولهذه الجامعات كليات تقع في المدن المجاورة لهذه المحافظات

الحلقات التعليمية في عصر الشوكاني

دنياهم، وبعض المعلمين كانوا ينشغلون بأمور دنياهم فيقل عطاؤهم.

المعلم السيئ أو الضعيف ينفر منه الطلاب.. فيترك التعليم.. والمعلم الكفء ذو الأخلاق العالية يحبه الطلاب ويقبلون على دروسه إقبالاً طيباً.

ومن ثم فالتقويم للمعلمين يتم من الطلاب وليس من غيرهم.

وفي ترجمة الشوكاني لعبدالله بن إسماعيل النهمي (ت ١٢٢٨هـ) يورد لنا مثلاً لمدرس غير مرغوب فيه إذ يقول: «وحال تحرير هذه الأحرف قد فتر عزمه عن التدريس ولم يبق للطلبة رغوب إليه، وصار معظم اشتغاله بما لابد منه من أمر المعاش مع ركة حاله لاطفه الله»[١٠].

الطلاب

الطلاب قسمان: قسم يسكن المدينة، وبما أن المدينة صغيرة فالتواصل بين أحيائها سهل جداً.. فلا يحتاج الطالب إلى وسيلة مواصلات ولا يشكل الانتقال داخل المدينة مشقة أو صعوبة.

والقسم الثاني من خارج المدينة، وهؤلاء يسكنون مساكن مجانية تابعة للمساجد تسمى (منازل) مفردها (منزلة) وهي بسيطة ومتواضعة جداً لكنها تؤدي الغرض ولا يدخلها الطالب إلا للنوم أو الأكل.. إذ يقضي معظم وقته في المسجد.

الطلاب في حلقات العلم

تدّرس التخصصات النظرية والتربوية على وجه خاص.

أما الجامعات الأهلية فأهمها جامعة العلوم والتكنولوجيا ـ صنعاء ١٩٩٢م، وجامعة سبأ ـ صنعاء ١٩٩٢م، والجامعة اليمنية ـ صنعاء ١٩٩٥م، وجامعة الملكة أروى ـ صنعاء ١٩٩٦م، وجامعة العلوم التطبيقية ـ صنعاء ١٩٩٧م، وجامعة الأحقاف ـ سيئون ١٩٩٧م. ويلاحظ أن جل الجامعات الأهلية موجودة في العاصمة صنعاء وإن كان لبعضها فروع في المحافظات الأخرى، مع التحفظ على دور هذه الجامعات في التأهيل لنقص الإمكانات والتجهيزات والموارد البشرية خصوصاً.

فهذه الجامعات تمارس تأهيلاً تكميلياً بحيث إنها تستوعب المعدلات الضعيفة التي لا تقبل في الجامعات الحكومية (أدنى معدل مقبول في الجامعات الحكومية ٧٠٪ في شهادة الثانوية)، كما أن بعض الجامعات الأهلية مازالت تعتمد على قاعات وتجهيزات الجامعات الحكومية، وتعتمد خصوصاً على

„ السنوات الخمس القادمة ستشهد تخرج 150 ألف طالب جامعي يتنافسون على 55 ألف فرصة عمل، الأمر الذي يعني أن أكثر من 95 ألف خريج سيكونون عاطلين عن العمل "

ليسوا في سن متقاربة فتجد فيهم الشاب وتجد الكهل وكذلك حال المعلمين.. فقد تجد «زيداً» شيخاً في مادة الصرف وتجده تلميذاً عند «عمرو» في مادة المنطق وتجدهما زميلين في مادة أصول الفقه عند شيخ آخر! ولا حرج في ذلك إذ صار شيئاً مألوفاً عندهم.

وقد ذكر الشوكاني أمثلة لذلك منهم أحمد بن يوسف زبارة (ت ١٢٥٢هـ)[11] وهادي بن حسين القارني (ت ١٢٣٨هـ)[12].

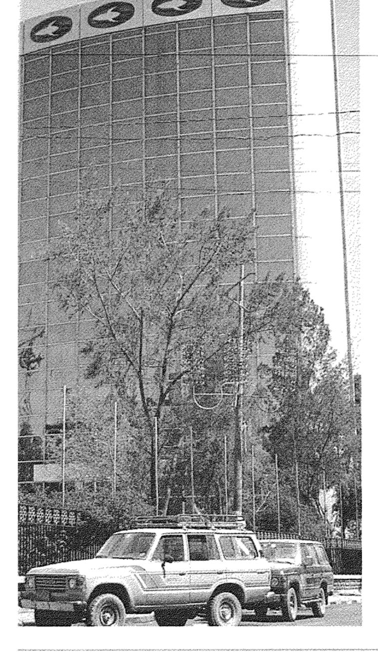
الشهادات

في النظام التعليمي المعاصر تحرص أسرة الطالب بأكملها على (الشهادة).. الشهادة شيء مقدس في حياتنا.. يقرأ الطلاب ويسهرون وتعلن حالات الطوارئ في أيام الاختبارات من أجل الشهادة.

ـ ما أخبار الشهادة في نظام حلقات التعليم القديمة؟

ـ لا توجد شهادات!!.

نعم لا توجد شهادات في المرحلة الأولى. وفي مرحلة الطلب يحصل الطالب على (إجازة) في المادة التي أتقنها من شيخه الذي تأكد من جدارته في مادته بغض النظر عن مستواه في المواد الأخرى. ويقاس مستوى الطالب



الكادر الأكاديمي في الجامعات الحكومية، أما مقرات بعضها فلا توفر أدنى شروط البيئة الأكاديمية المناسبة وكذلك مكتباتها ومختبراتها. والاتجاه قائم على تصحيح هذا الوضع عما قريب.

ويتسم التعليم الجامعي في اليمن بنمطية واحدة هي امتداده بين أربع أو خمس أو سبع سنوات في التعليم الجامعي العام. ففي الكليات النظرية والأدبية يستغرق التعليم أربع سنوات يحصل بعدها الطالب على شهادة الليسانس أو البكالوريوس (الإجازة). وتتوفر في بعض هذه التخصصات دراسات عليا في الدبلوم والماجستير والدكتوراه. أما في كلية الهندسة فالدراسة تمتد إلى خمس سنوات في حين أنها في كلية الطب سبع سنوات باستثناء قسم التمريض أربع سنوات.

وقد شهد التعليم الجامعي إقبالاً كبيراً من ٩٠ ـ ٢٠٠٠م بلغت نسبة الزيادة حوالي ١٦٪، أما مخرجاته فإنها عام ٢٠٠٠م تقدر بـ ١٧٨٣٦ طالباً و٦٦٠٠ طالبة يتوزعون بنسبة ٨٧,٨٪ في التخصصات الأدبية والنظرية، و١٢,٢٪ في التخصصات العلمية. وهذا الاختلال أدى إلى تزايد أعداد العاطلين ونقص نسبة الكفاءة لدى العاملين. ويشير التقدير إلى أن السنوات الخمس القادمة ستشهد تخرج ١٥٠ ألف طالب يتنافسون على ٥٥ ألف فرصة عمل، الأمر الذي يعني أن أكثر من ٩٥ ألف خريج سيكونون عاطلين عن العمل.

الحلقات التعليمية في عصر الشوكاني

بعدد الفنون التي أتقنها وحصل على إجازات فيها.. هذه الإجازة تجيز له التصدر لتعليم ذلك العلم المجاز فيه.

التزوير هنا شبه معدوم وكذلك المجاملة، وترتفع قيمة الإجازة بقدر أهمية وعلم وكفاءة مانحها وتسلسل هذه الإجازة عن السابقين، وقد يكون الطالب ليس من تلاميذ الشيخ لكنه حضر خصيصاً للخضوع لاختبار الشيخ في مادة يتقنها ويحصل بموجب ذلك على إجازة.

وقد يكون الطالب غبياً في مادة أو أكثر ومع ذلك يشار إليه بالبنان لنبوغه وتمكنه في مواد أخرى.. وفي أيامنا قد يترك الذكي التعليم لأنه رسب في الإنجليزية أو الرياضيات أو كليهما أكثر من مرة، وصار غبياً في نظر المجتمع وتقويم المدرسة ويحرم من مواصلة التعليم.. وما أكثر الموهوبين الذين ضاعوا بسبب قيود التعليم المعاصر!

الخريجون

سبق القول بأن الطلاب لا يحصلون على شهادات دراسية وإنما يحصل من بلغ مرحلة الطلب على إجازة في المادة التي أتقنها.. فقد يكون التلميذ متخصصاً في الفرائض أو في الأدب.. أو مبدعاً في النحو.. ولذلك كثر المبدعون في تلك الأزمنة؛ لأن الطالب غير ملزم بقراءة ما لا يحب، فالحساب لا يقرؤه إلا من يرغب فيه، والنحو لا يتوسع فيه وفي فنونه إلا المحب

المعلم والمناهج

عانى النظام التعليمي في اليمن ومازال يعاني مشكلة نقص عدد المعلمين في مرحلة، ثم ضعف تأهيلهم في مرحلة لاحقة، ويعاني أيضاً مشكلة المناهج إعداداً ونشراً.

والعملية التعليمية مترابطة ومتشابكة، فهذه المشكلات هي نتيجة طبيعية لتأخر الاهتمام بالتعليم عامة وضيق النظرة لمقتضيات تطويره خاصة. وقد قامت الدولة بمعالجة مشكلة المعلم أعداداً وإعداداً، وذلك عن طريق استقدام مدرسين من الدول العربية. وكاد النظام التعليمي اليمني في عقدي الستينيات والسبعينيات يعتمد اعتماداً مطلقاً على هذا الاستقدام. وبالتوازي مع هذه السياسة أنشأت الدولة معاهد لتأهيل المعلمين تطورت تدريجياً وبدأت بتأهيل مدرسي التعليم الابتدائي في نطاق معاهد المعلمين والمعلمات (ثلاث سنوات بعد الابتدائية) ثم ألغيت واستبدلت بها عام ٨٠ ـ ١٩٨١م معاهد نظام خمس سنوات بعد الابتدائية، ثم تطور هذا الشكل إلى نظام معاهد السنتين بعد الثانوية. كما ألزمت الدولة خريجي الثانوية العامة بمعدلات عالية العمل في التدريس لمدة عام، ثم عامين بدلاً من أداء الخدمة العسكرية الإلزامية. وقد ألغي هذا الإلزام في المدارس اعتباراً من العام ٢٠٠٠م والجيش اعتباراً من العام ٢٠٠١م.

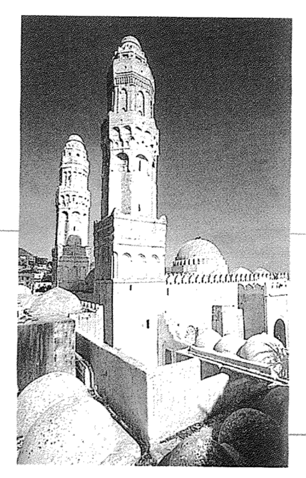
وأنشأت الدولة من جهة أخرى كليات للتربية في نطاق الجامعات الأساسية وتوسعت فيها ضمن مناطق خارج المدن الرئيسية وبإشراف الجامعات القريبة إليها.

وأثمرت هذه الجهود ـ رغم التفاوت الواضح في المؤهلات والمهارات ـ عن إحلال المدرسين غير اليمنيين، كما تولد فائض في المستوى الإجمالي مع استمرار العجز في عدد المدرّسات وخصوصاً في الريف.

وقد بين المسح التربوي الشامل لعام ٩٩ / ٢٠٠٠م أن ٤٠٪ من كادر التدريس يحمل مؤهل الثانوية أو أعلى، وأن ٦٠٪ حصل على شهادة التعليم الأساسي بالإضافة إلى تأهيل وتدريب لعام أو عامين. وهذا يعني أن المدرسين تنقصهم المهارات الأساسية للعملية التربوية والتعليمية، وقد أثر ذلك سلباً في مستوى التأهيل ومخرجات العملية

له.. وهنا يأتي سؤال: هل يجد خريجو هذه الجامعة المصغرة المفتوحة عملاً؟

نعم.. الأعمال متوفرة لخريجي هذه الحلقات فمنهم يكون: (القضاة، الكتبة الإداريون، القادة العسكريون، الأمراء، الأطباء، العلماء المجتهدون، معلمو المراحل الأولى، النساخون للكتب، المحاسبون). ■

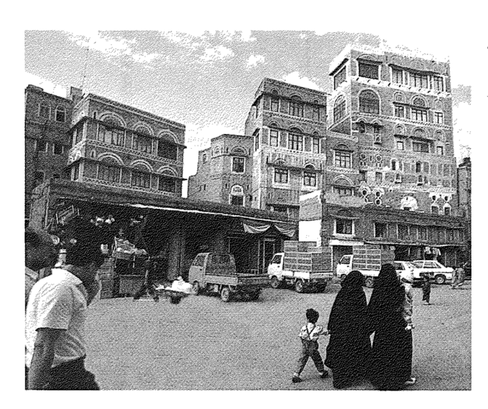


الهوامش والمراجع:

١ـ الإكليل. الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع ١٣٩٩هـ ـ ٣٦/٨.
٢ـ مصاحف صنعاء. متحف الكويت الوطني (بحث: جامع صنعاء. إسماعيل بن علي الأكوع) ص١٥.
٣ـ السلوك. الجَنَدِي ـ ٢٠٠/١.
٤ـ البدر الطالع. الشوكاني. دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٥/١، ٣٨٠.
٥ـ مصاحف صنعاء. ص٩.
٦ـ المدارس الإسلامية في اليمن. إسماعيل بن علي الأكوع ط١ / ١٤٠٠هـ ص١١ (تتوقف الدراسة في أشهر شعبان ورمضان، وذي الحجة من كل عام).
٧ـ البدر الطالع ٢١٧/٢.
٨ـ فرجة الهموم. عبد الواسع الواسعي ط٢/١٩٩٠م ص٣٣٤.
٩ـ المدارس الإسلامية ٢٦٢ رحلتي إلى اليمن. أحمد وصفي ١٥٧.
١٠ـ البدر الطالع ٣٨٠/١.
١١ـ المصدر السابق نفسه ١٣٢/١.
١٢ـ المصدر السابق نفسه ٣١٩/٢.

التعليمية برمتها. أما كمياً فإن الإحصاءات تشير إلى أن عدد المدرسين قد قفز بين عامي ٩٠ و ٢٠٠٠م من ٥٤٨٦٤ إلى ١٥٠٢٩٠ مدرساً، وسوف تتجاوز أعدادهم ٢١٠٠٠٠ في العام ٢٠٠٥م.

أما المناهج فإن الإشكال حولها لما يأخذ حقه من النظر والتدقيق، حيث إن الكم يغلب على الكيف، والعلوم النظرية تغلب على العلوم التطبيقية. وقد تم إعداد هذه المناهج في غياب خبرة كافية وتجربة عملية. وتعكف الآن اللجان المتخصصة على إعادة النظر في هذه المناهج وتحديثها. كما تبرز مشكلة طباعة ونشر الكتاب المدرسي حيث إن الجهود المبذولة لا تفي بالاحتياج الواسع والمتزايد إلى الكتاب، وإن كانت المؤسسة العامة للكتاب المدرسي قد نجحت جزئياً في مواجهة هذه المشكلة.



مستقبل التعليم في اليمن

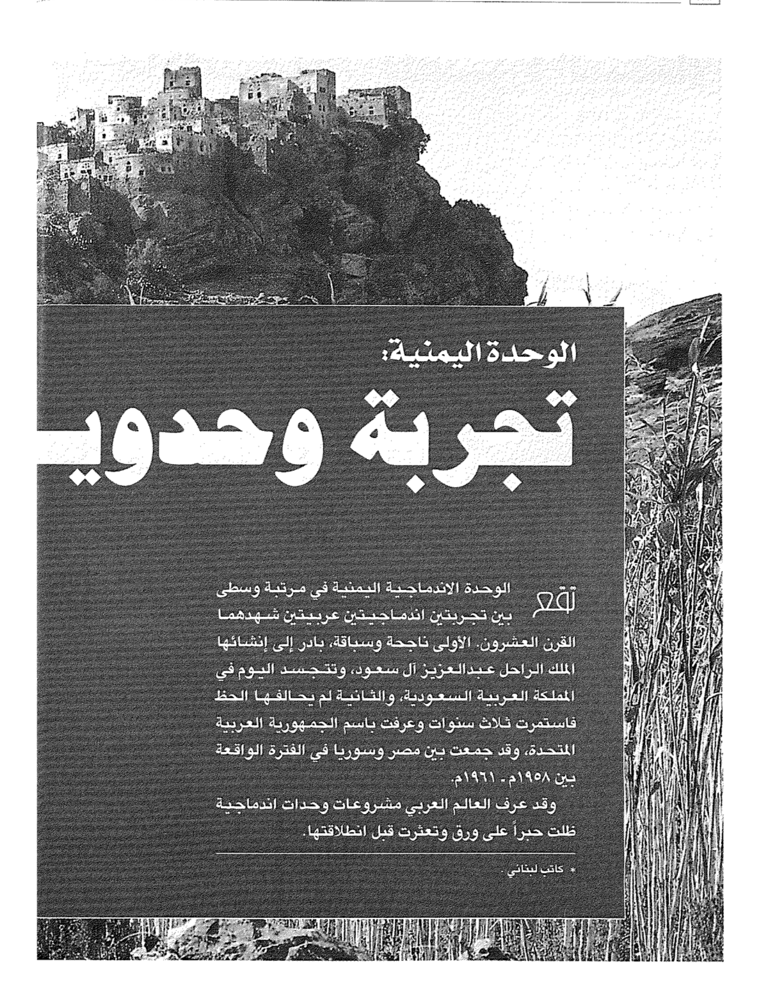
إن النظام التعليمي في اليمن، مثله مثل أي نظام تعليمي في العالم، يحتاج إلى إعادة نظر وتصحيح وتقويم وتطوير بشكل دوري، سواء فيما يتعلق ببنيته الهيكلية أو بأدائه. وهذا التطوير والتغيير ينبغي أن يصب في اتجاه خدمة الفلسفة التعليمية والمبادئ الأساسية التي يرتكز عليها التعليم في اليمن.

ويمكن أن ننظر إلى الخطوات التالية باعتبارها مؤشرات إيجابية في اتجاه تطوير التعليم:

- دمج ما يعرف بالمعاهد العلمية في نطاق سلم التعليم العام، بحيث لا يسير التعليم في اليمن في اتجاهين متفارقين. فخطة الدولة في السنوات الخمس القادمة تشير إلى توحيد التعليم منهجاً وإدارة وإنهاء الثنائية القائمة حتى عام ٢٠٠١م.
- تطبيق إلزامية التعليم الأساسي والحد من ظاهرة التسرب الدراسي وخصوصاً في أوساط الفتيات.
- إدخال مادة اللغة الإنجليزية والحاسوب في مرحلة التعليم الأساسي وتعزيزها في مرحلة التعليم الثانوي.
- تحسين كفاءة الإنفاق على التعليم وزيادة المخصصات المرصودة لاحتياجات العملية التعليمية ودعم مراكز إنتاج الوسائل التعليمية.
- ازدياد معدلات الالتحاق بمراحل التعليم وأنواعه.■

المراجع

- الدكتور أحمد علي الحاج محمد، التعليم اليمني جذور تشكله واتجاهات تطوره، دار الشوكاني، صنعاء، (د.ت).
- الدكتور بدر سعيد الأغبري، التعليم التقني والتدريب المهني، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ٢٠٠١م.
- الدكتور بدر سعيد الأغبري، نظام التعليم في الجمهورية اليمنية، دار اقرأ، ١٩٩٣م، صنعاء.
- الخطة الخمسية الثانية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ٢٠٠١ - ٢٠٠٥، وزارة التخطيط والتنمية، صنعاء، ٢٠٠١م.
- الدكتور عبدالجبار عبدالله سعد، د.بدر سعيد الأغبري، النظام التعليمي في الجمهورية اليمنية، كلية التربية، صنعاء، (د.ت).
- الدكتور عبدالله الذيفاني، التعليم في اليمن حتى الثورة اليمنية، دراسة وتحليل، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ١٩٩٦م.
- علي صلاح محمد الأرضي، تاريخ التعليم في عدن ١٨٣٦ - ١٩٦٧م، جامعة عدن، ط١ - ٢٠٠١م.
- الدكتور علي هود باعباد، التعليم في الجمهورية اليمنية، (ماضيه، حاضره، مستقبله)، منشورات جامعة صنعاء، ١٩٩٢م.
- كرامة مبارك سليمان، التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن ج١، ج٢، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٩٤م.
- مسيرة عشر سنوات من الوحدة ١٩٩٠ - ٢٠٠٠م، وزارة التخطيط والتنمية، صنعاء، ٢٠٠٠م.



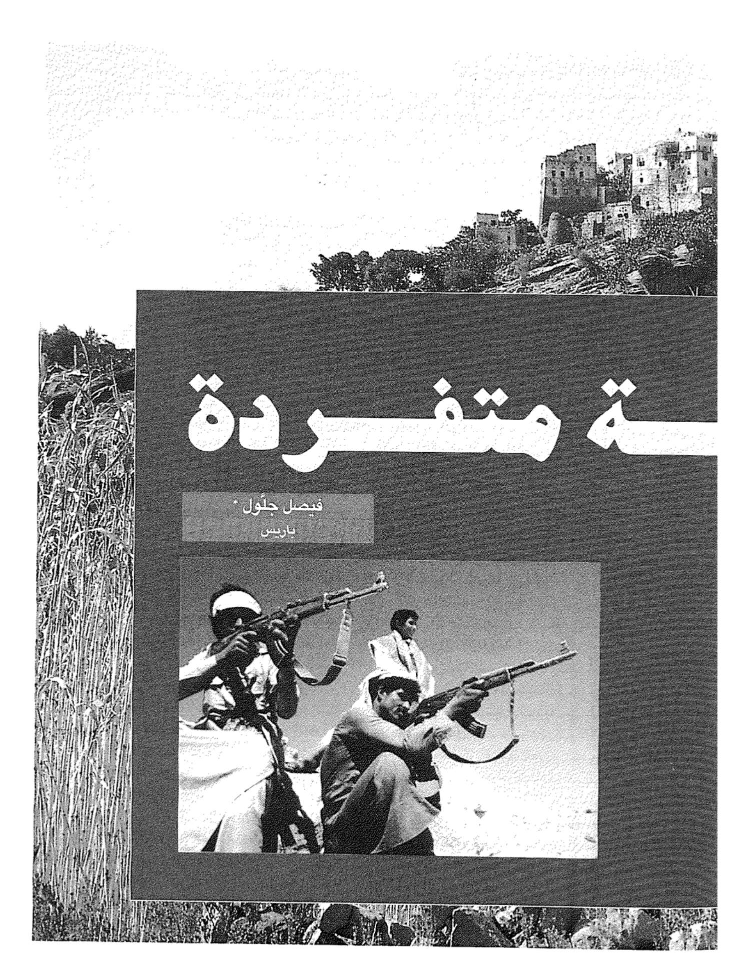
الوحدة اليمنية:

تجربة وحدوية

تقع الوحدة الاندماجية اليمنية في مرتبة وسطى بين تجربتين اندماجيتين عربيتين شهدهما القرن العشرون. الأولى ناجحة وسباقة، بادر إلى إنشائها الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود، وتتجسد اليوم في المملكة العربية السعودية، والثانية لم يحالفها الحظ فاستمرت ثلاث سنوات وعرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة، وقد جمعت بين مصر وسوريا في الفترة الواقعة بين ١٩٥٨م - ١٩٦١م.

وقد عرف العالم العربي مشروعات وحدات اندماجية ظلت حبراً على ورق وتعثرت قبل انطلاقتها.

* كاتب لبناني.


ـة متفـردة
فيصل جلّول *
باريس

وبدأ خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين أن العالم العربي ميّال لصيغ التعاون الاتحادي الذي يتيح الحفاظ على سيادات الدول، أكثر من الاتحاد الاندماجي الذي يلغي السيادات والحدود والاستقلالات.

وقد جرب العرب في الخليج وشبة الجزيرة العربية صيغة مجلس التعاون العربي التي تُعتبر ناجحة بالقياس إلى حالة التفكك العربي السائدة في مناطق أخرى وليس بالقياس إلى الطموحات التي انعقدت حول هذا المجلس منذ تأسيسه في عام ١٩٨١م. ولربما كانت الصيغة الخليجية ناجحة أيضاً بالقياس إلى تجربة اتحاد دول المغرب العربي التي مابرحت تتعثر، فيما اندثرت تجربة مجلس التعاون العربي (١٩٨٨م) الذي ضم العراق والأردن ومصر واليمن.

وتفترق التجربة الوحدوية اليمنية عن التجارب الوحدوية العربية في عناصر كثيرة، فهي اندماجية كاملة لكنها غير مرتبطة بأيديولوجيات توحيدية، وهي تمت في بلد مسلم لكنها جمعت في بدايتها بين حزب ماركسي علماني المنحى والأيديولوجيا وحزب ليبرالي المنحى يستند إلى قاعدة اجتماعية عائلية وقبلية متماسكة. واجتمعت في التجربة اليمنية أساليب التوحيد الطوعي (حتى العام ١٩٩٤م) والمسلح في مواجهة الحركة الانفصالية في العام نفسه. ولم تكن الوحدة الاندماجية اليمنية، في أي من مراحلها، هجومية، وإنما دفاعية صرفة. فصنعاء لم تتحول إلى قاعدة للوحدة العربية الشاملة كما كانت القاهرة تقدم نفسها في العام ١٩٥٨م على أثر الوحدة الاندماجية السورية ـ المصرية.

ويمكن القول وباختصار شديد أن التجربة اليمنية في الوحدة لاتشبه أية تجربة عربية أخرى، الأمر الذي يطرح سؤالاً كبيراً حول خصوصيتها وأسباب نجاحها.

تستمد الوحدة اليمنية خصوصيتها من كونها قد تمت في فضاء اجتماعي وثقافي كان يمنيو الشمال والجنوب يعتبرونه واحداً. وعلى الرغم من تباعد النظامين السياسيين أيديولوجياً خلال الحرب الباردة وانخراطهما في سياسة الاستقطاب الدولي بين واشنطن وموسكو فإن أياً منهما لم يعتبر دولته نهائية، وكلاهما احتفظ بالصفة اليمنية للدولة «الجمهورية العربية اليمنية (شمال) وجمهورية اليمن الديمقراطية (جنوب)». وكلاهما اعتمد تاريخاً واحداً لليمن بحدوده الراهنة، وكلاهما كان يصر على الوحدة الاندماجية، لكن بشروطه السياسية الخاصة، وكلاهما كان يدعو في مدارسه ومناهجه التربوية للوحدة اليمنية ويربي أجياله على مطلب اليمن الواحد، وكلاهما رفض اعتبار حدوده مع الآخر دائمة وأبدية... إلخ.

والثابت أن الدولتين السابقتين في صنعاء وعدن لم تجتهدا في ترسيخ نظام الدولة ـ الأمة على غرار الدولتين المنبثقتين في لبنان وسوريا بعد الحرب الأولى، أو في الأردن والعراق، أو في المغرب وموريتانيا، أو في مصر والسودان، الأمر الذي أدى إلى سيادة حالة وحدوية في ظل انفصال سياسي ودولتين مؤقتتين، وهو ما سهّل النظر إلى الوحدة اليمنية بوصفها حالة استئناف وحدة أكثر من كونها حالة قائمة على الإرادة السياسية والمشاعر القومية والأيديولوجيا الشمولية والإرادوية على غرار الجمهورية العربية المتحدة.

> **«شكلت نهاية الحرب الباردة مناخاً سياسياً مفيداً لاستئناف الوحدة اليمنية، فهي حررت النظامين السياسيين في الشمال والجنوب من الخضوع لإرادات دولية متصارعة»**

لكن استئناف الاندماج اليمني لم يكن تلقائياً تماماً، فقد اجتمعت فيه ظروف موضوعية وذاتية حاسمة يمكن حصرها في الخطوط التالية:

ـ شكلت نهاية الحرب الباردة مناخاً سياسياً مفيداً لاستئناف الوحدة اليمنية، فهي حررت النظامين السياسيين في الشمال والجنوب من الخضوع لإرادات دولية متصارعة ويمتد صراعها إلى كل دول العالم. لكن هذا الحدث لم يكن عاملاً مصيرياً في الحدث اليمني المذكور، فانتهاء الحرب الباردة أدى إلى انقسام بلدان موحدة شأن يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا، وأدى إلى توحيد بلدان قابلة للتوحيد شأن ألمانيا واليمن، ولم يفلح في توحيد الكوريتين، ما يعني أن العامل الحاسم في التوحيد يكمن في البلدان المعنية وليس في الحدث الدولي المذكور وحده.

ـ سادت عشية الوحدة اليمنية اتجاهات التوحيد التعاوني في العالم العربي، حيث تألفت في الثمانينيات



ثلاث صيغ اتحادية (مجلس تعاون دول الخليج، اتحاد دول المغرب العربي، مجلس التعاون العربي).

وأفاد اليمنيون من هذا المناخ الإيجابي وبادروا إلى إعلان وحدتهم التي استدرجت ترحيباً عالمياً وعربياً شاملاً، ولم تصادف اعتراضاً من أي طرف عربي.

- على الصعيد اليمني، يلاحظ أن ضعف الدولة الجنوبية الاشتراكية كان قد بلغ مستوى خطيراً في النصف الثاني من الثمانينيات. فقد أدت الحرب الأهلية التي اندلعت في عدن في ١٣ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٦م إلى إلحاق أذى كبير بالنظام الاشتراكي فحرمته تلك الحرب من كادرات أساسية وقصمت ظهر الجيش الجنوبي، وأدت إلى نشوء كتلة مسلحة كبيرة ومعارضة بشدة لهذا النظام وتتمركز في صنعاء. وافتقر اشتراكيو الجنوب المنهكون من جراء الحرب إلى حليفهم السوفياتي الذي أخذ يتخلى عن أصدقائه في العالم تدريجياً، ما أدى إلى اعتماد الاشتراكيين خيار الوحدة بوصفه الأقرب إلى طموحاتهم المعلنة من جهة، والذي يتيح من جهة أخرى تجنب استئناف الحرب الأهلية مع خصومهم المتمركزين في صنعاء.

- كان النظام الصنعائي في الفترة نفسها قد حقق قدراً كبيراً من الاستقرار وجمع أوراقاً مهمة محلية وإقليمية ودولية تتيح خوض مغامرة الوحدة، ومن ثم تحقيق حلم لطالما راود أجيالاً من اليمنيين في شمال البلاد وجنوبها.

- اعتبر الرئيس علي عبدالله صالح أن الوحدة اليمنية تتيح إنجازاً هائلاً هو الأول من نوعه في تاريخ اليمن الحديث وأن هذا الإنجاز سيدخله التاريخ اليمني والعربي كأول قائد يعيد توحيد بلاده طوعاً ويدافع عن وحدتها بالقوة المسلحة. والحق أن صالح والبيض أديا دوراً حاسماً في هذا الحدث الذي كان يحتاج إلى جرأة شخصية وإلى سرعة في التنفيذ واستعداد لتحمل الأخطار المحتملة التي يمكن أن تنجم عنه.

- استفاد حكام صنعاء وعدن عشية الوحدة، من عدد كبير من الاتفاقات التمهيدية التي وقعها الطرفان منذ استقلال البلاد عن الأتراك والاستعمار البريطاني، ومن ضمنها دستور دولة الوحدة الذي كان يتضمن هيكلية قانونية كاملة وعلى إنجاز وحدة اندماجية كاملة ولا يلحظ صيغاً أخرى فيدرالية أو كونفدرالية.

- كان اليمنيون في الشمال والجنوب يتمتعون بإيمان وحدوي راسخ ويضغطون على حكامهم لتحقيق هذا الهدف الذي طال انتظاره، لذا اندفعوا بقوة لتأييد الاتفاق الوحدوي المعلن في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٩م وصادقوا على دستور دولة الوحدة بأغلبية كاسحة وعبر صناديق الاقتراع.

ولعل المناخ الوحدوي اليمني الراسخ هو الذي أدى إلى انهيار المحاولة الانفصالية الشهيرة عبر الالتفاف حول القوات الحكومية، وهو الذي سمح لهذه القوات بحسم المعركة منذ أيام الحرب الأولى (١٩٩٤م).

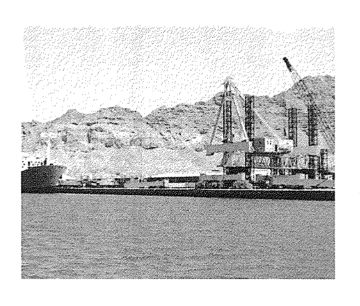
- كان جنوبيو اليمن قد ضاقوا ذرعاً بالنظام الاشتراكي الذي حكم البلاد منذ استقلالها في نوفمبر - (تشرين الثاني) عام ١٩٦٧م، وشكلت الوحدة بالنسبة إليهم خياراً إنقاذياً حقيقياً من نظام آخذ في الانهيار ولكنه مازال يحتفظ بآلة عسكرية قوية وكافية لردع المطالبين بقلبه.

لذا ما إن أعلنت الوحدة حتى اندفع الجنوبيون لتأييدها باعتبارها نجاة حقيقية من الأزمة الاقتصادية والسياسية التي ضربت بلادهم في النصف الثاني من الثمانينيات. والثابت أن الشروط المغرية التي حملتها الوحدة الاندماجية، ومن بينها حرية التعبير، والاقتصاد ذو الملامح الليبرالية، وإشاعة الديموقراطية، كل ذلك عجّل بانحيازهم إلى الخيار الوحدوي وتأييده بقوة واستبعاد الخيارات السياسية الأخرى.

- شكلت الوحدة الاندماجية فرصة ذهبية للرأسمالية اليمنية داخل وخارج البلاد، فهي توفر سوقاً من المستهلكين الذين يُقدر عددهم بـ ١٥ مليوناً، وقطاعاً عقارياً جنوبياً مرشحاً للخصخصة، فضلاً عن شركات حكومية في الشمال والجنوب مرشحة للبيع، لذا بادر رجال الأعمال وخصوصاً في صنعاء إلى تمويل المشروع الوحدوي وعقدوا رهانات قوية عليه.

- راهنت شركات النفط العاملة في اليمن بدورها على الوحدة الاندماجية التي تتيح توحيد جهودها وعدم تشتيتها بين دولتين متنازعتين للسيادة على حقول نفطية عابرة للحدود، خصوصاً في منطقة الجوف التي تضم بحيرة نفطية صغيرة حول جانبي الحدود وكادت تتسبب قبل الوحدة في حرب بين البلدين.

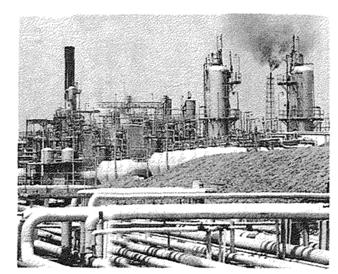
- تزامنت الوحدة الاندماجية مع اتجاه عالمي جديد تسوده ليبرالية آخذة في التوحش ونازعة إلى تجاوز الحدود والسيادات، وهي مختلفة عن الليبرالية في مراحلها الأولى التي كانت ترسم للعالم صيغة الدول - الأمم الصغيرة والمفتتة، والتي تسهل السيطرة على أسواقها وتحجيم إراداتها المحدودة.



خلاصة القول، أن ظروفاً يمنية وإقليمية، ودولية تجمعت في لحظة تاريخية نموذجية، التقطها حكام اليمن في الوقت المناسب وترجموها بقرار تاريخي تمثل في استئناف وحدة بلادهم. ولعل الظروف نفسها أتاحت للحكام أنفسهم تجاوز الاعتراضات التي ارتسمت غداة إعلان الوحدة، ومن بينها الموقف الذي عبر عنه قادة التيار الإسلامي اليمني الذين كانوا يرفضون الشراكة الوحدوية مع النظام الاشتراكي العدني باعتباره ملحداً. لذا بادر الوحدويون إلى الاعتراف بهذا التيار (التجمع اليمني للإصلاح) ومنحه ترخيصاً في العمل السياسي الشرعي، ضمن التعددية الحزبية التي انتشرت مع الوحدة.

وتجاوز الحكام الوحدويون اعتراضات عبّرت عنها بعض القبائل التي كانت تخشى أن يواصل الحزب الاشتراكي في صنعاء مسيرته الشهيرة في تصفية القبائل، وهي السياسة التي اعتمدها الاشتراكيون في ضرب البنى القبلية الجنوبية منذ استلامهم الحكم في عدن. وقد تراجعت القبائل المعترضة على الوحده، بعدما تبين لها أن النظام الجديد يضم قاعدة قبلية مهمة وحاسمة لا يمكن أن تقف مكتوفة اليدين أمام أية نزعة تصفوية للقبائل.

" راهنت شركات النفط العاملة في اليمن بدورها على الوحدة الاندماجية التي تتيح توحيد جهودها وعدم تشتيتها بين دولتين متنازعتين للسيادة على حقول نفطية عابرة للحدود "





هكذا نجح اليمنيون في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) في استئناف وحدة بلادهم بطريقة طوعية ودون إهراق نقطة دم واحدة وأشاعوا الديموقراطية والتعددية الحزبية وحرية التعبير. لكن الائتلاف الوحدوي الحاكم لم يبرهن على قدر كبير من الانسجام والتضامن في مواجهة الآثار السلبية التي نجمت عن الاجتياح العراقي للكويت وتالياً في ترسيخ قواعد جديدة للعمل السياسي في رأس السلطة. فقد حافظ الطرفان على أساليبهما السابقة على الوحدة وأعطيا الأولوية لمصالحهما الحزبية ولمواقعهما في الحكم.

والظن الغالب هو أن قيادة الاشتراكي السابقة بزعامة علي سالم (البيض) اعتقدت أن بوسعها إحداث تعديل جذري في ميزان القوى الداخلي يسمح بزيادة نفوذها في البلاد، ومن ثم إضعاف المؤتمر الشعبي العام، وقيادة اليمن الموحد وفق تصور الحزب الاشتراكي لمستقبل الدولة الموحدة، الأمر الذي أدى إلى تعايش صراعي في قمة السلطة وإلى أزمة سياسية مفتوحة وعصية على الحل انتهت بحرب أهلية وانفصال فاشل وإلى حسم مسألة السلطة لصالح المؤتمر الشعبي العام الذي يمارس الحكم اليوم من خلال شخصيات سياسية شمالية وجنوبية وشرقية وغربية ويرسم مستقبل اليمن الواحد.

يطرح ما سبق سؤالاً مركزياً شغل ويشغل المراقبين في شبه الجزيرة العربية وخارجها وهو: هل تتمتع الوحدة اليمنية بضمانات قوية للبقاء والاستمرار، أم أنها معرضة لمحاولات انفصالية جديدة؟

الجواب عن هذا السؤال يستدعي اختبار المعطيات المتوفرة في اليمن الموحد، ومن ثم الوقوف على احتمالات انفصالية مفترضة.

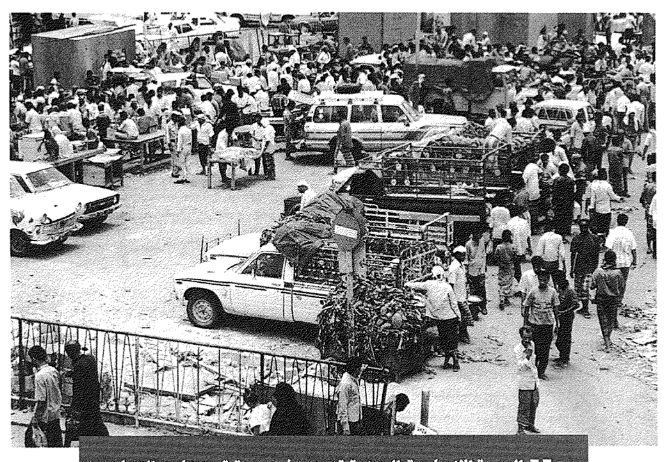
كما يستدعي اختبار المعطيات الإقليمية والدولية المحيطة بهذا البلد لمعرفة ما إذا كان يمكن أن تسهم في تشطيره مجدداً. ونبدأ بالمعطيات اليمنية السياسية التي تفصح عن جملة من الحقائق الثابتة وغير الخاضعة للجدل، ومن بينها أن القوى السياسية اليمنية المنظمة تُجمع على الوحدة وتعلن صراحة عن اعتبارها أبدية ولاعودة عنها، ما يعني أن اليمن يخلو من أية قوة سياسية انفصالية معلنة أو سرية.

ويخلو اليمن اليوم من أية قوة مسلحة انفصالية بعد انتصار القوات الحكومية عام ١٩٩٤م على الوحدات العسكرية المنفصلة في جنوب البلاد، وإعادة بناء الجيش اليمني في ضوء نتائج الحرب المذكورة وتزويده بالوسائل الرادعة، ناهيك عن تفكيك بنى الدولة الجنوبية السابقة وإعادة تنظيم الإدارة والمحافظات والمجالس المحلية وفق منهج اندماجي تام.

كما يخلو اليمن من قوى اقتصادية انفصالية، وتتمركز رساميل يمنية في سوق موحد، كما تتمركز استثمارات نفطية كبرى في إطار اليمن الواحد وتنعقد المصالح الاقتصادية الأساسية في البلاد على النظام الوحدوي.

وفي السياق نفسه تنتهج السلطة اليمنية نهجاً مركزياً ولامركزياً في الآن معاً، ففي حين يتولى الجيش والأجهزة المختلفة دوراً مركزياً في البلاد بصورة متزايدة ومركزة، تنتشر اللامركزية من خلال الإدارة المحلية التي تتمتع بصلاحيات واسعة وتتيح تسلل السلطة المركزية إلى جميع مراكز النفوذ الاجتماعية والمناطقية في البلاد.

يضاف إلى ذلك خلو اليمن من ثقافة انفصالية جدية ومؤثرة، فقد ساهم الحزب الاشتراكي قبل الوحدة في دمج السلطنات والمشيخات وضرب القوى المناهضة للدولة المركزية الموحدة في الجنوب خلال الفترة الواقعة بين



"الوحدة الاندماجية اليمنية تتمتع بخصوصية تميزها عن التجارب الوحدوية العربية المعروفة، فهي وحدة مستأنفة وبراغماتية وترتكز على ثقافة وحدوية راسخة ولا تعترضها قوى انفصالية جديدة"

١٩٦٧م و١٩٨٩م فقدم خدمة كبيرة للوحدة الوافدة، فيما تُعتبر المناطق الشمالية الأكثر كثافة سكانية بمثابة الإقليم القاعدة لليمن المندمج، ما يعني هنا أيضاً أن الفكر الانفصالي لن يجد مساقط مهمة له في البلاد.

أما الأوضاع الإقليمية المحيطة باليمن فتشير إلى ترحيب الخليجيين بالوحدة التي أتاحت تخطيط الحدود مع كل جيران اليمن. وفي السياق نفسه يبدو أن البلاد باتت تشكل رهاناً قوياً لمصالح دولية متنوعة، ومن هنا بات من الصعب أن ترعى القوى العظمى حركات انفصالية يمنية، ناهيك أن اتجاهها المعلن لتركيز نظام عالمي يضعف الحدود ويحوّل الكرة الأرضية إلى سوق كبير لامستقبل فيه للسيادات المجزأة والحركات الانفصالية النازعة نحو الانطواء والانعزال. ولعل مباركة القوى العظمى لحركات انفصالية يمكن أن تتم في حالة واحدة تكمن في إصرار الدول المركزية على مواجهة العولمة والوقوف في وجه الرأسمالية العالمية المسيطرة، وهذه ليست حال الدولة المركزية اليمنية التي تنخرط بحماس في السوق العالمية وتعمل على تكييف السوق المحلية وفق الشروط العالمية المنبثقة بعد انهيار الحرب الباردة.

قصارى القول أن الوحدة الإندماجية اليمنية تتمتع بخصوصية تميزها عن التجارب الوحدوية العربية المعروفة، فهي وحدة مستأنفة وبراغماتية وترتكز على ثقافة وحدوية راسخة ولا تعترضها قوى انفصالية جديدة وتتناسب مع شروط العصر المتعولم أكثر فأكثر، وهي أخيراً وحدة دفاعية وغير هجومية، ولعل هاجسها الأكبر يكمن في تحقيق قدر كبير من التنمية والتحديث، وهذه مهمة تحتاج إلى انصراف اليمنيين ـ وربما لأكثر من ربع قرن ـ إلى توظيف مواردهم في خدمة الهدف المذكور إذا أرادوا أن ينخرطوا في العصر وأن يقصّروا المسافات التي تفصلهم عنه. ■



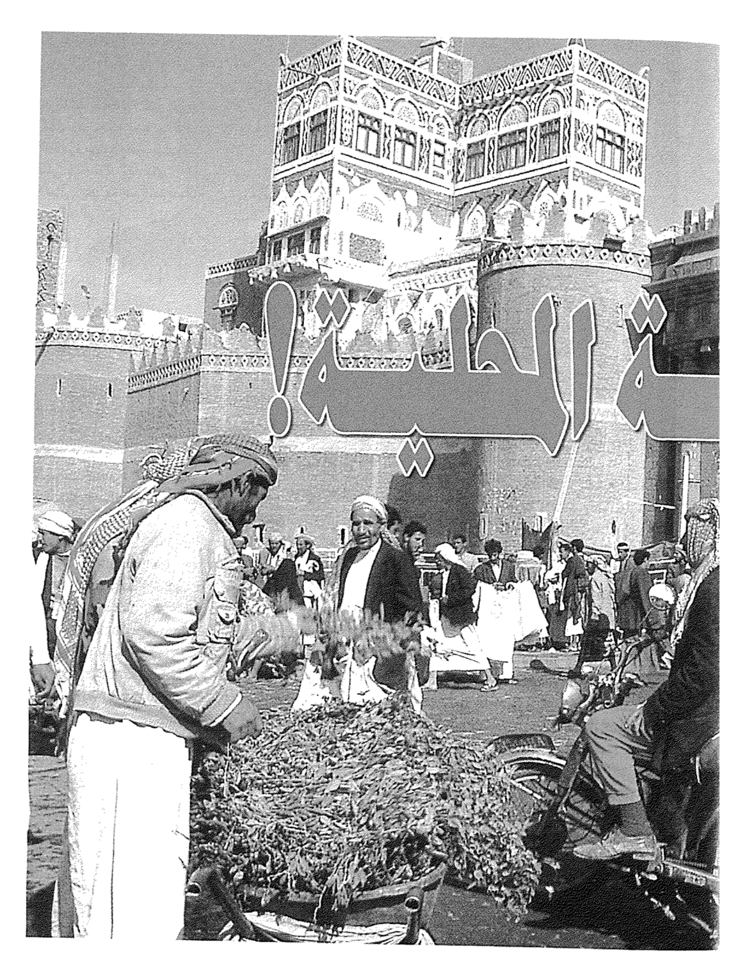
القات في اليمن:
تخزين الثقاف

عبدالله علي الزلب *
صنعاء

في الوقت الذي نجد فيه العالم يتجه نحو حضارة «ذات بعد واحد»، بتعبير عالم الاجتماع الفرنسي آلان تورين (Alain Touraine)، حضارة تجعل من المجتمعات أكثر تشابهاً في الكثير من السمات الثقافية والنظم السياسية والاقتصادية، نجد أن اليمن المعاصر يتجه أكثر فأكثر إلى التفرد في نظامه الاجتماعي وسماته الثقافية، من وجهة نظر سوسيو ـ ثقافية. فإذا أخذنا، على سبيل المثال، إحدى أهم الظواهر المؤثرة في حياة اليمنيين اليومية وهي ظاهرة استهلاك القات نجد أن هذه الظاهرة شهدت في العقود الثلاثة الماضية انتشاراً كبيراً لم تشهده في أي وقت مضى، خلافاً لما كان توقعه بعض الباحثين من أن انفتاح اليمن على العالم والثقافات الأخرى وإحداث تنمية شاملة كفيل بالحد من هذه الظاهرة وربما القضاء عليها! فلماذا حدث ذلك؟ هل يمكن تفسير ذلك بمسألة تأكيد الهوية وسط التحديات الثقافية المتنامية وفي إطار ما يوصف بـ«عولمة الثقافة» وهيمنة ثقافة الآخر «الغربي»؟

---

* باحث يمني في علم الاجتماع والاتصال.


ة الحلية!

بالنظر إلى الحياة الاجتماعية في اليمن يبدو أن هناك تفسيرات عديدة للإقبال على القات، فقد يبرر تخزين القات بالمحاكاة والتقليد وتضمنه معاني الرجولة، وقد يرجع إلى الوظائف المختلفة التي يقوم بها مجلس القات كفضاء اجتماعي، كما قد يرجع ذلك إلى التوظيف السياسي لهذه الظاهرة من قبل المؤسسات السياسية في الحكم والمعارضة، على حد سواء، وقد يكون للعامل الاقتصادي دور مهم، لكن المعاني الجديدة التي تضمنها تخزين القات هي أنه يأتي كرد فعل ثقافي تجاه تسارع التغيرات الاجتماعية والثقافية والهروب من مواجهتها، أو كمؤشر للهوية، كما ذهب إلى ذلك فاريسكو (Varisco)[١] في ضوء المتغيرات الجديدة في المجتمع، هي الأكثر أهمية والأكثر إقناعاً في الوقت الحاضر.

وعليه فإننا سننطلق في تحليلنا لتفسير إقبال اليمنيين على القات من فرضية مركزية تعتبر فعل «تخزين القات» ممارسة ثقافية (قيم، علاقات، معايير، سلوك..)، وليس مجرد استهلاك لنبات منشط. فاستهلاك القات في اليمن، لا يمكن أن يفهم في إطاره المادي فحسب، بل يتطلب الإحاطة بجوانب الظاهرة الاجتماعية والثقافية. حيث نجد أن فعل «تخزين القات» منظم بعادات المجتمع وله دلالات ومعان ذات أثر بالغ في الثقافة اليمنية، وأن الإقبال الكبير على استهلاك القات في اليمن يعود إلى أهميته الاجتماعية في الحياة اليمنية، حيث خلفت التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها اليمن منذ ثلاثة عقود تقريباً شكوكاً وغموضاً حول الوضعية الاجتماعية، وعززت الرغبة والضرورة في تحديد الهوية الشخصية وتأكيد الانتساب العائلي، وتقوية العلاقات والحصول على امتيازات.

> „ استهلاك القات في اليمن، لا يمكن أن يفهم في إطاره المادي فحسب، بل يتطلب الإحاطة بجوانب الظاهرة الاجتماعية والثقافية "

وقبل أن ندخل في تفصيل ما سبق تقديمه يتوجب أولاً الإجابة عن بعض التساؤلات الأساسية مثل: ما هو القات؟ وما هي خصائصه؟ وكيف ظهر في اليمن؟ ولماذا اشتهر استعماله وانتشر في اليمن وبعض دول القرن الإفريقي دون غيرها؟

ما هو القات؟

القات اسم لنبات أوراقه دائمة الخضرة، ويأخذ أشكالاً عديدة من الأشجار الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، ولها جذوع رفيعة ومستقيمة ذات أوراق كثيفة متقابلة، شكلها بيضاوي ومدببة الرأس، لونها أخضر فاتح لامع، وتميل أوراق بعض أنواع القات إلى الاحمرار (القات المحمر) أو إلى اللون الأبيض (البياض).

وفي الاصطلاح النباتي يصنف القات على أنه نبات ذو فلقتين وينتمي إلى العائلة السلاسترسية celastracea والتي تحتوي على نحو أربعين جنساً. والجنس الذي ينتمي إليه القات يحتوي على ٧٥ نوعاً، من بينها نباتات طبية وأشهرها القات[٢]. ويطلق على القات في علم النبات اسم (كاثا أدوليس فورسكال) Catha Edulis Forskal[٣] نسبة إلى عالم النبات السويدي (بيتر فورسكال) Forskal[٤]، أول من عرف القات نباتياً، وقد أعطى اسماً لاتينياً للمصطلح العربي وسماه Catha وأضاف مصطلح Edulis لأنه يؤكل أو يمضغ. وعندما توفي فورسكال قام كارستن نيبور Niebuher بنشر دراساته حول النباتات في اليمن وبعض البلدان العربية وأضاف اسم فورسكال Forskal للاسم العلمي للقات تكريماً له[٥].

ويوجد القات بصفة طبيعية في أمكنة عديدة من العالم وقد يكون مجهولاً فيها. كما يعرف في بعض البلدان كنبات طبي مثل أوغندا ورواندا وبورندي وزامبيا وزيمبابوي والموزمبيق وتركستان وأفغانستان[٦]، ولكنه لا يستهلك كنبات منشط وبصفة كبيرة كما هو الحال في اليمن وبعض دول القرن الإفريقي. وتتركز زراعة القات بكميات تجارية كبيرة في كل من إثيوبيا والصومال. كما يزرع بكميات ضئيلة ومتفاوتة في بلدان مثل مدغشقر وبعض المناطق المحتلة في فلسطين، وجزر القمر وكينيا وتنزانيا وفي بعض المناطق السعودية المتاخمة للحدود مع اليمن والمتداخلة معها[٧].

أما في اليمن فتنتشر زراعته في معظم المناطق تقريباً باستثناء جزء من السهل التهامي في الغرب والمناطق الساحلية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي، والجزر اليمنية المنتشرة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وبعض المناطق الصحراوية في مأرب المحاذية لصحراء الربع الخالي، وجميع هذه المناطق لايزرع فيها القات لعدم صلاحية مناخها وتربتها لزراعته. وتعتبر محافظة صنعاء من أهم مناطق زراعته[٨].



ويشكل القات اليوم أحد أهم المحاصيل الزراعية النقدية في اليمن، ويستهلك إنتاج اليمن من القات محلياً، باستثناء بعض الكميات المحدودة التي يتم تصديرها إلى جيبوتي وبعض البلدان الأخرى. وتقدر الهيئات الرسمية إجمالي المساحات المزروعة بالقات بـ(٨٢٤٥٩) هكتاراً وعدد الأشجار المزروعة (٢٠٢,٦٢٩,٦٠٠) شجرة(٩).

وفعل «خَزَّنَ» هو الفعل سائد الاستعمال في اليمن للتعبير عن كيفية استهلاك القات بدقة ووضوح، ويتم ذلك بقطف الأوراق الغضة، الصغيرة عادة، والبراعم الطرية، ثم مسحها باليد ووضعها في أحد جانبي الفم بين الأسنان والوجنة، والاحتفاظ بها - مخزونة - لمدة تراوح بين ثلاث ساعات وخمس ساعات، حيث يستحلب عصيرها ببطء مع الماء الذي يتم ارتشافه بصورة متواترة دون ابتلاع الأوراق. من هنا جاءت تسمية فعل استهلاك القات بـ«التخزين» ويطلق على مستهلك القات اسم (المُخَزِّن). وفي ذلك الاستعمال تميز عن عمليات استهلاك المواد الغذائية والمكيفة الأخرى مثل فعل يتعاطى أو يتناول أو يمضغ.. إلخ.

وبداية من عام ١٨٨٦م، حاول عدد من الباحثين تحليل نبات القات كيميائياً. وأجريت منذ ذلك التاريخ العديد من التجارب المخبرية لمعرفة العناصر الداخلة في تكوينه وخصائصها(١٠).

وقد أثبتت هذه التجارب احتواء أوراق القات الطازجة على المواد التالية:

أ - القلويات: وهي مواد فعالة ويعزى لها تأثيرات القات المنشطة، وهناك خلاف حول عددها، إلا أن جميع البحوث تتفق حول وجود مادة (الكاتين) Cathine وهي من أهم المواد بالإضافة إلى الكاتدين Cathidine والكاتنين والكاتينون Cathinon، وقد لاحظ خبراء منظمة الصحة العالمية أن هذه الأخيرة تشبه مادة الأمفتامين، ونسبة هذه القلويات تراوح بين ١٪ إلى ١٨٪(١١).

ب - الأحماض الأمينية ومادة الكولين.

ج - التانين Tannin: وهي مادة قابضة تسبب الإمساك وتوجد بنسبة ٧,٤٪(١٢).

د - الفيتامينات والمعادن: حيث ثبت وجود فيتامين (C) والكالسيوم والحديد والسكر بنسب ضئيلة(١٣).

الجذور التاريخية لاستعمال القات

إن ظاهرة استعمال القات في اليمن ليست ظاهرة ساكنة، ولكنها متحركة ومتغيرة، فهي لم تكن خلال القرون الماضية في الصورة نفسها التي هي عليها الآن فيما يتعلق بطرائق الاستعمال والانتشار والأهمية الاجتماعية والأدوار المختلفة. ويتسم تاريخ القات ببعض الغموض والتداخل مع الأسطورة، بالإضافة إلى اختلاف الرؤى حول أصله وتاريخ ظهوره وكيفية انتقاله من منطقة

إلى أخرى وبالأخص مسألة ظهوره في اليمن.

ويتفق أغلب المؤرخين والباحثين في موضوع القات بأن أول ذكر للقات جاء في كتاب الأقرباذين أو العقاقير المركبة، لمؤلفه نجيب الدين السمرقندي، (توفي عام ١٢٢٢م)، والذي ذكر القات كنبات طبي. ويذكر التيجاني الماحي[١٤] أن السمرقندي وصف خصائص القات في كتابه قائلاً إنه: «يستعمل لأغراض التنشيط ومفيد في الترويح عن النفس من أعراض الكآبة والانقباض»[١٥]. وهناك من يرى أن القات ظهر قبل عقود كثيرة من الكتابة عنه في أوساط الفئات الاجتماعية الدنيا، ومن ثم انتشر وتأسس كعادة اجتماعية وبدأ الناس تعوده ومنهم النخبة، وعندها بدأت الأخيرة الكتابة عنه ووصفه.

ويمكن القول بأن نبات القات قد وجد في مناطق عديدة على وجه الأرض، وأن اكتشاف استعمالاته المختلفة قد حصل في أكثر من مكان في العالم وفي فترات زمنية مختلفة، إلا أنه لم يتم توثيق ذلك في المصادر التاريخية. ونذكر على سبيل المثال اكتشاف اليمنيين اليهود - بعد رحيلهم من اليمن في أوائل الخمسينيات من القرن المنصرم - وجود القات في الأراضي الفلسطينية، ولم يكن أحد من السكان الأصليين في فلسطين يعرف عنه شيئاً قبل وصولهم.

والملاحظ أنه رغم اتفاق أغلب المؤرخين والدلائل المتوفرة، حتى الآن، حول الأصل الحبشي للقات، إلا أن تاريخ ظهوره في اليمن وبدايات استعماله الجماعي بقي موضوع خلاف يمكن حصره في فرضيتين أساسيتين: الفرضية الأولى، تقول بظهور القات في القرن السادس الميلادي إبان الغزو الحبشي لليمن عام ٥٤٥م. الفرضية الثانية، تذهب إلى أن ظهور القات في اليمن يعتبر حديثاً (بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر).

والأرجح أن استعمال القات، كمادة منشطة و«مكيفة»، كان معروفاً في بداياته لمجموعات معينة ومحدودة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر من التاريخ الميلادي. وعدم ذكر القات في بعض المصادر التاريخية لا يعني، بصفة قطعية، أنه لم يكن معروفاً في تلك الفترة. ولذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار عند دراسة الشواهد الوثائقية حول القات، الافتراض بإمكانية تجاهل أو تهميش بعض الكتاب لذكر القات في المخطوطات القديمة. ومن الثابت أن أول استعمال للقات قد سبق الكتابة عنه في أوساط الشرائح الاجتماعية الدنيا، فالمزارع أكثر التصاقاً بالأرض ومن الطبيعي أن تكون معرفته باستعمالات القات سابقة لأي فرد آخر. وبعد ذلك انتشر القات وتأسس كعادة اجتماعية وبدأ الناس يعتادونه ومنهم النخبة وعندها بدأت الأخيرة الكتابة عنه ووصفه.

وترى الباحثة البريطانية شيلا وير weir أن القات لم يرتبط في التاريخ اليمني بالجاه والمكانة «للنخبة المحظوظة»، وهذا الانطباع حصل عن طريق الكتابات والقصائد والأساطير، وأنه لم يكتب عنه إلا بعد تبنيه من قبل الشرائح الاجتماعية التي تحتل المراتب الأولى في نظام التراتب الاجتماعي السائد آنذاك[١٦].

وبينما كان استهلاك القات في اليمن محدوداً في وقت مبكر من القرن الرابع عشر الميلادي، إلا أنه أصبح أكثر انتشاراً خلال القرن الخامس عشر وما بعده وهي الفترة الزمنية التي لفت فيها اهتمام المؤرخين المعاصرين والأدباء الذين كتبوا عنه الكثير من القصائد الشعرية. ومن أمثال ذلك قول عبدالله ابن الإمام شرف الدين في عام (٩٥٠هـ) في قصيدته المشهورة[١٧]:

أدر غصوناً يواقيتاً من القات
زبرجديات أوراق وريقات
يجلو تناوله قلبي ورؤيته
طرفي وتحلو به حالي وأوقاتي

وتدل هذه النصوص المتأخرة في الزمان، على أنه كان موجوداً قبل تاريخ نظمها بفترة طويلة، وأنه لا يمكن أن يكون حديث الظهور والاستعمال بل كان قد صار عادة معروفة لدى الكثير من السكان وممارسة من قبل مجموعات اجتماعية معينة لقلة غرسه واستهلاكه.

وانطلاقاً من القرن ١٦م يمكن الحديث عن زراعة حقيقية للقات في اليمن حيث شاع استعمال القات كمادة للكيف والترفيه جماعياً في مجالس خاصة بذلك في جهات كثيرة من البلاد. ومن دلائل ذلك الانتشار ما أثير من جدل فقهي حول مسألة تحليله أو تحريمه في الشريعة الإسلامية بين فقهاء من اليمن ومن خارجها[١٨]. ومع ذلك فقد كان انتشار استهلاك القات بطيئاً في الفترة التي بين القرنين السادس عشر والعشرين من التاريخ الميلادي، واقتصر على فئات تنتمي إلى المراتب العليا في سلم التراتب الاجتماعي في اليمن آنذاك كالسادة والقضاة والفقهاء وبعض الميسورين من التجار ورجال الدولة، ولم يكن القات معروفاً لعامة الناس. ويبدو أن العامل الأساسي لبطء انتشار القات واقتصار استهلاكه على فئات معينة خلال هذه الفترة الطويلة يرجع إلى ارتفاع سعره وقلة زرعه. ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، كان «تخزين» القات قد تأسس في الحياة الاجتماعية اليمنية كعادة منتظمة شاعت في كثير من المناطق اليمنية وفي مدنها على وجه الخصوص. وإذا كانت هناك بعض الشكوك حول شيوع عادة تخزين القات في أوساط مختلف فئات المجتمع اليمني وشرائحه في وقت مبكر من القرن (١٩م)، إلا أن المتفق عليه من قبل جميع



الباحثين في موضوع القات أنه مع مطلع القرن العشرين، وبالتحديد مع رحيل الأتراك، كان تخزين القات قد أصبح عادة اجتماعية منتظمة منتشرة في أغلب المناطق اليمنية[١٩].

القات والمصلحة

اختلف الكتاب والباحثون حول الآثار الاقتصادية للقات سلباً وإيجاباً، ففي الوقت الذي تؤكد فيه الباحثة الفرنسية بلاندين ديسترمو DESTREMEAU، أن القات أدى دوراً مهماً في التنظيم الديمغرافي والاقتصادي في الريف اليمني وإحداث استقرار اجتماعي واقتصادي في البلاد بشكل عام[٢٠] يذهب البعض الآخر من المعارضين لاستعماله إلى أنه سبب رئيس لتعثر الكثير من مشروعات التنمية، وأنه يعمل على «إعادة إنتاج التخلف»[٢١]. وبغض النظر عن تباين الآراء والأطروحات في هذا الشأن فإن مما لا شك فيه أن عامل المصلحة، سواء كانت فردية أو جماعية، أدى دوراً مؤثراً في انتشار استعمال القات في اليمن.

«أخطر الآثار الاقتصادية الناتجة عن التوسع في زراعة القات تتمثل في الاستنزاف الكبير للمياه الجوفية، حيث يبلغ حجم المياه التي تستهلكها مزارع القات نسبة 55% من إجمالي الاستهلاك»

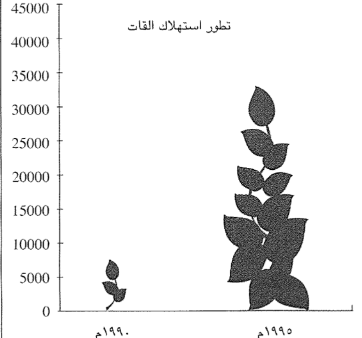
فالقات يعتبر، في جميع الأحوال، أفضل محصول نقدي بالنسبة إلى عدد كبير من الأسر الزراعية في الريف اليمني، نظراً إلى مردوديته الكبيرة. ويكاد يكون المحصول النقدي الوحيد لبعض هؤلاء المزارعين. واستناداً إلى دراسة كيندي[٢٢]، فإن زراعة القات وحدها كانت تساهم بنسبة ٥٠٪ من الإنتاج الزراعي بكامله و٣٠٪ من إجمالي الإنتاج المحلي عامي ٧٣ - ١٩٧٤م. ومن المؤكد أن هذه النسبة قد ارتفعت خلال السنوات الأخيرة بسبب زيادة المساحات المزروعة بالقات.

ونظراً إلى عدم توفر إحصاءات دقيقة حول القات فسنحاول هنا توخي الحذر والدقة في تقدير مساهمة القات في الدخل الزراعي بالاستفادة من الملحوظات الميدانية المباشرة والدراسات السابقة في هذا المجال، بالإضافة إلى ما توفر من تقديرات إحصائية حول المساحة ومتوسطات الإنتاج والإنفاق. وباعتبار أن الهكتار

المزروع بأشجار القات يحتوي في المتوسط على نحو ٢٣٢٢ شجرة وأن متوسط إنتاج الشجرة ربطة واحدة في السنة، وأن متوسط قيمة الربطة الواحدة نحو ٢٠٠ ريال عام ١٩٩٥ م[٢٣]، ومن هنا فإن إجمالي متوسط الإيراد السنوي من القات للهكتار الواحد يبلغ ٣٦٠٢٩٩ ريالاً بسعر المنتج. ومن ذلك نجد أن إجمالي متوسط إنتاج القات بسعر المنتج يصل إلى ٢٣٣٨٦ مليون ريال عام ١٩٩٥[٢٤]. وباستبعاد مستلزمات الإنتاج نحصل على الدخل المحلي الإجمالي من القات الذي يبلغ ٢١٧٠١ مليون ريال. وبإضافة ذلك الناتج إلى الناتج المحلي للقطاع الزراعي فيصبح ٦٥٠٣٩ مليون ريال للسنة نفسها، وهذا يعني أن القات قد شكل نحو ٣٣,٤٪ من الناتج الزراعي.

ولا يقتصر أثر ذلك على القطاع الزراعي، بل يمتد إلى القطاعات الأخرى كالنقل والمواصلات والتجارة والتوزيع، فإذا تم حساب الآثار الأخرى في باقي القطاعات وإضافة جميع الآثار الناجمة عن إضافة ناتج القات نجد أن محصول القات يمثل ٩,٣٪ من إجمالي الناتج المحلي لعام ١٩٩٥م بالأسعار الجارية، الأمر الذي يدل على أهمية القات في رفع مستوى الدخل المحلي.

ويلاحظ أن الإنفاق على استهلاك القات شهد تطوراً كبيراً خلال السنوات الخمس الأخيرة، حيث بلغ عام ١٩٩٠م (١٤٥٨١) مليون ريال، وارتفع إلى (٤١٢٠٢) مليون ريال عام ١٩٩٥[٢٥]. والرسم البياني أدناه يوضح مدى الفارق الكبير في استهلاك القات وتطوره خلال السنوات الخمس بين عامي ١٩٩٠م-١٩٩٥م.

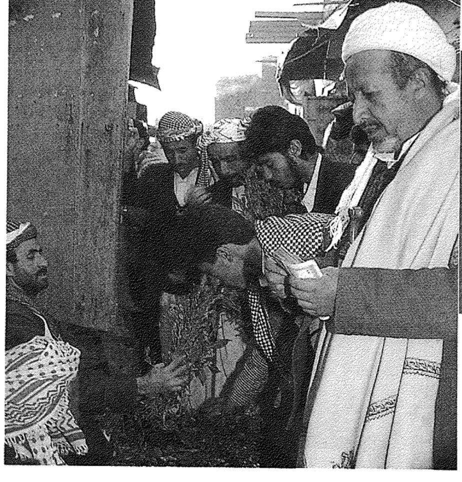


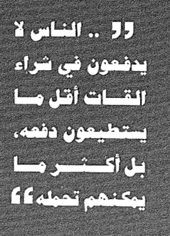
وتطرح العلاقة بين استهلاك القات وميزانية الأسرة العديد من الأسئلة، منها: لماذا يتحمل ذوو الدخل المحدود تكاليف الإنفاق الباهظة على القات والذي يتجاوز أحياناً الدخل الشهري المصرح به لبعضهم، بالإضافة إلى مواجهة متطلبات الاستهلاك الأسرى الضرورية؟ وهل أن سوء التغذية الذي يصيب الكثير من أفراد الأسر اليمنية يرجع إلى تبديد المخزنين من أفرادها نسبة كبيرة من دخلهم كما يذهب إلى ذلك الباحث الاقتصادي محمد العطار؟[٢٦] وما هي المكانة التي يحتلها القات كمادة استهلاكية في سلم أولويات المواد الاستهلاكية للأسرة اليمنية؟

والإجابة عن الأسئلة السابقة تتطلب توفر بعض الإحصاءات والمعلومات حول أسعار القات ومتوسط دخل الأسرة في اليمن وإجمالي الإنفاق الشهري. ولن يكون للإحصاءات والأرقام أي معنى دون دراسة العلاقة بين كل من الأسعار والدخل والإنفاق والعوامل التي تتدخل في توجيهها وتحديدها.

الأسعار والدخل والإنفاق

هناك تفاوت كبير في أسعار القات باختلاف أنواعه وأحجامه، وتراوح أسعار القات بين ٢٠٠ ريال إلى ٤٠٠٠ ريال تقريباً وفقاً لأسعار عام ١٩٩٥م. ويمكن حساب متوسط





الأسعار للأنواع المتوسطة والرخيصة من القات بـ٢٠٠ ريال والأنواع المرتفعة الثمن بـ٥٠٠ ريال. ويبين الجدول أدناه مدى تطور أسعار القات خلال العشرين سنة الماضية.

١٩٧٥م	١٩٨٠م	١٩٨٥م	١٩٩٠م	١٩٩٥م
٦ إلى ٨ ريال	٣٥ إلى ٦٠	٥٠ إلى ٢٠٠	١٥٠ إلى ٣٠٠	٢٠٠ إلى ٥٠٠

كما تتنوع أسعار القات باختلاف المناسبات الاجتماعية والأعياد، وأحياناً الأيام، وأهم من ذلك اختلاف أنواعه ومناطق زراعته. وأصبح من المعتاد والمتعارف عليه في أوساط مستهلكي القات - وبشكل خاص في المناطق الشمالية ذات الطبيعة الجبلية - ارتفاع أسعار القات في فصل الشتاء وانخفاضها في الصيف بسبب تأثيرات الطقس السلبية على النبات والمتميز بالبرودة والجفاف، والتي تعمل على تأخير نموه وقد تقضي عليه في بعض الأحيان، فيقل الإنتاج، ومن هنا يكون العرض مقابل الطلب. وتدفع الأعياد والمناسبات الاجتماعية كالزفاف الكثير من غير المخزنين في سائر الأيام إلى تخزين القات، الأمر الذي يرفع من الطلب عليه فترتفع أسعاره.

فالقات كمنتوج زراعي لا يخضع تحديد أسعاره إلى العوامل الاقتصادية فقط في مثل تكاليف الإنتاج ومواصفات الجودة كغيره من المنتجات الزراعية والصناعية الأخرى، الأمر الذي يصعب معه الحديث عن أسعار ثابتة وموحدة للقات. ونضرب لذلك مثالاً، بمقارنة القات من النوع الضلاعي والقات من النوع السوطي، حيث نجد أسعار النوع الأول مرتفعة جداً ويصل سعر الربطة منه إلى أربعة آلاف ريال[٢٨] رغم أن مزارعه لا تبعد عن الأسواق سوى بضعة كيلومترات. كما أن تكاليف إنتاجه لا تختلف كثيراً عن «السوطي» الذي يأتي إلى أسواق صنعاء من مناطق تبعد أكثر من ٢٠٠ كم، ومع ذلك فأسعاره زهيدة ولا يتجاوز ثمن الربطة منه مئة ريال فقط. فالذي يحدد السعر هنا هو المستهلك نفسه واختياره لنوع معين وتفضيله على الأنواع الأخرى بالإضافة إلى قدرته الشرائية ومكانته الاجتماعية.

وترتكز اختيارات المستهلك لأنواع القات على مرجعية ثقافية تتصل بأنظمة القيم والمواقف والتصورات السائدة في المجتمع اليمني. فالشائع في أوساط المخزنين أن الأنواع رخيصة الثمن لها تأثيرات سلبية على المخزن، كالأرق والضعف الجنسي والسيلان المنوي وفقدان

الشهية... بينما يسود الاعتقاد بأن الأنواع مرتفعة الثمن أكثر جودة لتأثيراتها الإيجابية على جسم المخزن وذهنه. فـ«الفيتيشية» وأنظمة القيم والمواقف السائدة هي المحدد الرئيس لأسعار القات وليس المنطق الاقتصادي المتمثل في آلية العرض والطلب أو الجهات المختصة بتحديد الأسعار في الدولة.

وقد لاحظت واير Weir أن المسألة الحاسمة في تحديد سعر القات، هي أن الناس لا يدفعون في شراء القات أقل ما يستطيعون دفعه بل أكثر ما يمكنهم تحمله، فالقدرة هنا مرتبطة بالدخل وتقول: «إن القوى المتأصلة في مضامين استهلاك القات ومعانيه تدفع نفقات كل مستهلك إلى أعلى

«كان الناس يلاحظون شُراة القات فيعرفون دخل كل مشترٍ لأن الأثمان تدل على المباع، فكانوا يسمون القات الجيد بقات الظَّلَمة أو الورثة ويسمون القات متوسط الجودة قات الموظفين»

مستوى بالنسبة إلى عائداته، وهذه الآلية هي التي تجعل من القات سلعة باهظة الثمن»[٢٩]. وتعزز الباحثة الفرنسية ديسترمو Destremeau هذا الطرح بقولها: «رغم أن حركة الأسعار تخضع لميكانيزمات السوق لكنها في آخر المطاف تخضع لعوامل خارجية تماماً مستقلة عن القيمة الحقيقية للمنتوج وتكلفة الإنتاج»[٣٠].

وباستعارة تحليل بورديو Bourdieu للظاهرة الاجتماعية[٣١]، يمكن القول أن للقات، كمنتوج، قيمتين، الأولى مادية ـ سلعية ـ والثانية دلالية لها أبعاد ثقافية واجتماعية، تتدخل في آلية تحديد أسعار القات وفي اختيارات المخزنين للأنواع المختلفة وحجم الإنفاق. فنجد على سبيل المثال أن القات «الشامي» أو البلدي من أغلى الأنواع وذلك بسبب قيمته الرمزية بغض النظر عن خصائصه المادية وتكاليف إنتاجه. وقد اكتسب هذه القيمة من دلالات استهلاكه السائدة في ثقافة القات، فهذه الأنواع لا يستهلكها عادة إلا ذوو الدخل المرتفع من شيوخ القبائل ورجال الأعمال ومسؤولي الدولة الكبار. كما ارتبط استهلاك القات من نوع «السوطي» و«القطل»، والذي لا يختلف كثيراً في تكاليف إنتاجه أو خصائصه النباتية المنبهة، بذوي الدخل المحدود من الأفراد المنتمين إلى الشرائح الاجتماعية



الوسطى والدنيا في نظام التراتب الاجتماعي.

ولم تكن ثقافة القات تتضمن مثل هذه المظاهر قبل الستينيات حينما كانت ممارسة تخزين القات حكراً على فئات وشرائح اجتماعية معينة، مقتصرة على فئة الرجال والمتصوفين وأولئك المنتمين لشريحة السادة والقضاة، فكان استهلاك القات في حد ذاته يحمل دلالات الانتماء الاجتماعي الطبقي، ويشكل مظهراً سلوكياً من مظاهر معايير التمايز الرمزية بين مختلف الشرائح والجماعات الاجتماعية. وقد ساد في ذلك بعض التصورات في إطار ثقافة القات عملت على تكريس التمايز، فكان من «العيب» والمخل بمكانة المزارع «القبيلي» أن يخزن القات في مجلس جماعي «محاكاة» لسكان المدن ـ الذين لا ينتمون بطبيعة الحال إلى المجتمع القبلي ـ وكذلك الشأن بالنسبة إلى المرأة التي تحتل مكانة أدنى من الرجل في الثقافة السائدة آنذاك.

ونتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية الأخيرة، بدأ فعل استهلاك القات يظهر في شكله الخارجي، كمنتوج استهلاكي «ديمقراطي»، على حد تعبير جيرهولم

مرة، وعدد مرات الاستهلاك في الشهر، بالإضافة إلى عدد الأفراد المخزنين في الأسرة الواحدة. ويعتبر مستوى الدخل الأسري العامل الحاسم في حجم الإنفاق الأسري على القات.

وفي مسح ميزانية الأسرة اليمنية لعام ١٩٩٢م، وجد أن نسبة إنفاق الأسرة على القات بلغت ١٠٩٠ ريالاً شهرياً للأسرة الواحدة كمتوسط مرجح على مستوى الجمهورية(٣٣)، وبذلك يحتل القات نسبة ١٣,١٪ من إجمالي متوسط الإنفاق على السلع الغذائية البالغ ٨٦١٢ ريالاً(٣٤). وإذا احتسبنا ما يحتله الإنفاق على القات من متوسط دخل الأسرة اليمنية فإننا نجده يصل إلى

"ارتفع الإنفاق على القات لدى الأسرة اليمنية خلال السنوات الأخيرة ليصل إلى المرتبة الثانية بعد الحبوب النباتية في قائمة السلع الغذائية بنسبة 7,6% "

١٥,٨٪ على مستوى الجمهورية، ويأتي الإنفاق عليه في المرتبة الثالثة بعد الحبوب (٢٣,٣٪) واللحوم (١٨,٧٪) في قائمة الإنفاق على السلع الغذائية(٣٥). وقد ارتفع الإنفاق على القات لدى الأسرة اليمنية خلال السنوات الخمس التالية ليصل إلى المرتبة الثانية بعد الحبوب في قائمة السلع الغذائية بنسبة ٧,٦٪(٣٦).

وإذا كان للقات أثره على نفقة المعيشة للأسرة والفرد من خلال مشاركته في زيادة الإنفاق الاستهلاكي، فإن له أثره كذلك على عملية الادخار الناجمة عن الآثار التوزيعية التي يتركها على الدخل في المجتمع. وإذا ما سلمنا بأن القات منتوج مستهلك داخلياً وأن دورة النقود تتم في الداخل فإن حجماً كبيراً منها يتراكم لدى منتجي القات وعددهم محدود.

كما يذهب بعض الباحثين إلى أن الأوقات التي يمضيها المستهلكون في مجالس القات تعد ساعات ضائعة تشكل فقداً اقتصادياً وتقدر بحوالي ١٤,٦٢٢,٠٠٠ ساعة عمل يومياً. بالإضافة إلى أن التوسع في المساحات المزروعة بالقات يتم على حساب محاصيل نقدية تصديرية مثل البن والفواكه.

أما أخطر الآثار الاقتصادية الناتجة عن التوسع في



Gerholm، في متناول الجميع ومن حق الجميع. لكن ثقافة القات عملت على إبراز عناصر جديدة ودلالات استهلاكية أخرى بديلة تتماشى مع التحولات الاجتماعية والثقافية الكبرى لتكريس التمايز بين شرائح المجتمع في ظل التغيرات التي يشهدها نظام التراتب الاجتماعي. ومن أبرز الدلالات الجديدة، تلك المرتبطة بنوع القات، ومستوى الإنفاق، وأشكال الاستهلاك وتمظهراته المختلفة في المجالس القاتية. ويذكر البردوني أن نوع القات وكميته أصبحا مؤشراً لمستوى دخل الفرد ولتقويم سلوكه الاجتماعي ويقول البردوني: «كان الناس يلاحظون شراة القات فيعرفون دخل كل مشتر لأن الأثمان تدل على المباع، فكانوا يسمون القات الجيد بقات الظلمة أو الورثة ويسمون القات متوسط الجودة قات الموظفين»(٣٢).فيتداخل هنا الاقتصادي مع الثقافي والاجتماعي في تفسير السلوك القاتي للفرد.

يعتمد الإنفاق الفردي والأسري على القات على عدد من العوامل منها، سعر الربطة، وعدد الربط المستهلكة كل

زراعة القات فتتمثل في الاستنزاف الكبير للمياه الجوفية، حيث يبلغ حجم المياه التي تستهلكها مزارع القات نسبة ٥٥٪ من إجمالي الاستهلاك[٣٧]، وهي نسبة مثيرة للقلق وتهدد مستقبل احتياطي المياه الجوفية في مناطق المرتفعات المتوسطة والشمالية. كما تنعكس الآثار الصحية السلبية للقات بشكل مباشر على الاقتصاد اليمني بسبب انتشار الأمراض الناتجة عن الإفراط في استهلاك القات ومعالجته بمبيدات ضارة على صحة الإنسان وصلاحية التربة. ويذكر الباحث عبدالرحمن ثابت أن القات يعامل بالعديد من المبيدات المحرمة دولياً حسب توصيات منظمة الصحة العالمية، حيث وجد من خلال الأبحاث أن ٩٠٪ من المبيدات الفطرية و٥٠٪ من مبيدات الحشائش و٣٠٪ من مبيدات الحشرات تسبب السرطان[٣٨].

الفاعلية الاجتماعية للقات

يذكر الباحث اليمني د. عبدالملك المقرمي أن القات يستمد مشروعية وجوده وشيوع استعماله من «مرجعية تاريخية، دينية - اجتماعية، تعزله عزلاً تاماً عن المخدرات وبقية المغيّرات، فكان لارتباط استهلاكه في بداية ظهوره من قبل النخب الدينية معان أضفت عليه مشروعية دينية غير قابلة للتشكيك»[٣٩]، حيث يتفق فقهاء المذهبين السائدين في اليمن، الزيدي والشافعي، على إباحة استهلاكه.

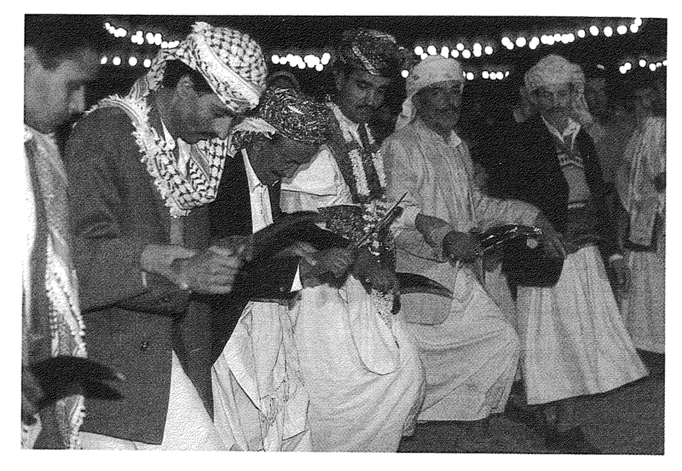
ولذلك يجب البحث هنا، بغض النظر عن تأثيرات القات الفسيولوجية الواضحة، عن الدوافع الحقيقية لاستهلاك القات فيما يمكن تسميته «بالفاعلية الاجتماعية» التي ينتجها، فاستهلاكه أحد أهم شروط الدخول إلى مؤسسة مجلس القات. وفي مجتمع تقليدي في أوج تحوله يشكل استهلاك القات رهاناً اقتصادياً واجتماعياً من الطراز الأول. فهو يتيح للفرد تحقيق بعض الطموحات الاجتماعية وبناء شبكة من العلاقات، كما يتيح المجال لتلقي بعض المعارف المفيدة في بعض الاستراتيجيات الاجتماعية.

إن التحولات الدراماتيكية التي يخضع لها المجتمع اليمني منذ نهاية الستينيات على جميع المستويات، وما ترتب على ذلك من انتشار الأيديولوجيات الجديدة ودخول التكنولوجيا الحديثة وما تحمله من أنماط حياتية جديدة على المجتمع، قد دفعت بالبعض إلى الاعتقاد بأن ذلك من شأنه أن يهدد الثقافة اليمنية التقليدية وتماسك المجتمع كما حدث في بعض المجتمعات العربية.

وفي ضوء تلك المتغيرات، التي تزامنت مع ارتفاع كبير في دخل الفرد، طرح تساؤل ملح حول الهوية وهي مسألة جوهرية في السياق اليمني. فلم يعد الانتماء إلى قبيلة أو عائلة أو منطقة كافياً وأصبحت الحاجة ملحة في الوقت الراهن إلى تحديد هوية الإنسان اليمني المعاصر مقابل الثقافات العربية والجنسيات الأخرى وفي اتجاه إيجابي. وأصبح اليمنيون مطالبين أكثر من أي وقت مضى بالتوفيق بين القديم والجديد، ومواجهة تحديات التغيير؛ لأن رفض الجديد والبقاء في العزلة السابقة لم يكن بيدهم، فالعالم من حولهم يتدخل في اختيارات الإنسان اليمني عندما يتمشى في أرصفة شوارع المدن الكبرى، وعندما يختار نوعية القمح الذي سيصنع منه خبزه، وعندما يدير مفتاح جهاز التلفزة لأول مرة. وكانت مسألة تحديد تصورهم لثقافتهم التقليدية وتضمينها معاني جديدة إحدى الطرائق المتاحة لمواجهة تحديات التغيير.

> « الأوقات التي يمضيها المستهلكون في مجالس القات تعد ساعات ضائعة تشكل فقداً اقتصادياً وتقدر بحوالي 14,622,000 ساعة عمل يومياً »

ولما كان تخزين القات فعلاً متأصلاً في ثقافة المجتمع اليمني التقليدية ولا يشترك فيه مع ثقافات عربية أخرى، فإنه انتشر بعد ذلك بمعان جديدة لمواجهة تحديدات التغيير. فلم يعد تخزين القات مظهراً سلوكياً مميزاً للنخبة من الصوفيين أو شريحة من الأثرياء العاطلين لمجرد التسلية وتمضية أوقات الفراغ، بل أصبح ينظر إلى التخزين اليوم باعتباره فعلاً مميزاً لكل اليمنيين ونشاطاً إيجابياً اكتسب مشروعية دينية وسياسية واجتماعية. وهكذا بدأ تخزين القات يحمل مضامين جديدة في الثقافة اليمنية المعاصرة. فتخزين القات فعل له مرجعيته الرمزية التي يمكن أن يستند إليها أي يمني من أية فئة أو شريحة اجتماعية لتعزيز هويته الثقافية. ويفيد القات كرمز في الحياة الاجتماعية في أنه يجسد إحدى الحقائق المجردة العقلية في المجتمع ويجعلها ملموسة ومرئية. وبذلك فإنه يسهم في استدعاء شعور الانتماء إلى المجموعة الوطنية والمحافظة عليها. فالانتماء لقيم معينة يرمز في حد ذاته - بنظر الفرد وبنظر العناصر الفاعلة الأخرى - إلى مشاركته في هذه الجماعة أو تلك وفي هذا المجتمع أو ذاك[٤٠].



وفي تقسيم الثقافة اليمنية للزمن تعتبر ساعات بعد الظهر «زمن اجتماعي» ولذلك فإن تخزين القات في هذه الفترة بالتحديد يعني المشاركة واجتماعية الفرد في إطار جماعة الأصدقاء، كما هو الحال بالنسبة إلى الصباح المخصص للعمل، وقضاء هذه الفترة على انفراد يحدث خللاً في علاقات الفرد بالجماعة والمجتمع. وخرق رمزية الزمن هذه خروج على معايير وقيم المجتمع.

وهذه المعاني الجديدة التي يتضمنها فعل تخزين القات لم تكن وليدة محدثات راهنة ومؤقتة، بل كانت نتيجة صيرورة تاريخية وتدخل عوامل عديدة، خارجية وداخلية، سياسية واقتصادية وتاريخية تضافرت جميعها لتجعل من الظاهرة القاتية موضوعاً يحتل أحد مراكز اهتمام اليمن المعاصر كلما تعلق الأمر بالبحث في تحديد هويته وخصوصيته في إطار حضارة عالمية «ذات بعد واحد» تهيمن فيها ثقافة الأقوى وتتجه نحو التشابه أكثر من الاختلاف.

إذاً فالانتشار المعاصر لاستهلاك القات لم يكن نتيجة تلقائية للتحولات الاجتماعية الراهنة ولكنه جزء مكمل لا يتجزأ من هذه التحولات، وسيتزايد أكثر فأكثر مع ارتفاع الطلب الاجتماعي للمعنى والبحث عن «هوية» تتوفر في إحياء وتجديد التقاليد والطقوس، وبخاصة عبر «التبني» الجماعي للحنين/ الهروب إلى الماضي. ففي ظل التحولات التي عملت على زعزعة العلاقات الاجتماعية التقليدية المنظمة لحياة الجماعة، باتت جلسات القات وسيطاً ملائماً لاستحضار الماضي والتمسك به والشعور بأن كل شيء لايزال على حاله، الأمر الذي دفع بالباحث المقرمي إلى وصف مجالس القات «بالمنتديات الفكرية والأدبية الرجعية التي تدعو إلى التمسك بالقديم وقيمه ومحاربة الغزو الحضاري الرهيب الذي يتعرض له المجتمع»[٤١]. ولذلك يمكن القول أن ظاهرة تخزين القات تشكل في مجملها «خطاب» يعبر عن رد فعل ثقافي للدفاع، ومواجهة تسارع التاريخ، والهروب من تحديات الحاضر، والعودة إلى «النقاء» والأصول والذات.

وعليه نجد أن الظاهرة القاتية ساهمت، بشكل مباشر وغير مباشر، في توجيه عمليات التغيير في المجتمع اليمني. والقات بهذا المعنى لم يعد مجرد ظاهرة قد يختلف عليها البعض أو يتفق، بل أصبح رمزاً للأصالة وللماضي الذي كان أفضل من الحاضر.

وهنا تكمن أهمية وخطورة الظاهرة التي نحن بصدد مناقشتها، فالأمر لم يعد يتعلق بمجرد استهلاك مادي لنبات أو عادة اجتماعية مبتذلة ومختلف عليها بين الأطراف الاجتماعية، وإنما بمنظومة من التصورات

والمفهومات والقيم السائدة والمصالح والرموز المرتبطة باستهلاك القات. وذلك من شأنه أن يثير العديد من التساؤلات في البدائل والمعالجات الواقعية والتي يجب أن لا تستهين بهذه الأبعاد المهمة وتأخذها بعين الاعتبار، لتضمن نجاحها.

القات وإعادة إنتاج الثقافة التقليدية

وكما تساهم ثقافة القات في الحد من عمليات التغيير في المجتمع عبر القيم التي تروج لها باعتبار القات رمز الأصالة، فإنها تساهم أيضاً في إعادة إنتاج القيم والعلاقات الاجتماعية التقليدية. وما يحدث داخل جلسات القات من سلوكيات وتفاعلات ما هو إلا تعبيرات اجتماعية للواقع الملموس. فنجد أن الالتزام بنظام محدد للجلوس والدقة التامة التي يتقيد بها الناس في العمل به، يتضمن معاني عميقة في الثقافة اليمنية ويعبر بقوة عن نظام التراتب الاجتماعي السائد في المجتمع اليمني. ويمكن اعتماده كأحد معايير مظاهر التمايز الاجتماعي الرمزية الأكثر بروزاً في مجلس القات. وعلى ذلك تتيح الممارسة البسيطة لإهداء القات وتبادل أغصان القات في بداية الجلسة وإفساح المكان لجلوس شخص تأخر في الوصول إلى المجلس، تتيح الفرصة لتأكيد التمايز بين الجماعات والأفراد. ومن ثم فإن مجلس القات وإن كان يظهر فضاءً للمساواة الاجتماعية والاستهلاك الديمقراطي يمارسه جميع الناس، فإنه يخفي في طيّاته ممارسات تؤكد التمايز الاجتماعي بين الشرائح والفئات المختلفة وتعيد إنتاج النظام الاجتماعي القائم. وهكذا يساهم مجلس القات في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي المهيمن والثقافة المجتمعية السائدة، أو ما يطلق عليه عالم الاجتماعي الفرنسي بيير بورديو Bourdieu «الثقافة المشروعة»[٤٢]، فهناك الكثير من مظاهر هذه الثقافة لاتزال سائدة في المجتمع اليمني بفضل استمرارية وانتشار ظاهرة مجالس القات.

ومن مظاهر إعادة إنتاج الثقافة في بعدها المادي الملموس، نجد أن استهلاك القات ساهم بصورة غير مباشرة في إعادة إنتاج العديد من الأنماط الاستهلاكية التقليدية من طعام وملبس وسكن وغيره. فالكثير من الوجبات الغذائية التقليدية، وخصوصاً وجبة الظهيرة، تستجيب لشروط تخزين القات. وفيما يتعلق

بالعمارة التقليدية، يلاحظ أن أغلب مدن اليمن، ومدينة صنعاء بشكل خاص، لاتزال تحافظ على طابعها المعماري المميز سواء في شكله الخارجي أو هندسته الداخلية وأثاثه التي غالباً ما تستجيب لمتطلبات التخزين. ومن النادر أن يخلو منزل يمني من وجود «مفرج» أو ديوان لتخزين القات في أفضل مكان في المنزل. كما نجد أن اليمنيين من السكان القلائل في العصر الحديث الذين لم يتأثروا كثيراً بالزي الحديث المأخوذ من الغرب ـ البنطلون والسترة ـ وحتى إن ارتدى بعضهم هذا النوع من الملابس فإنهم بمجرد العودة من العمل الرسمي أو السفر مثلاً سرعان ما يتخلصون منها. ومن النادر أن يوجد في أي مجلس قات من يخزن بملابس غربية.

وهكذا يبقى القات وجلساته من أهم آليات إعادة إنتاج الثقافة التقليدية في بعدها المادي الملموس، والوقوف أو الحد من انتشار أي ثقافة جديدة، في ظل التحولات السريعة في جميع مجالات الحياة اليومية والتشتت بين القديم والحديث.

تأثير القات على المشهد الثقافي

لقد أصبحت مجالس القات، في شكلها الراهن وفي غياب فضاءات ثقافية وفنية أساسية، بديلاً مفروضاً للمراكز الثقافية والمؤسسات التربوية والفضاءات التنشيطية والترفيهية وهي ـ مجالس القات ـ فضاء تواصل واتصال لا غنى عنه بين الأفراد والجماعات. فنجد أن حفلات الموسيقا لا تتم إلا في إطار مجلس القات. وتتناسب الموسيقا اليمنية، والصنعانية منها على وجه خاص، من حيث عدد العازفين ونمط الغناء وإيقاعاته مع طقوس الجلسة القاتية وتقاليدها وتدرج المراحل الزمنية فيها، فالعود هو الأداة الموسيقية المهيمنة على الموسيقا اليمنية.

ومن الواضح أن الانتلجنسيا اليمنية قد وجدت في مجالس القات المكان الملائم لتجمعاتهم بدلاً من الصالونات المعروفة في بعض البلدان العربية والمقاهي التي لا توجد بكثرة في اليمن، وإن وجدت فهي لمجرد الاستهلاك المادي للمشروبات وليس للتجمع والتلاقي.

ويقارن الأنثروبولوجي الفرنسي لامبير مجالس القات في صنعاء بصالونات أوروبا في القرن التاسع عشر، فهي تمثل بالنسبة إليه «محاولة مشابهة للتوازن بين الحياة الخاصة والحياة العامة، فتحدث داخلها ألفة اجتماعية خاصة لكنها منفتحة نسبياً على الخارج والعام»(٤٣). وتستوعب هذه المجالس معظم الأجناس الأدبية من قصة ومقالة وفنون شعرية ومسرحية. وإذا ما طغى النشاط المسرحي أو الشعري على الجلسة فيسمى مقيل القصيدة أو «مقيل المسرح». وفي هذا السياق يذكر عبدالله البردوني أن المجتمع اليمني لم يتمسرح بعد، ولايزال مجتمعاً تسوده كثير من الأشكال الفنية البدائية.

وبما أن المجلس القاتي، في حد ذاته، يعد احتفالاً اجتماعياً يثير في الذهن بشكل طبيعي صورة المسرح سواء بسبب موقع «الممثلين» الرئيسين les acteurs، حسب تعبير ماكس فيبر، والجمهور، أو بسبب السيناريو الموضوع مسبقاً والذي يجب على كل ممثل أن يسير على خطاه بحسب الدور المنوط به، وانطلاقاً من مبدأ أن كل مكان يصلح للعرض المسرحي، كان اختيار المخرج المسرحي العراقي كريم جثير أن يذهب بالمسرح إلى مجلس القات واستغلاله كفضاء مسرحي، من خلال تجربة فنية ظهرت في بداية التسعينيات عرفت بـ«مسرح المقيل»، وكانت فريدة من نوعها في العالم العربي. وقد علل المخرج جثير اختياره قائلاً: «إن المقيل يمتلك جواً نفسياً يتصاعد بشكل درامي وينتهي نهاية مسرحية... لذا وجدنا في المقيل منطلقاً لما نراه مسرحاً يحمل خصائص تميزه عن غيره..»(٤٤).

”في مجتمع تقليدي في أوج تحوله، يشكل استهلاك القات رهاناً اقتصادياً واجتماعياً من الطراز الأول. فهو يتيح للفرد تحقيق بعض الطموحات الاجتماعية وبناء شبكة من العلاقات، كما يتيح المجال لتلقي بعض المعارف المفيدة في بعض الاستراتيجيات الاجتماعية“

وهكذا نجد أن خصائص مجلس القات تساهم إلى حد كبير في اكتساب هذا الفضاء وظائف وأدواراً جديدة، تعكس الأهمية المتزايدة للقات في نسق الحياة اليومية في اليمن، وسيطرة ما يمكن أن نصفه بثقافة المخزنين على المشهد الثقافي في اليمن، الأمر الذي ساهم في تخلف النشاط الثقافي الإبداعي في البلاد بمختلف أشكاله وفنونه، المثقفون هم الفاعلون الحقيقيون فيه.

القات والدولة

شهد القات، زراعة وتجارة واستهلاكاً، زخماً جديداً بعد إعلان دولة اليمن الموحدة في ٢٢ مايو ١٩٩٠، حيث ألغيت القوانين الشطرية التي كانت تمنع استهلاك القات وبيعه وشراءه في الجنوب، ودخل القات لأول مرة بعض المدن والقرى الجنوبية التي لم تكن تعرف القات من قبل مثل حضرموت والمهرة.

وكان من المفترض أن يفقد مجلس القات بعض ميزاته مع تبني نظام الدولة الموحدة للديموقراطية السياسية والتصريح بالتعددية الحزبية وقيام أحزاب جديدة، والتي ستستأثر بها أنماط أخرى من اللقاءات والتجمعات مثل اجتماعات الخلايا أو الوحدات الحزبية والمؤتمرات العامة. لكنه من الواضح للعيان أن مجلس القات بدأ يتأقلم مع الأوضاع السياسية الجديدة. فكثير من الاجتماعات السياسية المهمة والأكثر أهمية تنعقد في إطار جلسات قاتية يومية. وفي هذه الحالة لا يتم تخزين القات، بالضرورة، داخل فضاءات تقليدية كالمفرج، بل قد يتم التخزين على الكراسي أمام طاولة اجتماعات. وقد بدأت بعض المنظمات والهيئات الدولية والمؤسسات الحكومية في تنظيم ورش عمل ودورات تدريبية وأعمال إضافية بعد الظهر وتقوم بدفع أجور إضافية مقابل حضور المشاركين بعد الظهر تسمى بدل جلسات، وعادة ما يقصد به ضمناً مقابل شراء القات.

وفي إطار الصراع السياسي الذي اشتد خلال السنوات الأولى من التسعينيات بين الحزبين الحاكمين، آنذاك، المؤتمر الشعبي العام من الشمال سابقاً والحزب الاشتراكي الذي كان يحكم الجنوب سابقاً، شهدت مجالس القات حركية كبيرة وانتشاراً لم يشهد له مثيل من قبل. فكان كل طرف سياسي يعمل على توظيف مجالس القات واستغلالها في تحركاته في الأوساط الشعبية والمثقفة على حد سواء، وفي استقطاب مناصرين له والدعاية لسياساته ونشرها.

كما أن أغلب التجمعات والاجتماعات السياسية والحزبية كانت تعقد بعد الظهر في مجالس قاتية خاصة للغرض مدفوعة الأجر، حيث يتم صرف مبالغ مالية للمشاركين فيها، مخصصة أساساً لشراء القات، تحت مسمى «بدل جلسات»، لشراء القات. وقد نهجت مؤسسات الدولة وهيئاتها المنهج نفسه، حيث صار من المشروع والطبيعي أن تحال معظم القضايا والمشكلات والموضوعات الشائكة في مرافق الدولة إلى جلسات بعد الظهر القاتية للبت فيها*.

ولذلك ترى الباحثة اليمنية رؤوفة الشرقي أن الدولة تتحمل المسؤولية الرئيسة في انتشار استعمال القات لعدة أسباب، من أهمها:

- عدم الإعلان الرسمي عن المساحات الزراعية التي تتقلص من الأرض الزراعية، منتجات كفاف أو منتجات نقدية، كالبن أو القطن أو الخضراوات، أمام القات.
- سقوط المنع الرسمي لاستخدام المنشآت الحكومية وأجهزة الدولة في فترة بعد الظهر لجلسات القات.
- اتجاه الدولة نحو تشجيع جلسات القات عبر توفير دعم خاص ومالي متمثل في بناء دواوين أو مفارج أو غرف مخصصة للقات وتأثيثها على النحو الذي يخدم هذا الغرض من المشروعات الاستثمارية للدولة.
- إدخال نفقات المصروفات للقات تحت شعار «بدل جلسات» أو نثريات في الموازنة العامة للدولة.
- ربط أغلب الاجتماعات الرسمية للأجهزة العليا في الدولة بفترات جلسات القات.
- تسابق مسؤولي الدولة الكبار في جعل مجالس القات التي تدار في منازلهم أو مواقع عملهم كمراكز استقطاب اجتماعية وسياسية واقتصادية ومحاور للضغط والتأثير على صناعة القرار(٤٥).

ونضيف إلى العوامل السابقة، عاملاً آخر له أهمية بالغة في ترويج القات بصورة غير مباشرة، وهو تجاهل وسائل الإعلام الرسمية وتحاشيها الخوض في موضوع القات.

خلاصة لما تقدم، نجد أن الدولة اليمنية تتبنى موقفاً سياسياً حذراً ومزدوجاً ذا شقين إزاء القات، الأول علني يعترف بوجود أضرار كبيرة للقات على المستوى الاقتصادي والصحي، ويؤكد، في الوقت نفسه، احترام «موروث ثقافي» وأن استعمال القات من خصوصيات الثقافة اليمنية، ومن التجني على الشعب اليمني وصفه بالشعب المخدَّر.

أما الوجه غير المعلن فيتلخص في اعتبار مؤسسة الحكم السياسية القات أحد أهم العناصر التي يمكن توظيفها سياسياً لصالحها. فالقات يشغل معظم وقت مستهلكيه ويستحوذ على جهودهم واهتماماتهم منذ الصباح الباكر حتى آخر ساعات الليل، يبدأ المخزن في التفكير في كيفية توفير المال اللازم لشراء قات يومه، وعند الظهيرة يتسابق الجميع إلى أسواق القات أو مزارعه القريبة من المدينة للبحث عن «ولعة» اليوم من القات. ولا يكاد الفرد ينتهي من تناول غدائه بسرعة يتميز بها المخزنون عادة، حتى يسرع إلى مجلس القات أو تناوله في مقر عمله. وتدوم الجلسة كما ذكرنا سابقاً



بين أربع ساعات وست ساعات، وقد تصل إلى ثماني ساعات. وبعد الفراغ من التخزين يسبح المخزن في أفكاره وحيداً وينطوي على ذاته.

وهذه الدورة اليومية تشغل اليمني عن أية اهتمامات أو طموحات سياسية قد تثير لمؤسسة الحكم المشكلات. كما أن النقاش الذي يتم في إطار مجالس القات لا يتجاوز، في أغلب الحالات، تلك المجالس إلى مرحلة التنفيذ. بيد أن طرح الأفكار والجدل يساعد المخزنين المشاركين في المجلس على الحديث وبصوت عال والتخفيف عن الضغوطات النفسية والاجتماعية الناتجة عن مشكلاتهم اليومية وهمومهم الحياتية.

وفي ظل هذه الظروف ينحسر الدور السياسي للفرد ويتراجع اهتمامه بالكثير من القضايا العامة والمصيرية. وهكذا يتم تكريس اللامبالاة السائدة في المجتمع إزاء التحولات والأحداث الكبرى والمهمة في حياة المجتمع.

„ الموقف العلني للدولة تجاه القات لم يبق على حاله حيث حدث تحول دراماتيكي فيه بصورة مفاجئة أواخر عام 1999م "

إلا أن الموقف العلني للدولة تجاه القات لم يبق على حاله حيث حدث تحول دراماتيكي فيه بصورة مفاجئة أواخر عام ١٩٩٩م. ومن أهم مؤشرات هذا التحول:

- تصريح رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح، غير المسبوق، بأن القات يشكل عائقاً للتنمية في البلاد، وبأنه شخصياً امتنع عن تخزين القات، ويزاول الرياضة بدلاً من التخزين(٤٦).
- إصدار قرار بمنع منسوبي القوات المسلحة والأمن من تخزين القات في أمكنة العمل وبالزي الرسمي.
- تمديد الحكومة لساعات العمل الرسمي حتى الثالثة بعد الظهر بدلاً من الواحدة والنصف، الأمر الذي سيشكل عائقاً أمام الكثير من موظفي الدولة عن الذهاب لشراء القات وتخزينه بعد الظهر كما جرت العادة.
- إدراج وزارة التخطيط والتنمية محصول القات في تقاريرها وإحصاءاتها الرسمية، بعد تجاهل دام طويلاً. ومن المنتظر أن تنظم الوزارة مؤتمراً وطنياً لتدارس موضوع القات، يعد الأول من نوعه في تاريخ اليمن.

- دعم بعض الجمعيات الأهلية المهتمة بموضوع القات، وفي مقدمتها الجمعية الوطنية لمواجهة أضرار القات، التي بادرت بالتصدي لتفشي هذه الظاهرة في ظل صمت الأغلبية وتخوفهم من مواجهة المشكلة، حيث قامت بتنظيم حملات توعية عبر وسائل الإعلام الجماهيرية والمدارس الثانوية والجامعات بأضرار القات الصحية والاقتصادية، وحفزت الهيئات الرسمية

"في ظل التحولات التي عملت على زعزعة العلاقات الاجتماعية التقليدية المنظمة لحياة الجماعة، باتت جلسات القات وسيطاً ملائماً لاستحضار الماضي والتمسك به والشعور بأن كل شيء لايزال على حاله"

والشعبية على اتخاذ مواقف جادة تجاه هذه المشكلة التي يعانيها المجتمع اليمني.

- بث القناة الفضائية للتلفزيون اليمني برنامجاً حول موضوع القات والإشكالات التي يطرحها، الأمر الذي يحدث لأول مرة في وسائل الإعلام الحكومية منذ السبعينيات.

خلاصة القول:

إن المشكلة والمخاوف المترتبة عليها لا تكمن في القات كنبات وإنما في دوافع استهلاكه والوظائف التي تقوم بها مجالس القات كفضاءات للتواصل الاجتماعي وبناء

- الهوامش:

1- Varisco, Daniel, "On the meaning of chewing: the significannce of qat in the Yemen Arabe Republic", In International Journal of Middle Eastern Studies, No 18, Cambridge 1986, PP. 1-13.

٢- المتوكل إسماعيل محمد، الموسوعة اليمنية، الطبعة الأولى، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء ١٩٩٢م، ص٧٣٣.

لمزيد من التفاصيل حول الخصائص النباتية للقات انظر:

- دراسة استطلاعية لظاهرة القات في بعض الأقطار العربية - المنظمة العربية للتنمية الزراعية - الخرطوم ١٩٨٣.

3- Krikorian, A., "Khat and its use: a historical perspective" , Journal of Ethnopharmacology, No12, 1984, P. 115.

٤- أحد أعضاء بعثة كارستن نيبور Niebuher الدانماركية الشهيرة إلى اليمن عام ١٧٦٣. وقد توفي في مدينة يريم اليمنية في أثناء رحلته.

5- Niebuher C. ; Travels Through Arabia and other countries of east, translation into English by Robert Heron, 2Vol. (Dublin 1972) P. 253

٦- ورد في كريكوريان، إبراهام، «القات واستعماله»، في كتاب القات للدكتور حمد المرزوقي وآخرين، مطبوعات تهامة، جدة ١٩٨٧، ص١٢-٩٥.

٧- المندعي اليافعي - مصدر سابق.. ص ٣٣-٣٤.

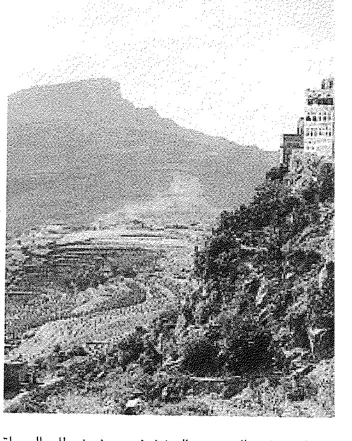
٨- انظر في ذلك: المقرمي عبدالملك، القات بين السياسة وعلم الاجتماع، دار آزال، صنعاء ١٩٨٧.

٩- وزارة الزراعة والموارد المائية، ملخص الإحصاء الزراعي لعام ١٩٩٤، نوفمبر ١٩٩٥.

١٠- انظر في التركيب الكيميائي للقات:

- Stockman, R. 1913, The Active Principales of Catha Edulis, Pharm. J. and Pharmacist 35: PP. 676-678 and 685- 687.

- Paris, R. et Moyse H. 1958: "Essai de Caracterisation du Kat" , Bullatin of Narcotic U. N. Dept. Social Affairs, No19, PP. 29-34.



العلاقات والترفيه والتخفيف من ضغوطات الحياة اليومية. فالأهمية الاجتماعية والثقافية للقات بالنسبة إلى المستهلك اليمني أكبر وفوق كل خطر صحي أو ضرر اقتصادي. ولذلك فإن مسألة حدوث أي تغيير في الظاهرة القاتية والحد من أضرارها مرهون بالفاعلين الاجتماعيين، أفراداً ومؤسسات، وبوجود إرادة حقيقية للتغيير. فلا يمكن أن يقتصر أي تدخل للحد من أضرار القات على الجهات المعنية في الحكومة وحدها، أو الجمعيات الأهلية بمفردها، وإنما يتطلب الأمر تنسيقاً وتعاوناً من جميع الأطراف في المجتمع والحكومة ومؤسسات المجتمع المدني الفاعلة. فالأضرار الناتجة عن انتشار القات، زراعة واستهلاكاً، تمس مصالح جميع من يعيش على الأرض اليمنية دون استثناء.

لكن التغيير يتطلب وضع استراتيجية وطنية، متوسطة وبعيدة المدى، تعكس مفهوماتها وأهدافها الواقع الاجتماعي في اليمن، وتأخذ بعين الاعتبار العوامل الحقيقية التي تدفع اليمنيين إلى الإقبال على القات، ومعرفة أدوار القات في النشاطات الحياتية المهمة والخصائص الجوهرية التي دفعت بقيام هذا النبات إلى أداء هذه الأدوار. كما يجب ألا تُتجاهل مصالح الأفراد والجماعات وانعكاسات أي تدخل على المجتمعات المحلية. ولذلك من المهم أن تنفذ هذه الإستراتيجية خلال ثلاث مراحل: الأولى تتضمن برامج للبحث والدراسة العلمية المعمقة لواقع الظاهرة القاتية بأبعادها المختلفة. وتأتي المرحلة الثانية، مرحلة التوعية والتثقيف والاتصال، لتعمل على تكوين وعي وطني جماعي بالأضرار الاقتصادية والصحية والاجتماعية للقات، وأهمية الحد من انتشاره بالنسبة إلى الفرد والأسرة والمجتمع عامة. بالإضافة إلى التعريف بواقع الظاهرة القاتية على المستوى الدولي. أما المرحلة الثالثة فتتضمن بدائل عملية تتلاءم مع الواقع اليمني وإمكانات المؤسسات وقابلة للتنفيذ. ■

- Ramdan, M. E.A., and others, "Effect of Catha Edulis on Glucuse Tolerance in Diabetes", in Dirassat yemeniah, No2, March 1979, P. 15.

- Schuster, C.R. and C. E. Johanson, 1979, Behavioral Studies of Cathinone in Monkeys and Rats, Philadlphia, Unpublished Sumposium paper.

المرزوقي، حمد وأبو خطوة، أحمد نبيل، القات، ط١، جدة - ١٩٨٧ - مطبوعات تهامة.

- القربي، أبوبكر، «الآثار الصحية للقات»، مجلة الثوابت، العدد الثامن، جانفي - مارس ١٩٩٧، ص ٩٢-١٠٠.

- ثابت، عبدالرحمن، «القات وتركيبه الكيمياني»، مجلة الثوابت، العدد الثامن، جانفي - مارس ١٩٩٧، ص ١٤٩-١٥٦.

١١- كاليكس وآخرون، نشرة منظمة الصحة العالمية عدد ٦٢، ١٩٨٤ ص ٧٢٩-٧٣٣.

١٢- العطاس، عمر، «القات تركيبه الطبيعي وآثاره الصحية والعصبية» في القات حياة اليمن، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٣٠.

١٣- المرجع نفسه.

١٤- انظر: -El-mahi; tigani A Preliminary study on Khat Edulis-Forskal, WHO March 1962, PP. 2-3.

- Krikorian, A., "Khat and its use: a historical perspective", Journal of Ethnopharmacology, No 12, 1984, P.115.

- العمري، أحمد بن فضل الله: مسالك الابصار في ممالك الأمصار، تحقيق، د. مصطفى أبو ضيف أحمد، من الباب الثاني إلى الرابع عشر (القسم الخاص بإفريقيا وما وراء الصحراء - ١٩٨٨).

15- El-mahi Tigani, Opcit, P.3.

16- Weir, Shelagh, Qat in Yemen: Consumption and Social change, british Museum Publications, 1986, P. 78..

١٧- مركز الدراسات والبحوث اليمني، القات في حياة اليمن، مرجع سابق، ص ١٩٠.

١٨- انظر فتوى الشيخ ابن حجر الهيتمي ورد فقهاء اليمن عليها في:

- المعلمي، أحمد عبدالرحمن، القات في الأدب اليمني والفقه، بيروت ١٩٨٨.



ـ الهيتمي ابن حجر، الفتاوى الفقهية الكبرى، فصل تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات، القاهرة ١٨٩٠، ص ٢٢٣ـ٢٣٤.

١٩ـ القات في حياة اليمن، مرجع سابق، ص٢٠١.

20- Destremeau, B. "Le qat, planche de salut ou cancer de l'e`conomie Ye`menite" Tiers-Monde, No186, 1986, PP. 179-196.

٢١ـ انظر مثلا: العطار محمد سعيد، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر ١٩٦٤.

ـ مقبل عبدالسلام، في مجلة دراسات يمنية، عدد ٩٨، يونيو ـ يوليو ١٩٨٢، ص ٢٦ـ٣٥.

22- ibid, p.138.

٢٣ـ تم حساب مساهمة القات في الناتج المحلي لقطاع الزراعة اعتماداً على إحصاءات وردت في كل من:

ـ كتاب الإحصاء السنوي لعام ١٩٩٥، مرجع سابق ص ٣٥٣.

ـ الزبيدي، علي، «الجوانب الاقتصادية للقات»، مجلة الثوابت، العدد الثامن، (جانفي ـ مارس ١٩٩٧) ص. ١٠١ـ١١٣.

٢٤ـ قدر الباحث الكويتي فاضل السعدي القيمة الإجمالية من إنتاج القات، عام ١٩٨٠، بعشرة مليارات وستمئة وتسعة وتسعين مليون ريال (١٠,٦٩٩,٠٠٠,٠٠٠)، في حين قدرت المنظمة العربية للزراعة القيمة الإجمالية لإنتاج القات عام ١٩٨٢ بنحو (٥,١٩٣,٠٠٠ ريال)، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، الفارق الزمني مع البحوث السابقة وما رافق هذه الفترة من ارتفاع في الأسعار واتساع رقعة الأراضي المزروعة بالقات، فإننا نجد أن الأرقام التقديرية السابقة قريبة للواقع وغير بعيدة عن تقديرات الكثير من الباحثين في هذا المجال.

٢٥ـ الزبيدي، «الجوانب الاقتصادية...»، مرجع سابق، ص١٠٣.

26- AL-Attar, Op.cit.p.12.

٢٧ـ المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، مرجع سابق، ص٧٢.

٢٨ـ وجدنا أن الأسعار قد تتفاوت كذلك في النوع نفسه والمنطقة، ويفيد إخباريون في منطقة ضلاع بأن السعر يختلف من مزرعة إلى أخرى وفقاً لجودة» القات وسمعته التي اكتسبها في أوساط المخزنين وخلوه من المواد الكيميائية (اليودرة).. وغيرها.

29- Weir, op.cit.p.185.

30- Destremeau, "L'or Vert du Nord Yemen", op,cit., P.269.

31- Bourdieu, P. "Le marche` des biens symbolique", L'Annee Sociologique, No22, 1971, P.53.

٣٢ـ البردوني، مرجع سابق، ص ٨٥.

٣٣ـ نتائج مسح ميزانية الأسرة ١٩٩٢ـ مرجع سابق، ص٣٣.

٣٤ـ لم يوضح التقرير مبررات إدراجه القات ضمن قائمة السلع الغذائية الأساسية وكان لذلك تأثير كبير في ارتفاع نسبة الإنفاق على الغذاء ٦٦,٣٪ من إجمالي الإنفاق الأسري العام.

٣٥ـ نتائج مسح ميزانية الأسرة، مرجع سابق، ص٤٩.

٣٦ـ التقرير العام لمسح ميزانية الأسرة ١٩٩٨، الجهاز المركزي للإحصاء، يونيو ١٩٩٩م، ص ٣٠٦.

٣٧ـ النصيري، محمد، في «القات الظاهرة ـ المشكلة والآثار» (ندوة)، مؤسسة العفيف الثقافية. صنعاء ١٩٩٧

٣٨ـ ثابت عبدالرحمن، مجلة الثوابت، العدد الثامن، (جانفي ـ مارس ١٩٩٧) ص. ١٠٣.

٣٩ـ المقرمي، عبدالملك علوان، القات بين السياسة وعلم الاجتماع، دراسة سسيولوجية. دار أزال للطباعة والنشر. صنعاء ١٩٨٧م.

40- (Guy Rocher: 1968).

٤١ـ (المقرمي:١٩٨٧).

٤٢ـ (بورديو: ١٩٩٤).

34- (Lambert:1990).

٤٤ـ كريم جثير، «مسرح المقيل: خطوط وآفاق»، دراسة منشورة في صحيفة ٢٦ سبتمبر الأسبوعية الصادرة في صنعاء بتاريخ ٥ / ١ / ١٩٩٤ وقدم لها الدكتور عبدالعزيز المقالح في صفحته الخاصة «قراءات في الأدب والفن» ص٧.

* حرصت القيادة العسكرية للحكومة اليمنية في أثناء حرب الانفصال عام ١٩٩٤ على تمويل المقاتلين في جبهات القتال بالقات مثلما حرصت على تمويلهم بالسلاح والغذاء. فكان القات أحد أهم المحفزات الأساسية للمقاتلين في أجواء شديدة الحرارة، خصوصاً بالنسبة إلى المقاتلين الشماليين الذين لم يتعودوا مثل هذا المناخ. (مقابلة مع أحد المشاركين في الحرب).

٤٥ـ الشرقي، رؤوفة حسن، «الأثر الاجتماعي للقات (النساء والقات)»، في كتاب القات الظاهرة ـ المشكلة والآثار، مرجع سابق، ص٤٦.

٤٦ـ صحيفة «٢٦ سبتمبر» الأسبوعية.

حليب المراعي
الاختيار الطبيعي







بالترغيب والترهيب .. يهود اليمن:

الهجرة على «البسـ

...اط السحري»

كان اليهود اليمانيون يشكلون كتلة بشرية بارزة بين مواطني الجزيرة العربية، يبلغ عددها خمسين ألف نسمة، ويمكن القول أن هذا الرقم كان مبعثراً جداً في العديد من القرى، لكن تجمعاتهم البارزة كانت في المدن، وأهمها العاصمة صنعاء (حوالي ٦٠٠٠ نسمة) وهو أكبر تجمع لليهود اليمنيين، كان يسكن معظمهم في حي خاص بهم يعرف بـ «قاع اليهود»، وهو ما يسمى اليوم «قاع العلفي».

وبعد تجمع صنعاء، يأتي تجمع صعدة ثم مدينة رداع وذمار وتعز ومناخة ويريم وإب والنادرة (قرية جحزان) وعدن.

عباس علي الشامي*
صنعاء

تهجير يهود اليمن

ركزت الصهيونية نشاطها الرامي إلى تهجير يهود اليمن، حيث مارست أساليب عديدة بين الترهيب والترغيب، وهي الأساليب نفسها التي تكررت في أكثر من بلد عربي، فقد أقدموا على إشعال الحرائق في ممتلكات اليهود ومتاجرهم الكبرى في عدن تحت الاحتلال البريطاني بهدف إشعال الفتنة بين المسلمين واليهود ومن ثم تحقق الوكالة الصهيونية أهدافها بتسفير اليهود إلى الأرض المحتلة.

وقد تم تنفيذ موجات التهجير الكبرى بين عامي (١٩٤٩م-١٩٥٠م) إبان الاحتلال الإنجليزي للجنوب اليمني (١٨٣٩م-١٩٦٧م) رغم السكينة التي كان يعيشها يهود اليمن والمسلمون على حد سواء.

وقد اعترف أحد القادة البريطانيين بعد ٢٥ سنة من قيادته الاحتلال البريطاني في عدن فقال: «كان يهود اليمن

* كاتب يمني.

يتمتعون بقدر كبير من الأمان أكثر مما يتمتع به يهود وسط أوروبا، وكانوا يعملون في الحرف اليدوية والصيغة، وكانت تتجمع منازلهم أحياناً في أحياء صغيرة أو قريبة من الأحياء العربية ويعيشون في سلام مع جيرانهم المسلمين ولم يتدخل في حياتهم أحد كما لم يتدخلوا في النزاعات القبلية».

وقد تميزت هجرات يهود اليمن بالتالي:

- الهجرات الأولى - قبل قيام الدولة العبرية - كانت من أوساط كبار السن تحديداً، وكانت لأسباب دينية واقتصادية في معظمها.

- المهاجرون من اليمن إلى فلسطين المحتلة نقلوا معهم العادات والتقاليد اليمنية، وهي في مجملها عادة شعب اليمن في كل منطقة.

كانت الهجرات قبل عام ١٩٤٨م خفيفة بسبب نوعية الأساليب الخبيثة التي كانت تمارسها الصهيونية بواسطة رسلها من الأوروبيين والأمريكيين الصهاينة، حيث كان الرسل يأتون إلى اليمن محملين بالهدايا على طريقة العرب، ومع هذا أخذت طابعاً فردياً مثل غيرها من هجرات المواطنين ويقدر عددهم في تلك الفترات بحوالي ١٦,٠٠٠، كما بلغ عددهم في موجات«البساط السحري» ٤٥ ألفاً، حيث استقبلت الأرض المحتلة آخر هذه الموجات في عملية «البساط السحري» في ٢٤ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥٠ وعدد المهاجرين خلالها ٥٧٧ يهودياً قادمين على ثلاث طائرات من مطار عدن المحتلة وأسمرة المحتلة وجيبوتي. وفي عام ١٩٥٠م تم تهجير حوالي ٢٠٠٠ شخص أيضاً، ومنذ عام ١٩٩٠م تم تهجير ٢٤٠ يهودياً. والحديث اليوم عن الأعداد الباقية وهي ٣٥٠ شخصاً منذ عام ١٩٩١م مع إضافة عدد المواليد الجدد إلى هذا الرقم. أما الأرقام التي تذهب إليها الوكالة اليهودية وهي بين ٨٠٠ شخص وألف شخص والأرقام الواردة في أدبيات منظمة التحرير الفلسطينية ٢٠٠٠ شخص فهي بعيدة جداً عن الواقع.

ويهود اليمن في الأرض المحتلة يندرجون في صفوف اليهود الشرقيين «السفارديم» ويقعون كغيرهم من هذا الصنف «المتخلف» - حسب التصنيف اليهودي العنصري - تحت سيطرة اليهود الغربيين «الاشكيناز» الذين سيستمرون متسلطين على الصنف الآخر الذين سيبقون تحت السيطرة ولن يفلتوا منها بحكم التركيبة الاجتماعية للكيان الصهيوني في الأرض المحتلة.

ويمارس اليهود اليمنيون الأعمال الخدمية ويعمل العديد منهم في الجيش الإسرائيلي وأكثرهم في (لواء الجولان) الذي يكاد يكون معظمه ضباطاً وجنوداً من المهاجرين اليمنيين. ■

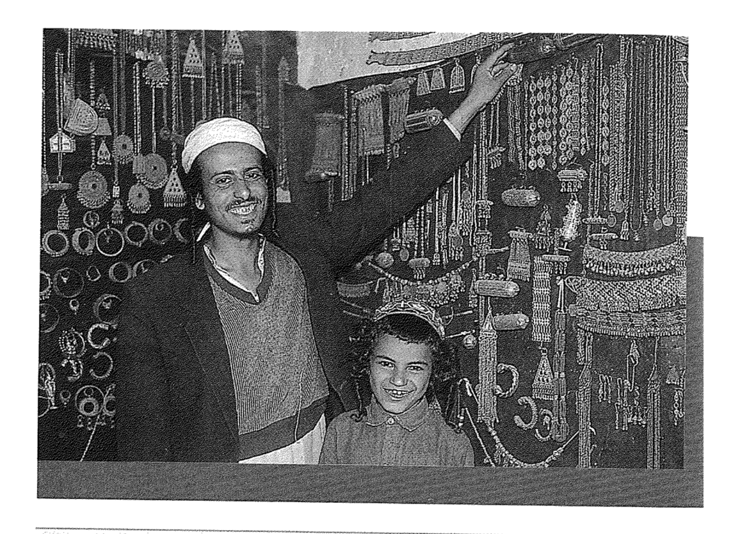
«وقد اعترف أحد القادة البريطانيين بعد 25 سنة من قيادته الاحتلال البريطاني في عدن فقال: «كان يهود اليمن يتمتعون بقدر كبير من الأمان أكثر مما يتمتع به يهود وسط أوروبا»»

يتحدثون العربية

على الرغم من انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية، إلا أن اليهود في اليمن حافظوا على ديانتهم، ودخلوا ضمن نطاق الأقليات الدينية التي تعيش داخل المجتمع اليمني.

ويذكر أنه كان لليهود في اليمن حوالي ٣٥٩ قرية، وكانت هذه القرية تبنى إما وحدها بعيدة عن قرى جيرانهم من المسلمين، وإما كانوا يكوّنون لأنفسهم حياً خاصاً بهم داخل كل مدينة أو بلدة كبيرة، وهذا ما يلاحظ في أغلب دول العالم.

لغة اليهود في اليمن هي اللغة العربية، ولكنهم حافظوا بطبيعة الحال على الرطانة اليهودية؛ لأنهم كانوا يستعملونها في صلواتهم، وفي كتابة بعض وثائقهم ونصوصهم الدينية، وغيرها من الوثائق



ـــة برطانة يهودية

الخاصة بالمعاملات اليومية بينهم. فقد ذكر الرازي في كتابه تاريخ مدينة صنعاء إشارة إلى بعض الظواهر اللغوية التي كانت تميز لغة اليهود في اليمن فيقول: «واليهود في اليمن يبدلون في لغتهم العبرية ضاد العربية المعجمة صادا مهملة، فيقولون عن الأرض (أرص)؛ لأن لسانهم لا يعرف الضاد».

وذكر أمين الريحاني الذي زار اليمن أول مرة عام ١٩٢٠م أن عدد اليهود في اليمن يبلغ ١٠٠٠٠ نسمة، منهم ستة آلاف في صنعاء، والريحاني أيضاً قدر عددهم قبل قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م بين ٦٠ ألفاً و٧٠ ألفاً، منهم ثمانية آلاف نسمة في صنعاء. ويرجع بعض المؤلفين سبب صغر حجم السكان اليهود في اليمن إلى توزعهم إلى مجموعات صغيرة.

ويؤكد أحد مندوبي الصهيونية في تقرير له أنه من أصل ١٢٠٢٦من يهود اليمن يشتغل ٢٤٦٢ في الصناعة و٥٨٢ باعة متجولين و٢٣٧ في مهن عديدة في طليعتها الزراعة والرعي في الصحارى.

وقد كان للابتعاد المتبادل بين المسلمين واليهود ولعزلهم في أحياء خاصة أثر في تنشئة الطفل اليهودي في مناخ نقي بعيد عن أي تأثيرات جانبية، حيث إن الطفل يبدأ بقراءة التوراة عندما يبلغ الخامسة أو السادسة، ومنذ اللحظة التي يتعلم فيها قراءة التوراة يصبح مطالباً بحفظ الجزء السادس.

وهناك ثلاثة أمكنة تمثل الجانب التعليمي والثقافي للطفل، المدرسة حيث يقضي معظم وقته منذ طلوع الضوء حتى غروب الشمس، والكنيس «معبد اليهود» حيث يصلي ويتلقى تعليمه الديني مع أبيه أيام السبت، ثم البيت. ■

إعداد: محمد حيان



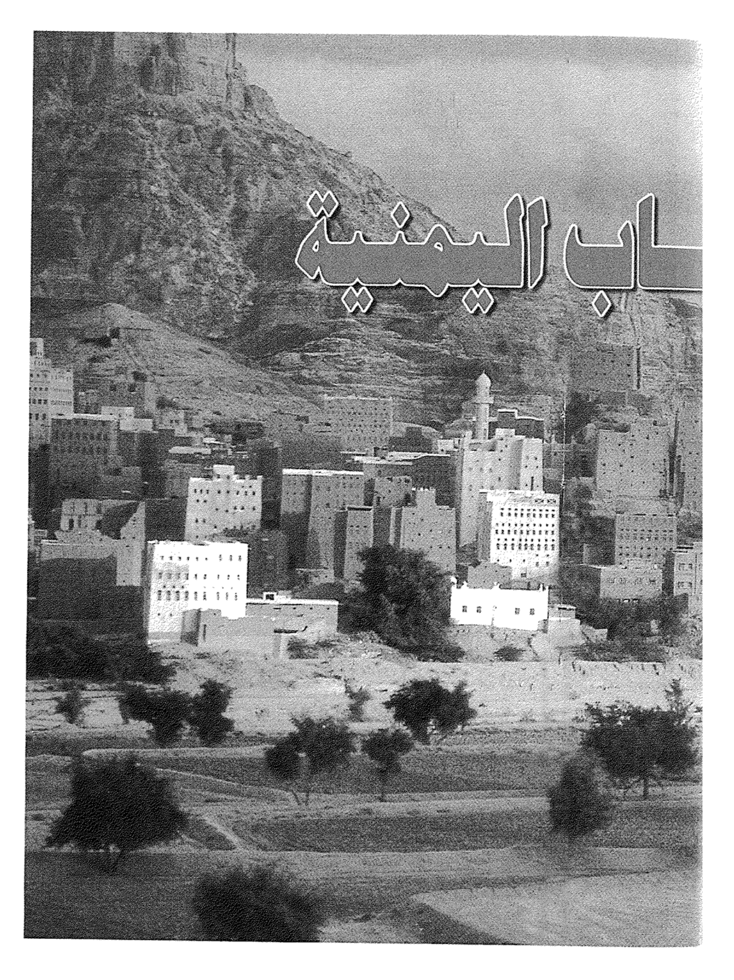
تبنى من الطين وتصمد لعدة قرون:

ناطحات السحـ

كانت المدن القديمة تبنى هياكلها وقصورها من الحجر والرخام، والمدن الحديثة تبنى بالحديد والأسمنت، أما بناء أغلب مدن وادي حضرموت فمن الطين المخلوط بالتبن وجذوع الأشجار. فمن هذه المواد الأولية البسيطة والمتوفرة في عموم الوادي وغير المكلفة أحياناً يتم بناء المنازل في وادي حضرموت، والتي تعمر عدة سنوات وتمتاز بالقوة والمتانة فهي لا تتأثر بالعواصف أو الأمطار الموسمية.

لنقف قليلاً ونرى كيف تبنى تلك المدن الطينية ولنأخذ مثالاً لذلك طريقة بناء واحد من منازلها العالية أو إحدى ناطحات السحاب الطينية الفريدة في شكل هندستها، العجيبة في تكوينها، في مدينة شبام حضرموت.

المصدر: عمر أبوبكر باذيب الشبامي
http:www.Khayma.com/alshibami/bld.html


اليمنية

يبدأ البناء عادة بتحضير المواد الأولية وهي الطين والتبن وجذوع النخيل وأشجار السدر وبعض الأحجار المنحوتة لعملها كأساسات سفلي المنزل، وتهيئة الأرض المزمع البناء عليها، ثم يقوم متعهد البناء الذي يسميه الأهالي (المعلم) بتفقد الأرض وتسويتها. وطبيعة أرض المدينة شديدة الصلابة لدرجة أن الفؤوس لا تطرقها إلا بجهد، وسبب شدة صلابتها كونها مقامة على أنقاض بيوت قديمة وبفعل الأمطار والبناء تارة والاندثار تارة أخرى جعلها على ما هي عليه الآن قوية وصلبة بصلابة الصخور.

وتتكون الأرض من عدة طبقات، طبقة سفلى طينية تعلوها طبقة رملية ثم الطبقة الأخيرة الصلبة وتسمى (العدفة) تغطيها طبقة خفيفة من طين ورمل ومخلفات البهائم ويسمى (دمان).

يبدأ العمل بأمر (المعلم) وتحفر الأخاديد في الأرض التي تصل إلى الطبقة الأولية العلوية (العدفة) عندها يتوقف الحفر ثم يوضع أساس المنزل من أحجار صخرية تشتهر بها جبال حضرموت نحو ذراعين (الذراع نحو ٦٠ سم تقريباً)، حتى يتساوى بالأرض وذراع زيادة فوقها، هنا ينتهي استخدام الحجر ثم يأتي دور الطين بعد ذلك.

تبدأ المراحل الأخرى للبناء من إعداد المواد الأولية اللازمة له من طين وتبن وخشب، تهيأ الأرض التي غالباً تكون قريبة من المنزل الذي سيبنى، أو في مساحة أوسع وسط البلدة، عليها يبدأ صنع اللبن وتجفيفه (المدر). والطين المستخدم نوعان في بناء منازل شبام، فهناك طين يسمى (الخرش) وهو من بقايا منزل متهدم يعاد تفتيته وصناعة اللبن (المدر) منه، ويكون من القوة والمتانة بحيث يستعمل في بناء المنازل ويعطيها قوة وصلابة عن ذي قبل. والطين الآخر هو الطين (البكر) الذي لم تدسه قدم قط وهذا هو الغالب في بناء معظم المنازل.

هيا بنا نلقي نظرة عن قرب لنرى أعجوبة البناء.. تسير قوافل من الحمير إلى أمكنة معروفة ليجلب عليها الطين (البكر) ثم يؤتى بالتبن (التبل) وهو عبارة عن قشور القمح بعد حصاده ودرسه.

يكوم الطين كومة كبيرة يعمل في وسطها حفرة واسعة يصب فيها الماء ويرش عليه التبن، يدخلها الرجال الأشداء فيدوسون التراب بأقدامهم ويخلطونه بأيديهم وتسمى هذه العملية (المقلب) من قلب الطين وخلطه بالماء والتبن، يترك قليلاً حتى يختمر ثم يعاود الرجال الخلط، بعد ذلك تتناقله الأيدي ليوضع على خشبة معدة لذلك تسمى (الرعة) وهي عبارة عن خشبة ذات أربع زوائد أفقية يحملها رجلان ينقل عليها الطين المخلوط ويسمى (طين خلب) إلى موقع صنع اللبن (المدر) يكفي ما عليها لصناعة ٤ لبنات إلى ٦ لبنات، ويسمى المكان المنقول إليه الطين مكان (ضرب المدر).

يستلم الطين عمال آخرون بأيديهم مثابت تسمى (المفتل) وهو عبارة عن خشبة ذات فتحتين طول كل منهما ذراع وربع ذراع وعرضها ذراع إلا ربعاً (٤٥ سم × ٧٥سم) يصب فيها الطين المخلوط بالتبن ويشكل قوالب على هذا النمط ويترك تحت أشعة الشمس لحرقه لفترة حتى يجف تماماً، ثم يرفع من على الأرض ويقلب في وضعية جيدة على شكل مثلثات يظهر باطنها لفترة أخرى معرضاً أيضاً لأشعة الشمس الحارقة، ينقل بعد ذلك ويرص بعضه فوق بعض بشكل رأسي كجدران مؤقتة ويسمى (حمار المدر).

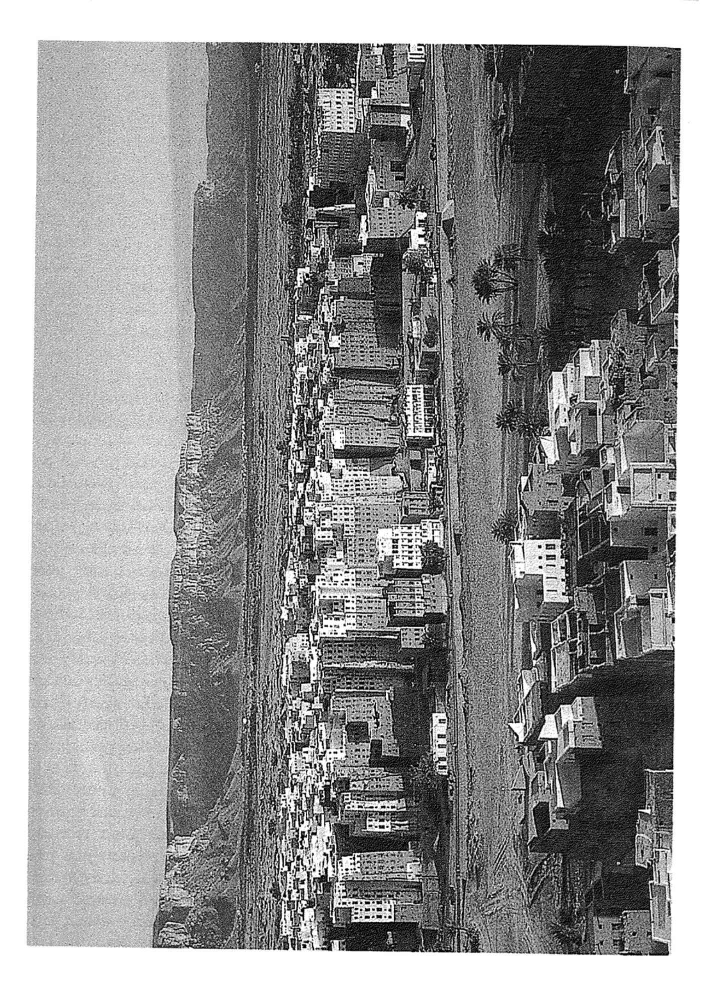
هنا تنتهي المرحلة الأولى بتوفير اللبنات (المدر) الصالحة للبناء، يأتي بعد ذلك نقل اللبن إلى موضع أساسات المنزل المقامة. وهناك طريقة عجيبة لنقل اللبن، حيث تلف بعض أكياس الأرز الفارغة لفاً محكماً ويُربط بعضها ببعض ثم يعمل لها سيور منها يحملها العامل على ظهره ويشد السيور على رأسه وتسمى المشدة يوضع عليها اللبن (المدر) من ٥ لبنات إلى ٧ لبنات (مدرات) حسب قوة العامل وقدرته فيتم نقل اللبن بهذه الطريقة وإيصاله إلى أي ارتفاع كان في المنزل.

يتناول العمال اللبن (المدر) وبإشارة من (المعلم) يبدأ وضع اللبن على الأساس الحجري وتتقاطر اللبنات لتأخذ مكانها وموقعها في جدار الأساس فتوضع بشكل أفقي طولي وتسمى هذه الطريقة (سبية) وبوضع (لبنتين مدرتين) بشكلهما الأفقي الطولي عرضاً أي (سبيتين) يقوم عليها الجدار السميك ليصبح عرضه ذراعين ونصفاً (١٥٠سم) يرتفع بعد ذلك الجدار قدر قامة الإنسان المتوسط ويسمى (المدماك) بعد ذلك إما أن يطمر الفراغ بين الجدر بالطين وبعض الأحجار، وإما أن يسقف بجذوع شجرة السدر وتسمى (الحمر) ليكون أشبه بمخابئ للمؤن وتسمى (الخنون) جمع (خن).

ثم يرتفع البناء بطريقة أخرى لوضع اللبن (المدر) فيكون على شكل (سبية ومعروضة) والسبية هي وضع اللبن أفقياً طولاً (والمعروضة) بوضعها أفقياً عرضاً.

يتكون أول الطوابق الستة بإقامة منافذ المنزل والباب الرئيسي له ويسمى (الضيقة) ومخازن سفلى لحفظ المؤن والحطب والغلال وتسمى (غيال).

البناء هنا من الطين واللبن فقط وخشب شجرة السدر (الحمر) التي تشكل أخشابها بأشكال ومقاسات تفي بجميع الأغراض ومثلها أيضاً شجرة الأثل التي تدخل أخشابها أيضاً في بعض المنافع (وهذه هي المواد التي



تفضل بها المولى سبحانه وتعالى على البلاد اليمنية بعد تهدم سدهم فاستفادوا منها).

في الطابق الأول من البناء يبدأ تكوين واستدارة السلالم (الرقاد) بعمل جدار قوي وسميك تعتمد عليه دورة السلم والبناء ويسمى (العروس) وهو عبارة عن جدار قوي يبنى بطريقة (المعروضتين) أو (السبية ومعروضة) ونادراً ما يقام معتمداً على خشب السدر (الحمر).

يرتفع الطابق بمعدل ٤ أمتار تقريباً وهذا هو المعدل الثابت لارتفاع كل طابق عن الآخر ثم يسقف كما أسلفنا بالأخشاب ليقوم عليها الطابق الثاني، وفي هذا الطابق السفلي يترك فراغ يرتفع مع ارتفاع الأدوار ليكون بمثابة (منور) وإضاءة لداخل المنزل وللسلالم (الرقاد) ويسمى (الشَّمسة) للتهوية ولدخول ضوء الشمس ولمناداة أهل المنزل منه.

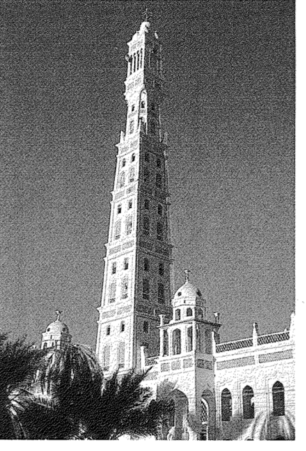
يبدأ الطابق الثاني في الارتفاع والمخصص غالباً للأغنام وخزن الحبوب المستعملة يومياً لأهل المنزل ويسمى (السطوح) ومنه تتحدد أحجام الغرف للطوابق العلوية بوضع مراق للأعمدة التي تعتمد عليها أسقف وأرضيات الطوابق الأخرى وتسمى (أسهم) جمع (سهم) وهو عبارة عن عمود من خشب الحمر محلي بنقوش بديعة غاية في الإتقان يعلوه تاج منقوش أيضاً يسمى (الكبش) يعتمد عليه سقف الغرفة وزينة أيضاً للمجلس.

يرتفع البناء بعد ذلك إلى الطابق الثالث وهو المخصص لمجالس الرجال وتسمى (الهابطيات)، ومكونة من غرفتين غالباً إحداهما كبيرة ذات ٤ أسهم (أعمدة) تكون لاجتماع الضيوف وعند الأفراح والأحزان كذلك، كما أنه بداخل تلك الغرف أيضاً مخازن صغيرة مقفلة تسمى (المبارد) جمع (مبرد) لحفظ الأشياء والملابس وغيرها.

في الطابق الرابع والمخصص لمجالس النساء والتي تسمى (الطالعيات) على النمط الأول نفسه، ويقوم فيها المطبخ العام لأهل المنزل في غرفة مستقلة به، ويشتمل على جميع مستلزمات المطبخ التقليدية والباقية إلى اليوم بالرغم من وجود الأدوات الحديثة، فيوجد به تنور (تنار) أو اثنان لخبز القمح أو الذرة وبجوارهما مكان لوضع الحطب المستعمل يومياً ويسمى (سف الحطب) وخزانة صغيرة لحفظ المواد الخاصة بالطبخ وبعض الغلال وما تحتاج إليه الطاهية من سمن وزبد وخلافه، كما توجد فتحة فوق التنور بارتفاع الجدار إلى أعلى تستعمل كمنفذ لخروج الدخان وللتهوية أيضاً.

وفي الطبقة السفلى يوجد مخازن لحفظ الغلال والمؤن وبها أيضاً مكان مخصص (للرحى) وهي عبارة عن حجرين بعضهما فوق بعض لطحن الحبوب و(مدق) لدق الحبوب أيضاً يسمى (منحاز) وفي المخازن أيضاً توجد (أزيار) جمع (زير) لحفظ التمور لأهل المنزل بحيث تكون كل الاحتياجات لأهل المنزل وتموينه لعدة أشهر موجودة فيه، والمياه أيضاً توضع في أزيار تسمى (جحال) جمع (جحلة) ومكانها في كل حمام (طهارة) وبكل طابق من الطوابق الستة الحمام (الطهارة) الخاصة به وبساكنيه.

وقديماً كان في كل منزل مؤونته من غلال وحبوب وتمور ما يكفي أهله لمدة عام كامل، والاكتفاء الذاتي لكل أسرة في مدينة شبام موجود في منازلها من طهو الطعام وتحضيره وغسل الملابس وتربية الأغنام والدواجن فيه، كل ذلك لا يخرج عن نطاق المنزل ولكل بيت تقريباً المزرعة الخاصة به والنخيل كذلك، وتسمى المزارع (الجروب) وهي تمد أهل المنزل بحاجتهم من الحبوب والتمور ما تكفي غلته غالباً سنة أو أكثر. وتعتمد على مياه الأمطار والسيول.



نعود إلى البناء وإلى الطبقة الخامسة عندها يبدأ المعلم أو متعهد البناء بتقليل حجم (المدرة) طولاً وعرضاً ووزناً أيضاً ليكون البناء على (معروضة).

ومن الطابق الرابع يبدأ الميلان قليلاً بالجدران إلى الداخل وتزيد نسبة الميلان في الطوابق العلوية الأخرى حتى لكأنك ترى المنزل من الخارج وبه ميل واضح، وهذا هو سبب قوة البنيان وتماسكه لفترة طويلة وعدم تأثره بالعواصف والأمطار.



يتكون الطابق الخامس من غرف على النمط المشار إليه في الأدوار الأخرى وبه مجلس كبير يسمى (المرواح) مجتمع لأهل المنزل ومستراح وبه غرفة لا سقف لها أشبه بالشرفات الواسعة تسمى (الريوم) جمع (ريم) وتستعمل لتجفيف الملابس وما يحتاج إلى تعريضه لأشعة الشمس، وفي المساء تكون متنفساً لأهل المنزل يتسامرون فيها وخصوصاً في الصيف حيث يكون المناخ حاراً فتهب في المساء نسمات صحراوية جميلة منعشة وصحية تعوض قيظ النهار وتلطف الجو والمناخ الصحراوي الذي يلف المدينة. وفي هذه الطبقة تتجلى الوحدة والتآلف والتقارب بين جميع الأسر في المدينة، فأكثر المنازل ملتصق بالآخر وهكذا على مدار الخمسمئة منزل القائمة في المدينة، فابتكر الأولون طريقة لحفظ هذه الوحدة والحفاظ على ستر النساء خاصة، ففتحوا منافذ تسمى (المسالف) جمع (مسلف) تفضي بالوالج فيها إلى المنزل الآخر، خصص أحدها في الطبقة الخامسة العليا للنساء وآخر في الطبقة الثالثة للرجال.

ثم يكتمل البناء بالطابق السادس مع تقليل حجم (المدرة) اللبنة عن ذي قبل ويضيق تبعاً لذلك السلم (الرقاد) وتصغر الغرف نسبياً ويكون هذا الطابق خاصاً برب الدار أو للأبناء حديثي عهد بالزواج وبه غرفتان غالباً تسمى أيضاً (مراويح) جمع (مرواح) وأخرى أشبه بالشرفات الواسعة وتسمى هنا (الطيرمة) ويطلق على الطابق كله (بين الطيارم).

هنا يكون بناء المنزل قد اكتمل لتبدأ بعد ذلك المراحل الأخرى والتي تعتبر مكملة له من صقل الجدران الداخلية من الفتحات بها بوضع طبقة من الطين وصقلها بآلة خشبية تسمى (البلد) ثم تركب الأبواب والنوافذ الخشبية وهي من خشب (الحمر) جيد الصنع، وكلها منقوشة بنقوش بديعة جميلة تزيد من بهاء المنزل ورونقه، وكذلك أبواب الخزانات المثبتة في الجدار وتسمى (التيحة).

تأتي بعد ذلك رحلة الصقل النهائي بالجير (النورة) بعد أن تزول ملوحة الجدران الطينية وتسمى هذه الطريقة (الطرقة) وهي عبارة عن جير (نورة) ثقيل نسبياً تسبك به الجدران وتصقل صقلاً جيداً حتى تكون ملساء وناعمة بنعومة الرخام الجيد وتصقل الأرضيات كذلك. ومع الجير يخلط (الرماد) وهو من مخلفات الفحم الجيري بعد احتراقه ليكون مادة جديدة تصقل وتسبك به أرضية الحمامات (الطهائر).

وهنا لنا وقفة بسيطة فلهم في إنشاء الحمامات طريقة فريدة من نوعها هي عبارة عن فتحات طولية للمراحيض لها مقعد من الطين أشبه بكرسي كمستراح للجالس عليه ويتميز كل مرحاض في كل طبقة بفتحة مستقلة به تسمى (مخوال) بطريقة عجيبة لا يتعارض نزول المخلفات منها مع الطوابق السفلى، وتجتمع مخلفات جميع المراحيض أسفل المنزل من الخلف في مكان واحد يسمى (الخور) ويستعمل الطين أيضاً في التطهير ويسمى (الطفل) وهو

ما يتبقى من طين بكر في الأراضي الزراعية بعد انحسار السيول عنها. ولنزول المياه كذلك من الحمامات ومن الشرفات (الريوم) من فتحات أعدت لذلك تنتهي بمنافذ خشبية تسمى (المراعيض) تعمر طويلاً وهي من خشب شجرة الأثل التي تكثر في نواحي حضرموت.

بعد الانتهاء من الطرقة وتركيب الأبواب يتم تركيب الباب الرئيس للمنزل ويسمى (الضيقة) وهو باب ضخم من خشب (الحمر) لا يستطيع أقل من ٥ رجال أشداء حمله وتركيبه مزين بنقوش دقيقة جميلة ومثبت بمسامير ومتداخل بعضه في بعض تتوسطه حلقة معدنية تسمى (القرقعة) يطرق عليها من يريد الدخول للمنزل ويعرف أهل كل منزل صوت الطرق الذي يعنيهم.

بعد الانتهاء من كل ذلك جميعه يبدأ البناؤون برش الجير (النورة) المخففة بالماء على الجدران من الداخل لزيادة الإضاءة والعاكسة لأشعة الشمس، ثم يغطى المنزل من الخارج بطبقة من الطين ويرش عليها الرمل الناعم، وتسمى هذه الطريقة (التجليد)، بعده يتوج المنزل بتاج أبيض جميل من النورة ثم تتدلى على نحر المنزل قلادة بيضاء أيضاً من الجير (النورة) تضفي على المنزل من الخارج المنظر الخلاب وتعطيه الشكل التقليدي الجميل.



قوة البناء غالباً ما تعتمد على الزمن نفسه فمع بناء كل طابق يترك فترة طويلة دون إعمار حتى يجف تماماً بفعل أشعة الشمس الحارقة لمدة لا تقل عن العام تقريباً، وهذه الطريقة تساعد كثيراً على قوة البناء واللبنات وتماسكهما، فتأتي الأمطار الموسمية ليتعرض لها المنزل وكتجربة أولى على الصمود أمامها ليظهر بعد ذلك أي خلل أو وهن يراد إصلاحه ويبقى تحت وهج أشعة الشمس ما يراد له أن يبقى. فإذاً يكون بناء البيت الكامل الوافي لجميع شروط الأعمار اليمنية الحضرمية ومقاييسها قرابة ٦ سنوات أو ٧ سنوات كاملة.

البناء التقليدي لمنازل مدينة شبام في وادي حضرموت الذي اشتهرت به على امتداد الوادي وعلى النطاق العالمي أيضاً قديماً وحديثاً، أثبتت التقارير والإحصاءات والنشرات الصادرة من الهيئات العالمية والدولية مثل (اليونسكو) وغيرها من الهيئات، أثبتت قوته وقدرته على التحمل والثبات لسنوات عدة بل لقرون طويلة، ومما يبرهن على هذا وجود بعض المنازل إلى يومنا هذا والتي بنيت منذ ما يقارب ٤٠٠ سنة، وأخرى تراوح أعمارها بين ١٥٠ عاماً إلى ٢٠٠ عام، ومنها الجديد أيضاً الذي لا تتعدى سنواته الخمسين.

وكما أن لكل فن رواده وصانعيه فإن للبناء والفن المعماري المتميز عن أي إعمار آخر على امتداد رقعة اليمن جميعه والمتمثل والمحصور في بناء ناطحات السحاب الشاهقة بمدينة شبام له رواده أيضاً.

فمن أصول يمنية عريقة من قبائل حضرمية وحميرية ضاربة في القدم كانت هناك الأسر المجيدة التي قام على أكتاف أبنائها فن الإعمار الحضرمي لناطحات السحاب، ولم يكن لأي فرد منهم أي حظ من تعليم أو دراسة أصول البناء الحديث أو القديم على غرار المدارس الحديثة، لم يكن معهم سوى ذكاء فطري وروح يمنية شبامية قوية مستلهمة أمجاد الأجداد وخبرتهم في إنشاء المدن، وحفظ التراث، فمن هؤلاء وعلى سبيل المثال لا الحصر: آل باحجر، آل عبدون هويدي، آل بايعشوت، آل بن شامس، آل ودعان، آل حيان، آل باصويطين، آل باخريصة، آل كويران، آل باشعر، وغيرهم كثير من المتخصصين في فن البناء والإعمار.

ولا ننسى أيضاً الإشادة بذوي المهارات الأخرى والتي أكسبت الفن اليمني تراثاً لا يتغير والمتجسد في عمل الأبواب والنوافذ، والأعمدة الخشبية وزخرفتها، والنقش عليها وتزيينها بفن جيد ورصين يدل على حنكة وخبرة وذكاء فطري وذهن صاف، فأصولهم أيضاً عريقة كعراقة فنهم نذكر منهم أيضاً ودون حصر لهم: آل باسدس، آل زبير، آل باجيدة، وغيرهم كثير.

لقد خلد مشيدو الناطحات الترابية مجدهم وتراثهم في قوالب من الطين والتبن وجذوع النخيل وأشجار السدر والأثل التي بقيت إلى الآن صامدة وشاهدة على المجد والتاريخ وفن الإعمار البديع، هذا هو فن المعمار في شبام تلك المدينة العظيمة الصامدة على مدار القرون صمود الجبال بفن معمارها وقوته وعراقة بنائيها العظام. ■



محطات في تاريخها:

اليمن .. منـ



المعرفة : - إبراهيم مضواح الألمعي
- محمد فالح الجهني

اختلفت الآراء في سبب إطلاق اسم (اليمن) على جنوب الجزيرة العربية ، ففريق يرى أن اليمن سُميت كذلك لوقوعها عن يمين الكعبة، ولكن ياقوت ينقض هذا بقوله: إن الكعبة مربّعة، فلا يمين ولا يسار لها، فإن كانت على يمين قوم كانت على يسار آخرين، إلا إذا أريد بذلك أنها عن يمين الركن اليماني من أركان الكعبة وهو أجلها، ويرى ياقوت أن اليمن سميت كذلك لأنها عن يمين من يستقبل مطلع الشمس.

وفريق آخر ينسبون اليمن إلى (يامن بن قحطان)، ويرى آخرون أنها سُميت بذلك ليمنها وعمرانها وخصوبة أرضها، ولكثرة ما ينزل فيها من الغيث، إذا ما قورنت ببقاع شبه الجزيرة العربية الأخرى التي تتاخمها.

الممالك اليمنية القديمة

يُجمع المؤرخون العرب على أن أول دولة قامت في اليمن كانت دولة (عاد الأولى)، ولذلك فإنهم يطلقون وصف (عادي) على كل شيء قديم لا يعلمون تاريخه، وذكروا أن أشهر ملوكها (عاد وشديد وشداد) وقالوا إن شداداً هو الذي بنى مدينة (إرم) التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(٧)الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ(٨)﴾ (سورة الفجر).

وفي عهد شداد بغتْ (عادٌ) وكثر الظلم والفساد، وأرسل الله تعالى إليهم (هوداً) عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الرحمن وترك الأوثان فكذبوه، وتمادوا في ضلالهم وبغيهم، حتى دالت دولتهم بعد أن هلك أكثرهم.

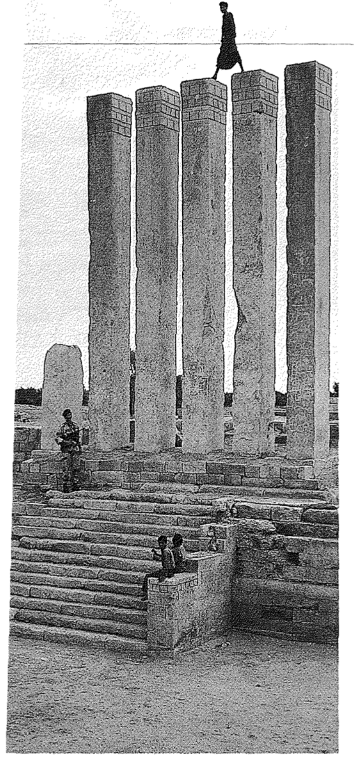
ولما هلكت (عاد الأولى)بقي هود عليه السلام ومن آمن معه، ولحق بهم خلق كثير فأسسوا دولة جديدة أسموها (عاداً الثانية) دام ملكها نحو ألف سنة.

وينقل الدكتور شوقي أبو خليل في كتابه (أطلس القرآن) أن أهل حضرموت يقولون: إن هوداً عليه السلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات ودفن في شرقي بلادهم في مدينة (تريم).

ثم قامت بعد ذلك ممالك كثيرة، على أني أنبه القارئ الكريم إلى كثرة الأخبار التي ينقض بعضها بعضاً حول تاريخ هذه الممالك، ولذلك فما يرد من أخبارها إنما هو اجتهادات مؤرخين تسندها قرائن(يسمونها أدلة) اعتمدوا فيها على ما كشفه المستشرقون من نقوش وكتابات وآثار لعلها إن لم توافق الحقيقة تكون قريبة منها، تعطي تصوراً عن الحقب التي مرت بهذا البلد العريق.

ومن تلك الممالك (مملكة معين - ١٤٠٠ق .م - ٨٥٠ق.م) ولها عاصمتان (قرناو) ثم (معين) وهي من أقدم الممالك اليمنية، وقد سكن أهلها شرقي بلاد اليمن، شمالي حضرموت، وكانت لهم دولة كبيرة ذات مدنية، واحترفوا الزراعة، ودالت دولة المعينيين على يد السبئيين الذين أقاموا ملكهم على أنقاض دولة المعينيين. ويرى فريق من المؤرخين أن (السبئيين) كانوا معاصرين للمعينيين، وأنهم تنازعوا السلطان فتغلَّب السبئيون فأقاموا دولة جديدة سماها المؤرخون (سبأ الأولى).

و(مملكة حضرموت -١٠٢٠ق.م - ٦٥ ب . م)وعاصمتها (شبوة) ذكر الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) أن أول من سكنها هو (حضرموت بن حمير الصغير) وبذلك نُسبت إليه. ولاتزال حضرموت



تحتفظ باسمها منذ ثلاثة آلاف سنة، وقد قامت بين دولة حضرموت ودولة معين عدة حروب.

ومنها أيضاً (مملكة سبأ - ٨٥٠ ق.م - ١١٥ ق . م) وعاصمتها (مأرب) وقد قامت على أنقاض مملكة معين ، وسميت باسم مؤسسها الأول : (عبد شمس بن سبأ بن يشجب بن يعرب) وهو الذي بنى سد مأرب، وسمي سبأ لكثرة سبيه، وهذا هو النسب الذي ذهب إليه أكثر المؤرخين. وقد ورد ذكر سبأ في غير موضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قصة النبي سليمان عليه السلام (٩٢٢-٩٦١ ق.م.) مع ملكة سبأ.

بلقيس ملكة سبأ

ذكر صاحب كتاب (هذه اليمن) أنه جاء في التوراة في الإصحاح العاشر من سفر الملوك ما خلاصته: أن ملكة سبأ عندما سمعت بخبر (سليمان) عليه السلام أتت إلى مدينة (أورشليم) القدس بموكب عظيم وجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً وحجارة كريمة، وامتحنت سليمان بمسائل كثيرة فأخبرها بكل كلامها.

أما القرآن الكريم فقد ذكر الله فيه قصتها مفصلة في سورة النمل.

ومن تلك الممالك (مملكة قتبان وأوسان - ٨٦٥ ق.م - ٥٤٠ ق.م)، وعاصمتها (تمنع)، وهي دولة عظيمة قامت جنوبي الجزيرة العربية، وعاشت عدة قرون، وكان لها من الحضارة والمنعة ما يجعلها تضاهي دولة معين وسبأ، وذهب أكثر المؤرخين إلى أن هذه المملكة عاشت فيما بين القرن التاسع والسادس قبل الميلاد، واتفقوا

يُجمع المؤرخون العرب على أن أول دولة قامت في اليمن كانت دولة (عاد الأولى)، ولذلك فإنهم يطلقون وصف (عادي) على كل شيء قديم لا يعلمون تاريخه

على أنها كانت ذات قوة وسلطان، الأمر الذي جعل دولة سبأ تهابها وتعقد معها عدة أحلاف سياسية. والذي قرره الباحثون أن (أوسان) كانت ضمن مملكة قتبان، وذهب القليل منهم إلى أن أوسان دولة ذات كيان مستقل.

و (مملكة سبأ وريدان الحميرية - ١١٥ ق . م - ٥٢٥ ب . م) وهي آخر الممالك اليمنية التي حكمت جنوب الجزيرة العربية وأوضحها تاريخاً بالنسبة إلى قبلها، وينقسم ملوكها إلى طبقتين:

الطبقة الأولى: وهي التي حكمت اليمن (من عام ١١٥ ق . م إلى ٢٧٥ م) وعدد ملوكها (١٨) ويسمى الملك منهم (ملك سبأ وريدان).

الطبقة الثانية: هي التي حكمت اليمن (من عام ٢٧٥ م إلى عام ٥٣٣ م) وعدد ملوكها(١٤) وكانوا يُسمون التبابعة، كما كان يُلقَّب الملك منهم بـ (ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات) وكان لها عاصمتان (ظفار) ثم (صنعاء).

سد مأرب

في ذلك المكان المترامي الأطراف الجميل الموقع الفائق الخصب الذي يبعد عن صنعاء شرقاً (١٩٣ كيلاً) وينتهي طرفه في الربع الخالي، يقع الممر المائي الذي تلتقي فيه عشرات الوديان المائية المنحدرة من جبال اليمن. بُني سد مأرب بطريقة تدل على هندسة نادرة وتقسيم فني ومهارة فائقة لا تقل عظمة وشأناً عن بناء أكبر أهرام مصر، بل يفوق ذلك - كما يقول مؤرخو اليمن - نظراً إلى قيمته العظيمة وفائدته الكبرى في تنظيم الري، وتأمين معيشة الملايين من أبناء اليمن، وقد شُيِّد بالحجر ذات القطع الهائل والنحت الفني الدقيق، ويقدر صاحب كتاب (اليمن عبر التاريخ) طوله بثلاثة كيلو مترات، وعرضه ما بين ٨٠٠ متر إلى ١٠٠٠ متر.

ويستنتج من ذلك أنه قد عاش في هذه المنطقة ما يُقدر بالملايين من أبناء اليمن قديماً ، وصيروا من هذه الأرض القاحلة المغبرة مروجاً خضراء وحدائق غناء استحقت ذكرها في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ(١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ(١٦)ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ(١٧)وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ(١٨)فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(١٩)﴾ (سورة سبأ).

إن هذه الأرض على اتساع رقعتها وازدهارها في الماضي كما نص على ذلك القرآن الكريم، هي بحق (مصنع العرب)- كما يقول المستشرق لورنس - التي انطلقت منها الموجات البشرية بعد خراب سد مأرب

فغمرت شمال الجزيرة العربية وأواسط إفريقيا وبلدان الشرق الأدنى.

بعد أن عاش هذا السد قائماً بمهمته في خزن المياه ما يقرب من ١٤٠٠ عام أي ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد ، تاريخ بنائه، إلى القرن السادس الميلادي تاريخ انهياره.

نتيجة خراب سد مأرب

يُقال في المثل العربي «تفرقوا أيدي سبأ» ذكره الميداني في مجمع الأمثال، فنتيجة انهيار السد نزحت قبيلة غسان إلى (حوران) في سوريا، وأنشأت بعد قرنين وربع قرن دولة (الغساسنة) المشهورة ونزحت قبيلة (لَخْم) إلى أرض (الحيرة) في العراق وأقامت بعد قرنين ونصف قرن دولة (المناذرة)، ونزحت بعض قبائل كندة إلى نجد وبعضهم إلى حضرموت وأسسوا دويلات لها شهرتها في التاريخ. وقد أُعيد بناء (العرم) على أيدي الهمدانيين من ملوك حمير كما كان عليه من قبل.

ويظهر من النصوص أن السد عاش قرابة خمسمئة عام بعد أن أعاد بناءه الحميريون حتى القرن الخامس للميلاد، وفي أوائله بدأ في التصدع مرة ثانية وذلك خلال حكم الملك شرحبيل بن يعفر بن أبي كَرِب أسعد الكامل (٤٢٥-٤٥٥م).

الحياة العامة في اليمن قبل الإسلام

أولاً : التشريع والنظام الاجتماعي:

كان الحكم في اليمن أيام الدولة المعينية والقتبانية إلى آخر عصر المكربين السبئيين عام (٦٢٠ ق .م) يقوم على النظام (الثيوقراطي) أي الكهنوتي، وكان لقب (مكرب) يُطلق على (أمير الكهنوت) وقد ظهرت في اليمن الديانة اليهودية في أوائل القرن السادس للميلاد، وما لبثت أن اكتسحتها الديانة النصرانية خلال الثلث الأول من القرن نفسه، على أيدي الأحباش ثم على أيدي الفرس، وانتهت أخيراً بظهور الإسلام سنة ٦٢١م.

„ بُني سد مأرب بطريقة تدل على هندسة نادرة وتقسيم فني ومهارة فائقة لا تقل عظمة وشأناً عن بناء أكبر أهرام مصر “

وقد ضرب المعينيون والسبئيون والقتبانيون والحميريون نقوداً نقشوا عليها صور الملك وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية أو اجتماعية.

ثانياً: الحضارة الزراعية والعمرانية:

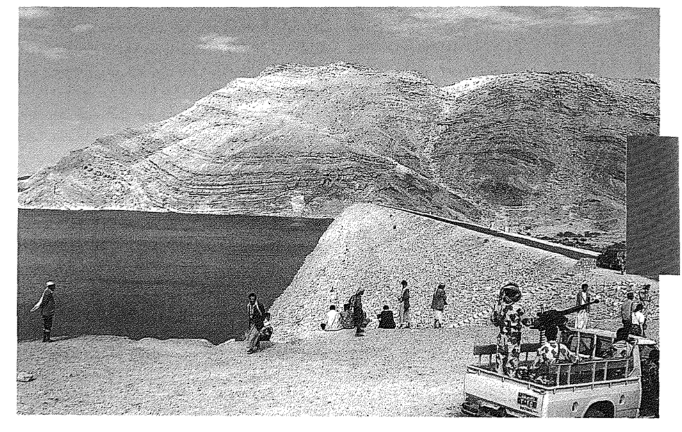
هناك الكثير من المعلومات والمراجع التي تُثبت تقدم

١- «حضرموت» تجارة وتجارة وتجارة..

لم يعرف التاريخ في أي مكان من العالم قوماً غيّروا هوية وديانة من يتعاملون معهم تجارياً، وأبدلوا بها ديناً وهوية جديدين، بل وأصبحوا من أعيان البلاد التي هاجروا إليها ومن كبار تجارها، كما فعل الحضارمة في شرقي إفريقيا وجنوب شرق آسيا.

والحضارمة سر باتع في التجارة، فالحضرمي يستطيع وبكل ثقة أن يبدأ تجارته من الصفر، ويستطيع بكل همة أن ينعش مشروعاً تجارياً في حالة الاحتضار وفي وقت قياسي، والحضرمي لا يعبأ بالمغامرة التجارية، ويستطيع أن ينهض سريعاً لو فشلت تجارته يوماً، والحضرمي في زمن وجيز يتحول من تاجر مهاجر إلى ثري من أعيان البلد التي يهاجر إليها، لا نقول هذا من باب إعجاب أو مبالغة، فمن لاحظ هؤلاء القوم أو عرف أحداً منهم لا يفوته صدق ما نقول.

ولعل التجربة التجارية الحديثة للحضارمة في السعودية، مثال بارز وواضح، يؤكد ما ذهبنا إليه من حذق الحضارمة منقطع النظير في التجارة، فلقرب هذا الإقليم من السعودية، لم تكن هجرة الحضارمة إليها مقترنة بوجود الثروة النفطية، بل عرفوا الهجرة إليها وإلى الحرمين الشريفين والحجاز على الأخص منذ مدة طويلة تمتد إلى ما قبل تأسيس المملكة العربية السعودية. وبهذا فإن شريحة ليست بالضئيلة ولا بالكبيرة من مواطني السعودية اليوم ينحدرون من أصول



اليمن قديماً في المجال الحضاري والزراعي والعمراني، ذلك التقدم الذي يتجلى في عظمة سد مأرب وعرش بلقيس، وقصر غمدان وفي الآثار الموجودة في أمكنة كثيرة من اليمن ، ولهذا نجد الدكتور جرجي زيدان يقول في كتابه (العرب قبل الإسلام) تحت عنوان (تمدن اليمن القديم): «أهل اليمن حضرٌ من أقدم أزمانهم، فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهياكل وأثاث ورياش، لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحدائق والبساتين» ا.هـ .

فقصر غمدان مثلاً لا يزال اسمه وموضعه معروفين

حضرمية، ومن هؤلاء الذين ينحدرون من أصول حضرمية نبغ العديد في مجال المال والإنشاءات. ومن هؤلاء النابغين نذكر محمد بن عوض بن لادن الذي أنشأ أكبر مؤسسة للمقاولات في السعودية قامت بشق الطرق فيها ورصفها، وقامت بمشروعات ضخمة أخرى أهمها توسعة الحرمين الشريفين، وفي مجال المال نذكر سالم بن محفوظ الذي أسس البنك الأهلي التجاري السعودي وجميع فروعه، وأحمد بقشان الذي برز في مجال التجارة بشكل لافت، ومحمود سعيد، وابن داود، وقائمة هؤلاء المتميزين تطول. وهناك العشرات من التجار السعوديين من أصول حضرمية يسجلون نجاحات وأفكاراً جديدة وجريئة في مجال التجارة.

وقد أدرك المفكر جون كروفورد عندما درس تاريخ جزر الهند الشرقية - وضمن ما درسه العنصر الحضرمي هناك - صفات الحضرمي التي مكنته من النجاح الباهر في مهنة التجارة، وقد عبر كروفورد عن هذه الصفات في ثلاث كلمات موجزة ومعبرة هي: موهوب، وعادل، ومغامر.

ويورد سقاف الكاف (رحمه الله) الخصائص الإيجابية للحضرمي، في محاولة لوضع اليد على السر في تجارة الحضارمة، وهذه الصفات هي:

الحضرمي قوي الإيمان، حريص على نشر الإسلام، متواضع، خلوق، يكسب مودة الناس ومحبتهم بسرعة، أمين بدليل تشغيل أصحاب الأموال والشركات والبنوك والمصارف للحضرمي في مجال الأمانات في أي مكان يهاجر إليه، والحضرمي ذكي جداً، وقنوع يرضى بما قسم الله، ويميل إلى النظام والنظافة في مسكنه سواء كان فقيراً أو غنياً، كما أنه نشيط ويكد في جلد، ويتقن العمل الموكل ◀

حتى اليوم في الجهة الشرقية من صنعاء، وقد بُني في عهد (الشرح يحصب بن فرع ينهب) الملك الخامس من ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات (١٥-٣٥ ق . م) وقد ذكره الهمداني في الجزء الثامن من كتابه (الإكليل) وفي كتابه(صفة جزيرة العرب) فقال إنه كان يتكون من عشرين طبقة، بين كل طبقتين عشرة أذرع (أي سبعة أمتار ونصف متر)، وقد أطبق بانيه آخر طبقة بقطعة شفافة من الرخام، يُميز الطائر من خلالها عندما يمر من فوق سطح القصر، وعلى أركانه أربعة تماثيل نحاسية مجوّفة ثابتات على أرجلهن، أما أيديهن وصدورهن فكانت بارزات من القصر، وكانت الريح إذا هبّت دخلت إلى أجواف التماثيل فيُسمع لها زئير كزئير الأسود. هذا أنموذج لما بلغه فن المعمار اليمني قبل الميلاد.

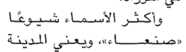
صنعاء عبر الأزمنة

تميزت منازل صنعاء بطابع معماري يرجع في أصوله إلى عصور ما قبل الإسلام، وبعد الإسلام اصطبغ بنمط العمارة العربية الإسلامية.

والحديث عن صنعاء قد يكون عن سور عظيم، أو بوابة عملاقة قديمة، أو بيوت بالغة القدم، ونقوش فريدة، وأسواق تثير لدى زائرها الدهشة، وزحام من اللوحات الفنية التي تحوي قصوراً شامخة، تحفّها الشوارع والأسواق؛ لتمثل في مجملها أكبر متحف تاريخي طبيعي مفتوح في العالم، يضم المنازل بشبابيكها المميزة، والمساجد، والوكالات، والقمريات.

صنعاء حاضرة اليمن الخضراء وعاصمة البلاد السعيدة، كما أسماها مؤرخو اليونان، وعروس الجزيرة العربية.

وقد عُرفت بأسماء عدة، أشهرها: مدينة (سام) نسبة إلى مؤسسها الأول سام ابن نبي الله نوح (عليه السلام) الذي بناها بعد الطوفان، كما تعرف باسم (أزال) نسبة إلى (أزال بن يقطن) حفيد «سام بن نوح»، ولايزال اسم (أزال) معروفًا، وهذه التسمية وردت في التوراة.



وأكثر الأسماء شيوعًا «صنعاء»، ويعني المدينة الحصينة، ويقال أنه يرجع إلى جودة الصناعة ذاتها التي اشتهرت بها أسواقها ومحلاتها، كقولهم «حسناء».

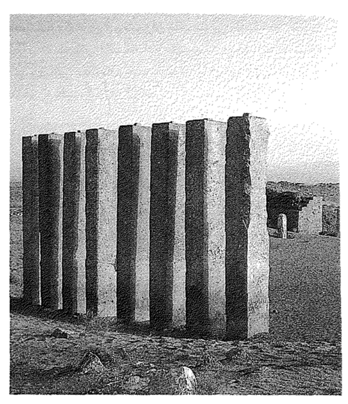
وكان «ذو نواس» آخر ملوك الدولة الحميرية قد اتخذها عاصمة لملكه في مطلع القرن السادس الميلادي، وكذلك جعلها الأحباش الذين غزوا اليمن وحكموها من

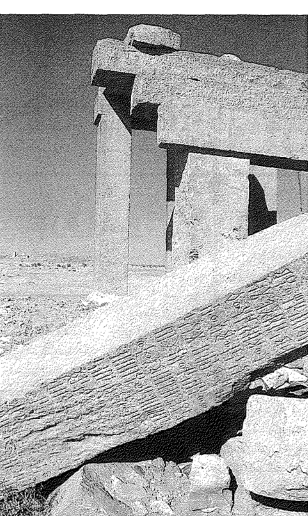
«حضرموت» تجارة وتجارة وتجارة..

إليه، والحضرمي مضياف، وقليل الكلام والمجاملة، ويميل إلى الجدية وينفر من الهزل. ومن أهم صفات الحضرمي أنه رجل عصامي يهاجر من بلده صفر اليدين فيستطيع أن يشق طريقه ويكوّن ثروة طائلة في مدة وجيزة لا تتعدى عقدين من الزمان. ويتميز الحضارمة بالتئام بعضهم ببعض، وتجمعهم في مجالس خاصة يعقدونها في بيوتهم وتكون يومية أحياناً. ويتميز مجمع الحضارمة في أي مكان برقابة اجتماعية شديدة، يخشاها كل حضرمي، حيث تؤدي إلى نبذه وعدم التعامل معه إذا انحرف.

ولكن الكاف - وهو حضرمي بالمناسبة - يريد أن يكون موضوعياً فيورد العيوب التالية للحضرمي:

فالحضرمي يتصف بالفردية ولا يميل إلى العمل الجماعي، ويميل إلى تقليد غيره في اللبس والعادة من غير أن يفكر في مدى ملاءمة هذا التقليد له أو لا. ومن عيوب الحضرمي عدم تقبله للجديد في العلم في شؤون تجارته، فنجد الكثير من التجار الحضارمة ليس لديهم نظام للمحاسبة، فبالرغم من اتساع تجارتهم يعتمدون على الذاكرة. ومن عيوب الحضرمي عدم ميله إلى الابتكار في عمله وتجارته، فلا يخرج نفسه من مجال التجارة الذي توارثه عن أجداده. ومن عيوب الحضارمة ميلهم إلى المفاخرات في حفلات الزواج، ويعد بعض الناس أن من عيوب الحضارمة أنهم لا يندمجون في مجتمعات مهاجرهم ولا يتزاوجون معهم ولا يزوجونهم إلا على النادر، حتى ولو أصبحوا من مواطني هذه المهاجر.■





(٥٢٥م حتى ٥٧٥م) وخلالها بنى أبرهة الحبشي بنايته المشهورة بـ (القُلّيس) التي مازالت موجودة حتى الآن؛ لتحل محل الكعبة المشرفة في مكة. وكان أبرهة قد توجه إلى مكة، كما هو معروف؛ لهدم الكعبة عبر الطريق الذي عرف بـ «درب أصحاب الفيل».

وبتعاقب العصور كانت صنعاء إما مدينة مهمة وإما عاصمة، وكانت إحدى أسواق العرب الموسمية قبل الإسلام، مثل: «سوق عكاظ»، و«دومة الجندل»، و«هجر» و«عدن» و«الجنَد». كما كانت محطة مهمة على طريق التجارة، عبر الهضبة اليمنية التي حلت محل طريق (اللبّان) القديم وكانت تبدأ من عدن عبر صنعاء حتى مكة فيما عُرف بـ«درب أسعد».

وتقع صنعاء وسط الهضبة اليمنية بين جبلي «عيبان» و«نقم» على ارتفاع يبلغ نحو ٢٢٠٠ متر فوق سطح البحر، ومناخها معتدل صيفًا بارد شتاء.

اليهودية والنصرانية في اليمن

في عام ٧٠ للميلاد نزح اليهود من فلسطين بعد أن دمَّرها الإمبراطور الروماني (تيتوس Titus) فتفرقوا في الأقطار ووجد بعضهم في اليمن بلداً أمناً يأوون إليه ومكاناً حصيناً يقيمون فيه، وبعد مضي برهة من الزمن تمكنوا من السيطرة على مرافق اليمن التجارية، وهو ما ساعدهم على نشر الدين اليهودي في اليمن. وكان أول من اعتنقه هو الملك (أسعد الكامل) ثم من بعده (ذو نواس) وهو آخر الملوك الكبار لدولة حمير.

وقد أدى تعصب (ذو نواس) الذي سمى نفسه (يوسف) للدين اليهودي إلى إيقاعه بنصارى نجران في قصة الأخدود التي ذكرها الله في كتابه الكريم، إذ نهض إلى نصارى نجران عام (٥٢٣م) وحفر الأخدود وأضرم النيران وخيَّر النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إلقائهم في الأخدود، فأبى الكثير منهم الرجوع عن دينهم فأحرقهم، حتى إن امرأة كانت ترضع صبياً لها فأحجمت عن إلقاء نفسها مع صبيها في النار، فأنطق الله الصبي فقال لها: أماه امضي فإنك على الحق، فاقتحمت في النار. كما في صحيح مسلم.

كان هذا الفعل الشنيع مثاراً لاستنكار معتنقي النصرانية في أوروبا والحبشة، فأصبحت اليمن بعده مسرحاً للنزاعات والحروب بين اليهودية وعلى رأسها (يوسف ذو نواس) وبين المسيحية ومن ورائها قيصر الروم ونجاشي الحبشة، فبعث نجاشي الحبشة قوة كبيرة تتكون من أربعة آلاف جندي بقيادة (أرياط) يعاونه (أبرهة) وجرت مواقع كثيرة كانت الغلبة في نهايتها

للأحباش وهو ما اضطر (يوسف ذو نواس) إلى إلقاء نفسه في البحر.

وهكذا انتهت الدولة الحميرية واستولى الأحباش على اليمن عام ٥٢٥ للميلاد ، وفي هذه الآونة قام (أبرهة بن الصباح الأشرم) - وهو أحد قواد النجاشي - بقتل القائد (أرياط) ودعا نفسه ملكاً على البلاد، وعمل على تنصيرها، وبنى كاتدرائية (القليس) بصنعاء المعروفة الآن بـ (غُرْفَةُ القَلِيسْ) وأرغم الناس على الحج إليها بدلاً عن البيت الحرام، وكان متحمساً للنصرانية، وقد دام حكمه (٢٣ سنة) وهو صاحب قصة الفيل المعروفة في القرآن الكريم. وبعد أن سلط الله على جيشه الطير الأبابيل خرجوا يتساقطون بكل منهل، وأصيب أبرهة في جسده فسقطت أعضاؤه عضواً عضواً حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، كما يقول ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ثم خلفه ولده (يَكْسُوم) لمدة (١٩ سنة)، ثم ابنه الآخر (مَسْرُوق) ولبث (١٢ سنة) وكانت صنعاء عاصمة لهم، وقد انتهى حكم (مسروق بن أبرهة) سنة ٥٩٩ للميلاد، عندما قام (سيف بن ذي يزن) بثورته المشهورة، بعد أن دام الاحتلال الحبشي لليمن حوالي أربعاً وسبعين سنة، كانت اليمن خلالها مسرحاً لحروب طاحنة، وكان سيف بن ذي يزن النعمان بن عفير أحد سلالة ملوك حمير، قد استنجد بكسرى أنو شروان ملك فارس طالباً منه النجدة لطرد الأحباش واستعادة ملك آبائه وأجداده، فأجابه كسرى إلى مطلوبه وأمده بالقوة والمال، وبعث معه القائد (وهرز) على رأس قوة كبيرة، جاء في كتاب (اليمن) أن

«وأهل اليمن حضرٌ من أقدم أزمانهم، فهم أهل مدن وقصور ومحافد وهياكل وأثاث ورياش، لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحدائق والبساتين»

هذه القوة كانت ممن كانوا في السجون - وكذا في الأعلام للزركلي، وأكثر المصادر - وأن القائد (وهرز) كان فارساً مغواراً، وقاطع طريق، ووقعت معارك بينه وبين قوات الأحباش بقيادة مسروق بن أبرهة، ولقي سيف بن ذي يزن تأييداً كبيراً من أهل اليمن أعانه على هزيمة قوات الأحباش بعد أن قتل (مسروق) في إحدى المعارك، وتولى سيف بن ذي يزن أمر اليمن من قِبل كسرى ، ووفدت إليه الوفود العربية.

وتتفاوت الروايات في سيرة سيف بن ذي يزن، وبواعث ثورته، وما جرى له، فقد اختلطت الحقيقة بالأسطورة في حياة ذلك البطل الوطني، ولا غرابة في كثرة ما يحاك حوله من أساطير، فقد كان مخلّصاً لليمن من حقبة الاستعمار الحبشي الذي دام أكثر من سبعين عاماً،

٢ـ «حضرموت» هجرة ودعوة

في عصور موغلة في القدم كانت الأمطار تسقط على جنوب الجزيرة العربية بما فيه حضرموت بغزارة، ولما كانت الأرض خصبة صالحة للاحتفاظ بالرطوبة وتغذية النبات، تكاثرت الخيرات، وأصبحت المنطقة هناك جنة من جنان الأرض. وقد تحدث اليونان والرومان عن وفرة المياه هناك، واخضرار الأراضي، وعن بساتين الفواكه وحقول التوابل ونبات البخور. ولكن هذا الرخاء لم يستمر طويلاً، فقد اعترت شبه الجزيرة العربية أزمات مناخية تمثلت في فترات جفاف شح فيها المطر تدريجياً، فافتقرت الحياة النباتية افتقاراً شديداً، ولاتزال الأراضي هناك تعاني هذا الجفاف إلى اليوم.

وأمام هذه الظروف القاسية، وتغير المناخ، وحلول الجفاف، إضافة إلى اضطراب الأمن والنكبات التي حلت بالإقليم طوال تاريخه، اضطر الحضارمة إلى النزوح والهجرة إلى خارج بلادهم لطلب الرزق والأمن.

وعندما دخلت حضرموت في الإسلام حمل المهاجرون الدين العظيم معهم إلى البلدان التي هاجروا إليها، ولأن المهاجر والتاجر الحضرمي كان متمسكاً بدينه حتى يمكن وصفه بإسلام يتحرك، فقد انتشر الإسلام انتشاراً كبيراً في كل المناطق التي هاجروا إليها، حيث وجد الناس فيهم الأمانة، وصدق المعاملة، وكلمة الشرف، وحفظ العهد والوفاء به، ويمكن بوضوح تمييز الهجرات التالية للحضارمة:



وكما تقول الروايات فإن الأحباش الذين بقوا في اليمن وثبوا على سيف بن ذي يزن وقتلوه غيلة.

اليمن في موكب الإسلام

كانت اليمن في مقدمة البلدان العربية استجابة لدين الإسلام، فما كاد صوت الدعوة الإسلامية يبلغ اليمن حتى توافدت بعوث القبائل اليمنية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل أهل اليمن الإسلام في أفواج وجماعات متتابعة، ويشهد لهم بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلّم في مدحهم، فيما ذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس

الهجرة إلى شرق إفريقيا: ففي عصر الأيوبيين هاجر الحضارمة إلى سواحل إفريقيا الشرقية بدءاً من الصومال والحبشة، مارين بمناطق كينيا وتنجانيقا وأوغندا وجزيرة زنجبار وجزر القمر، ويعود لهم الفضل في نشر الإسلام في هذه المناطق، وكادوا يجعلونها بلاداً عربية ناطقة بلغة الضاد مسلمة تماماً أو غالباً، لولا أن وجودهم اقترن بوجود الاستعمار الأوروبي لهذه المنطقة، ولكن معالمهم وآثارهم مازالت قائمة بالرغم مما بذله الأوروبيون من تشويه لهم في أذهان الأفارقة.

الهجرة إلى جزر الهند الشرقية وإندونيسيا: لم يقتصر الحضارمة على الهجرة إلى شرق إفريقيا، بل غزوا بهجرتهم القارة الهندية، وطاب لهم المقام عند نظام حيدر أباد الذي فتح لهم العديد من المجالات في الوظائف الحكومية والعسكرية، فلمع في هذه الولاية كثير من الحضارمة منهم مؤسسا السلطنتين الكثيرية والقعيطية، وحيث لم يستطع الحضارمة مجاراة التجار الهنود في التجارة. فقد توجهوا بتجارتهم إلى جزر الهند الشرقية، وهي جزر الملايو وإندونيسيا وسنغافورة وماليزيا وجزر الفلبين وغيرها.

وفي تلك الجزر وجد الحضارمة أمنيتهم، وأقاموا فيها مجدهم، وأضفوا عليها صبغتهم التامة، فقد ذكرت كتب التاريخ الصينية والغربية أن التجار العرب القادمين من حضرموت دخلوا جزر الهند الشرقية في النصف الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي، وحمل هؤلاء الدعوة الإسلامية مع تجارتهم، وقد وجدوا شعوب هذه الجزر يدينون بعبادة الأوثان والهندوكية والبوذية، لكنهم استطاعوا إقناعهم وتحويلهم إلى الإسلام بأسلوب حسن المعاملة والأخلاق الفاضلة.

وتروي كتب التاريخ بتضافر، أن ◄

رضي الله عنهما، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، إذ قال: «الله أكبر ، الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح ، جاء أهل اليمن» قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان ، والحكمة يمانية».

ولا غرابة في سرعة استجابة أهل اليمن، فقد روي سبقهم في كثير من المواقف، فقد ذكر صاحب كتاب (الدر المكنون) أن أول من أجاب إبراهيم حين أذَّن بالحج أهلُ اليمن. وقال ابن جريج : كان تُبَّع أول من كسا الكعبة كسوة كاملة، رأى في المنام أن يكسوها فكساها.

كما أن المتغيرات المتسارعة في تلك البقعة جعلتهم يسعون إلى الخلاص من أطماع الطامعين في بلادهم، فكان الإسلام ذلك المنقذ.

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن علي ابن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما فاستجاب لهما أهل اليمن ودخلوا في الإسلام جميعاً، وأصبحوا من أعظم مؤيدي الرسول صلى الله عليه وسلم في السلم والحرب. وكذا كان موقفهم مع الخلفاء الراشدين ومع خلفاء الدولة الأموية حتى قال بعض المؤرخين - ومنهم الدكتور جورجي زيدان في كتابه (التمدُّن الإسلامي) -: «إن الأكتاف اليمانية هي التي رفعت عرش الدولة الأموية». وقد عد صاحب كتاب (اليمن عبر التاريخ) واحداً وعشرين من عمال النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن ابتداء بعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وانتهاء بسعيد بن سعد بن عبادة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم انضوت اليمن تحت راية الدولة الأموية منذ عام ٤٠ هجرية إلى عام ١٣٢هجرية، وقد عدَّ المؤرخون اثنين وعشرين والياً لبني أمية على اليمن. وفي عهد الدولة العباسية استمرت اليمن تحت الراية العباسية منذ قيامها عام ١٣٢هجرية حتى انفصلت عنها عام ٢٠٣ هجرية عندما قامت (دولة بني زياد) عام (٢٠٥ - ٤٠٢هجرية) على يد محمد بن عبدالله بن زياد، وهو آخر ولاة بني العباس على اليمن، وقد بعثه المأمون إلى اليمن سنة (٢٠٢هجرية) على إثر تمرد قبيلة الأشاعر، فقضى على التمرد واختط مدينة زبيد وجعلها عاصمة له. وقد ولي للعباسيين قبله ما يزيد على أربعين والياً خلال سبعين سنة. وقد قامت بعد ذلك وخلاله دول وممالك كثيرة في اليمن، ومن تلك الممالك:

(دولة بني زياد)، و (دولة بني يعفر)، و(دولة بني نجاح)، (دولة بني الصليحي)، و(دولة بني زريع)، و (دولة بني حاتم)، و (دولة بني مهدي)، و(دولة بني أيوب)، ودولة (بني رسول)، و(دولة بني طاهر).

غزو الجراكسة لليمن

في سنة ٩٢١ هجرية خرجت من مصر طائفة من الجراكسة على رأسها الأمير (حسين الجركسي) من قِبل السلطان المملوكي (قانَصوة الغوري) ملك مصر، ووصلوا إلى اليمن لطرد النصارى البرتغاليين في البحر الأحمر،

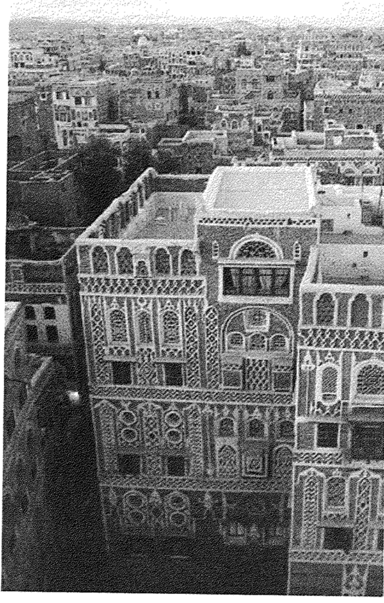
«حضرموت» هجرة ودعوة

هؤلاء التجار الحضارمة استطاعوا أن يصلوا بدعوتهم إلى الأسر الحاكمة في هذه الجزر وحظوا باحترام الحكام فزوجوهم، وكان من أثر هذه الدعوة أن أعلن حاكم فيرا الواقعة شمال ملقا، إسلام منطقته عام ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، ثم تتابع بعد ذلك حكام الجزر في إعلان إسلام جزرهم.

وفي مطلع القرن العشرين الميلادي تحركت الكنيسة الأوروبية التي أذهلها انتشار الإسلام في هذه الجزر، وعملت على إحداث مشكلات وفتن وقلاقل بين الحضارمة، من أجل هز ثقة أهل هذه الجزر بهم. وللأسف فقد نجحت الكنيسة في مبتغاها عن طريق إثارتها الفتن المذهبية بين الحضارمة، ولولا هذه الفتن وما نتج عنها لانتشر الإسلام - كما يتوقع الكثير من الدارسين - في جزر اليابان وما حولها، تلك الأمكنة القابلة لانتشار الإسلام في ربوعها، لو قدر لها التعامل مع أهله مباشرة.

الهجرة إلى البلدان العربية: اندفع الحضارمة إلى أقاليم الجزيرة العربية الأخرى بعد أن أغلقت في وجوههم أبواب الهجرة إلى مهاجرهم الأولى كالهند وجنوب شرق أسيا وشرق إفريقيا ومصر والسودان، فأوجدوا لهم جاليات ضخمة في السعودية والكويت وإمارات الخليج وقطر والبحرين واليمن الشمالي سابقاً. وازدادت هجرة الحضارمة إلى السعودية على وجه الخصوص إبان فترة الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي السابق، حيث لم يتواءم هؤلاء المهاجرون مع الحكم الشيوعي ومبادئه وتوجهاته، واندمج الحضارمة في شعوب هذه البلادن العربية - السعودية على وجه الخصوص - حتى حملوا جنسياتها وأصبحوا شريحة واضحة من مواطنيها. ■

ولكنهم في إثر خلافهم مع بعض حاكمي اليمن حاربوهم وتغلبوا عليهم، فاحتلوا (زبيداً)، ودخلوا مدينة (تعز)، ثم استولوا على صنعاء، وفي أثناء ذلك علم الجراكسة في اليمن بدخول السلطان العثماني (سليم بن با يزيد) في أرض مصر ومقتل السلطان المملوكي (قانصوه الغوري)، وبعد ذلك ثار أهل صنعاء على الجراكسة، ثم كاتبوا الإمام (شرف الدين) فبادر بالحضور إلى صنعاء على رأس بعض القبائل اليمنية وحاصر الجراكسة حتى خرجوا صلحاً إلى زبيد، وفتحت اليمن أبوابها للإمام شرف الدين وولده المطهر.



الغزو العثماني

في ١٣ أغسطس من عام ١٥٣٨م بدأت حملة الأتراك على أرض اليمن، فأرسلت قوة بقيادة (سليمان باشا الأرناؤوط) فاستولى على (عدن) ثم اتجهت القوة نحو صنعاء بقيادة (أزدمر باشا) وتمكنت القوات التركية من دخول (صنعاء) عام ٩٥٤هـ ١٥٤٧م.

واستمر الأتراك في محاربة اليمنيين زمناً في معارك تزيد على الثمانين معركة حتى كانت معركة (شعوب) شمال صنعاء عام (٩٧٥هـ - ١٥٦٨م) فكانت فاصلة بانتصار اليمنيين على الأتراك وبعدها كان جلاء الأتراك من أرض اليمن. وفي عام (٩٧٦هـ)وصلت حملة جديدة تركية بقيادة الوزير (سنان) وانضمت إليها معظم القوات التركية التي كانت ترابط في (مصر) ومروراً بزبيد أخذ الوزير (سنان) يتقدَّم نحو (صنعاء) لاحتلالها، وتمكن من دخولها في عام (٩٧٧هـ - ١٥٧٠م).

وفي عام (١٠٠٦هـ - ١٥٩٨م) بدأ اليمنيون يحتشدون ويتجمعون وبايعوا بالخلافة الإمام (المنصور القاسم بن محمد) واستجابت له كثير من القبائل اليمنية، وحشد القبائل لحرب الأتراك فنشبت معارك كثيرة كان آخرها معركة (غارب أثلة) عام ١٠٢٢هـ - ١٦١٣م التي انتصرت فيها القوات اليمنية وانهزم الأتراك إلى صنعاء ، وهو ما اضطر الأتراك إلى عقد صلح مع الزعماء اليمنيين.

وفي عام (١٠٤٥هـ) بدأ نفوذ الأتراك يتقلَّص فبدأت قوات الإمام (المؤيد محمد بن القاسم) تحشد قواها إلى صنعاء، وأخذت في محاصرة القوات التركية بقيادة أخيه (الحسن) ونشبت معركة (الصافية) التي ارتحل بعدها الأتراك عن اليمن.

وفي عام (١٢٨٩هـ) تمكنت القوات التركية من الوصول إلى (صنعاء) مرة أخرى وقد دارت حروب دامية بين الأتراك واليمنيين استمرت أكثر من نصف قرن، وبعد معركة (شهارة) التي دارت بين اليمنيين والأتراك عُقدت اتفاقية (دعان) وارتحلت القوات التركية نهائياً عن اليمن.

الإمامة في اليمن

يُعتبر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم أول إمام في اليمن، وقد استدعاه بعض أهل

اليـمن وكـان بـالمدينة المنورة، ووصـل صـعـدة سنة (٢٨٤هـ - ٨٩٨م) حيث بويع إماماً وجعل مستقره بها، وكانت اليمن حينذاك قد انفصلت عن الحكم العباسي تقريباً إلا من السكة والخطبة، التي كان يقيمها (ابن زياد) عامل (المأمون) على تهامة، ومعظم أئمة اليمن من أولاد (الإمام الهادي يحيى بن الحسين) وعددهم (٥٩ إمـامـاً) وهم الذين يسـمـون (الحسنيون) أما الباقون فينتسب خمسة منهم إلى (الحسن بن زيد بن علـي بن أبي طالـب) واثنـان إلى (الحـســين بن علـي) وهـم (الحسينيون).

وقد بقي سلطان الأئمة محصوراً في الجهة الشمالية من اليمن إلى أوائل القرن الحادي عشر للهجرة، إلا فترات قصيرة ومتقطعة، بسبب معارضة الدول اليمنية الأخرى ومناهضة سلاطينها لحكم الأئمة.

ويمكن القول أن دولة الأئمة بقيت راسخة الأقدام في المنطقة الشمالية من اليمن منذ قيام الهادي سنة (٢٨٤) حتى ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م (أي ما يقرب من ١١٠٠عام)، ومنذ أوائل القرن الحادي عشر للهجرة بدأ نفوذ الأئمة ينتشر في جنوب اليمن وتهامة حتى وصل إلى حضرموت.

الاحتلال البريطاني

حاولت أغلب الدول الاستعمارية السيطرة على اليمن لكنها فشلت جميعها، ولم تفز بمأربها إلى حد ما، سوى بريطانيا، فقد احتلت القوات البريطانية جزيرة (بريم) عام ١٢١٤هـ - ١٧٩٩م، وفي عام ١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م احتلت هذه القوات مدينة (عدن) بعد مقاومة محلية عنيفة، وأخذت بريطانيا توسّع حدود منطقة استعمارها بشكل تدريجي حتى أصبحت كل المقاطعات الشرقية والغربية تابعة للحكم البريطاني في عام ١٣٣٣هـ.

وفي عـام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م قـررت بريطانيا الانسحاب من جنوب اليمن المحتل، فسلّمت مقاليد الحكم في اليمن الجنوبي إلى جبهة التحرير الوطنية بزعامة (قحطان الشعبي) وغادرت القوات البريطانية جنوب اليمن.

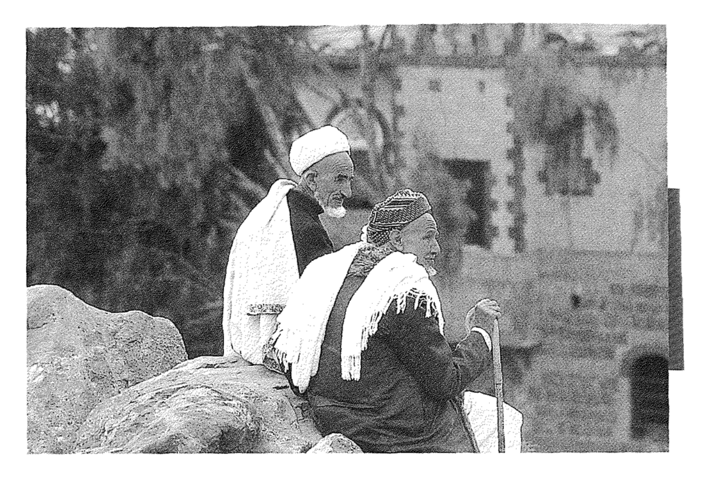
"... بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، إذ قال: «الله أكبر ، الله أكبر ، جاء نصر الله والفتح ، جاء أهل اليمن» قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان ، والحكمة يمانية» "

٣- «حضرموت» سياحة وآثار

من الضروري للسائح في إقليم حضرموت أن يضع في قائمته السياحية بعض المناطق والمدن والآثار التاريخية التي تشهد على حضارة حضرموت الضخمة في العصور القديمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي، مع ضرورة الاطلاع على خريطة الجمهورية اليمنية لمعرفة أمكنة هذه المعالم والمدن بدقة:

المكلا: وهي من أهم مدن حضرموت، إذ هي الميناء الكبير، وتشكل مركزاً تجارياً مهماً، ومركزاً مهماً أيضاً للصناعة السمكية في اليمن وفي إقليم حضرموت على وجه الخصوص، ومن معالمها قصر معين وقد بناه السلطان عمر بن عوض القعيطي، مؤسس السلطنة القعيطية الحضرمية السابقة، وحصن الغويزي الذي يقع عند مدخل مدينة المكلا، وقد شيد لحراستها عام ١٨٨٤م بعد معركة البقرين المشهورة، ويقوم هذا الحصن على صخرة مائلة، وهو ما يجعله معلماً سياحياً فريداً.

شبام: يعتقد أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى القرن الثالث بعد الميلاد، وهي تتميز بوجود أول ناطحات سحاب في العالم التي يتجاوز عمرها الخمسمئة سنة، وهذه المباني الطويلة من أجمل الآثار على مستوى العالم العربي، ومن معالمها أيضاً الجامع الكبير، وقد تم بناؤه في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد مطلع القرن العاشر الميلادي، وهو موجود بشبام إلى



ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م

جرت عدة محاولات انقلابية في اليمن أولها عام ١٣٦٨هـ بقيادة الإمام عبد الله الوزير، وفشل هذا الانقلاب. وفي عام ١٣٧٤هـ جرت محاولة انقلابية أخرى أشد قوة من الأولى. وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م بعد تولي الإمام محمد البدر بأسبوع جرت محاولة انقلابية بقيادة عبد الله السلال (توفي عام ١٩٩٤م) ونجحت في الإطاحة بالإمام البدر، وانتخب السلال رئيساً للجمهورية العربية

اليوم، كذلك حصن شبام التاريخي وقد بناه ابن مهدي بداية القرن الثالث عشر الميلادي. ومن المعالم أيضاً سور مدينة شبام الفريد ويعود تاريخه بوضعه الحالي إلى بداية القرن السابع عشر الميلادي.

تريم: وكانت هذه المدينة مركزاً للثقافة الإسلامية، ويشهد بذلك أكثر من ٣٠٠ مسجد موجودة فيها إلى اليوم، ومن أبرز معالمها مسجد المحضار، وقد شيد هذا المسجد في عام ١٨٢٣م، وتفنن الحضارمة في بنائه وهندسته، وأبرز ما فيه منارته الشاهقة، وهي أطول منارة في الإقليم حيث يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٧٠ قدماً.

الشحر: وهي مدينة جميلة يحتضنها ريف جميل يتميز بدوام اخضراره وكثرة نخيله. ومن أهم معالمها السور الذي يحيط بها، ويعود تاريخ بناء هذا السور إلى عصر الدولة الرسولية، أما السور الأخير فقد بني خلال عهد السلطنة القعيطية. وللسور بوابتان: الغربية منهما تسمى بوابة الخور، والشمالية تسمى بوابة العيدروس. وتكثر حول الشحر الغزلان وأنواع كثيرة من الحيوانات البرية، وهو ما جعلها منطقة مناسبة لهواة الصيد، والشحر قريبة من منطقة تعرف بتبالة الشحر، حيث المياه المعدنية الحارة التي تجتذب الكثيرين للاستشفاء والاستجمام.

سيئون: وتنفرد هذه المدينة بمناخ معتدل لطيف وشمس دائمة الشروق تكسب دفئاً في فصل الشتاء وصفاء في الصيف. ومن أبرز معالمها قصر السلطان الكثيري الذي تحول إلى متحف اليوم، وتتجلى في هذا القصر البديع نفائس الفن الحضرمي المعماري.

ريبون: وهي أحد المواقع الأثرية المهمة في وادي حضرموت، وتقع عند المدخل الشمالي لوادي (دوعن) على بعد ٩٤ كم من سيئون، ويرجع تاريخ ريبون إلى بداية الألف الأول قبل ◄

اليمنية. ولكن قامت بعض المشكلات الداخلية التي أدت إلى حرب أهلية استمرت عدة سنوات، وأودت بحياة الآلاف من اليمنيين. وفي ٥ نوفمبر ١٩٦٧م أُقصي السلال في إثر انقلاب قاده القاضي عبد الرحمن الإرياني. ثم حكم اليمن (المقدَّم إبراهيم الحمدي) في إثر انقلاب تم في يونيو ١٩٧٤م. وفي أكتوبر ١٩٧٧م اغتيل الرئيس إبراهيم الحمدي، وتولى رئاسة الدولة أحمد حسين الغشمي حتى عام ١٩٧٨م، وفي السنة نفسها اغتيل الغشمي، ثم تولى الرئيس علي عبد الله صالح الحكم وأصبح رئيساً للجمهورية ولايزال.■

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبدالباقي - دار الحديث - القاهرة - ط ١ / ١٩٨٦م.
٣- أيسر التفاسير - أبو بكر الجزائري - ط١ / ١٤١٤هـ . بلا ذكر للدار الطابعة.
٤ - مختصر تفسير ابن كثير - محمد علي الصابوني - دار القرآن الكريم - بيروت - ط٥ / ١٤٠٠هـ.
٥ - صحيح البخاري.
٦ - صحيح مسلم.
٧ - اليمن عبر التاريخ - أحمد حسين شرف الدين - مطابع البادية - الرياض - ط٣ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٨ - اليمن - لـ (حسن محمد جوهر و محمد السيد أيوب) الدار القومية - القاهرة ١٩٦٧م بلا رقم طبعة.
٩ - السبئيون وسد مأرب - محمود جلال العلامات - مطبوعات تهامة - ط١ - جدة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
١٠ - أضواء على تاريخ اليمن البحري - حسن صالح شهاب - دار العودة - بيروت - ط٢/١٩٨١م.
١١ - أطلس القرآن - د . شوقي أبو خليل - دار الفكر المعاصر - بيروت لبنان ط١ - ٢٠٠٠م.
١٢ - صفة جزيرة العرب - الحسن بن أحمد الهمداني - تحقيق محمد بن علي الأكوع - منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
١٣ - تاريخ اليمن القديم - محمد عبد القادر با فقيه - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٣م .
١٤ - المقتطف من تاريخ اليمن - القاضي عبد الكريم الجرافي اليمني - منشورات العصر الحديث - بيروت - ط٢ / ١٩٨٧م.
١٥ - أهل اليمن في صدر الإسلام - د. نزار عبد اللطيف الحديثي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت. بلا تاريخ ولا رقم طبعة .
١٦ - تاريخ اليمن - الشيخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليماني - الدار اليمنية / ط٢ - ١٩٨٢م.
١٧ - هذه هي اليمن - عبد الله أحمد محمد الثور - دار العودة - بيروت - ط٢/١٩٧٩م .
١٨ - اليمن وحضارة العرب - د. عدنان ترسيسي - دار مكتبة الحياة - بيروت - بلا تاريخ ولا رقم طبعة.
١٩ - الإكليل ج ٨ - لأبي محمد الحسن الهمداني - دار العودة - بيروت - بلا تاريخ أو رقم طبعة.
٢٠ - الموسوعة العربية العالمية - مؤسسة أعمال الموسوعة. الرياض - ط١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢١ - تاريخ الأنبياء - د . محمد الطيب النجار - مكتبة المعارف - الرياض - ط ٢ / ١٩٨٣م
٢٢ - سيرة ابن هشام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - ١٩٨١م.
٢٣ - قصص القرآن - محمد بن أحمد جاد المولى - بلا ذكر للدار الطابعة ولا تاريخ أو رقم طبعة.
٢٤ - نثر المكنون من فضائل اليمن الميمون - السيد محمد بن علي الأهدلي - الدار اليمنية - ط١ / ١٩٨٧م.
٢٥ - عيون الأخبار - ابن قتيبة - دار الكتب العلمية - بيروت - بلا تاريخ ولا رقم طبعة.
٢٦ - الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ط٨ / ١٩٨٩م.
٢٧ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير - دار صادر - بيروت ١٩٦٥م.
٢٨ - مجمع الأمثال - أبو الفضل الميداني - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ / ١٩٨٨م.
٢٩ - مجلة المجتمع - العدد ١١٠٠) ٧ ذو الحجة ١٤١٤ هـ - ١٧ مايو ١٩٩٤م - ص (٢٠- ٢٣).
٣٠ - مجلة العربي - العدد (٤٦٦) سبتمبر ١٩٩٧م - (مفاتيح اليمن). استطلاع - شوقي رافع - ص(١٢٤- ١٣٥).
٣١ - مجلة العربي - العدد (٥٠٠) يوليو٢٠٠٠م - (اليمن أرض الجدود والوعود).
استطلاع - د . محمد المنسي قنديل - ص(٣٦- ٥٣).
٣٢ - موقع [www. Islam -online.net] ثقافة وفنون - مقالة بعنوان (صنعاء القديمة .. عجيبة جديدة). كتبها (خالد عمر).
٣٣ - موقع (يافع)
(www. Yafea.com)
٣٤ - موقع (عجيب)
(www.Arabic.Ajeec.com)

«حضرموت» سياحة وآثار

الميلاد، وقد جرت فيها عمليات تنقيب أثرية وعثر على بقايا معابد قديمة وأجزاء من المدينة القديمة وشبكة ري قديمة تعتبر نموذجاً جيداً لنظام تصريف مياه السيول في وادي حضرموت، كما عثر في الموقع على بعض القطع الأثرية القيمة المعروضة اليوم في متحف الآثار بسيئون.

شبوة: مدينة أثرية، وهي عاصمة مملكة حضرموت القديمة التي قامت قبل أكثر من ألفي عام، وهي من أهم المدن القديمة في حضرموت، ولقد تأكد أن شبوة هي مدينة سابوتا التي بها أكثر من ٦٥ معبداً والتي ذكرها المؤرخ المشهور بليني. وقد أكدت الحفريات التي قامت بها بعثة فرنسية مؤخراً أن شبوة بالفعل عاصمة حضرموت القديمة، واتضح من هذه الحفريات مدى الحريق والدمار الذي حل بالمدينة من قبل الحميريين.

وادي حبان: ويقع هذا الوادي في وسط مدينة حبان، ووسط غابة مملوءة بأشجار الصنوبر والبلوط المخضرة طيلة أيام السنة، وفي سلسلة جبال حبان الشاهقة ذات الهواء العليل، وعلى الطريق المؤدي من الوادي إلى عدن توجد مناظر طبيعية أخاذة وشعاب منخفضة وأودية وقطعان الإبل، وعلى جانبي الوادي تتناثر الواحات الخضراء وأشجار النخيل ذات الظلال.

بئر برهوت: وهي كهف هائل تقع في وادي (فغمة) أحد روافد وادي حضرموت الكبير، وطولها ١٢٠ قدماً، وعرضها ٤٥ قدماً، وعمقها ٦٠ قدماً، ويروى حولها الكثير من الأساطير والقصص المفزعة، منذ فترة ما قبل الإسلام وإلى اليوم.

مغارة ضبضب: وتقع بالقرب من مدينة الشحر، وقامت حولها الأساطير، حتى قال بعضهم إنها دار للجن.■

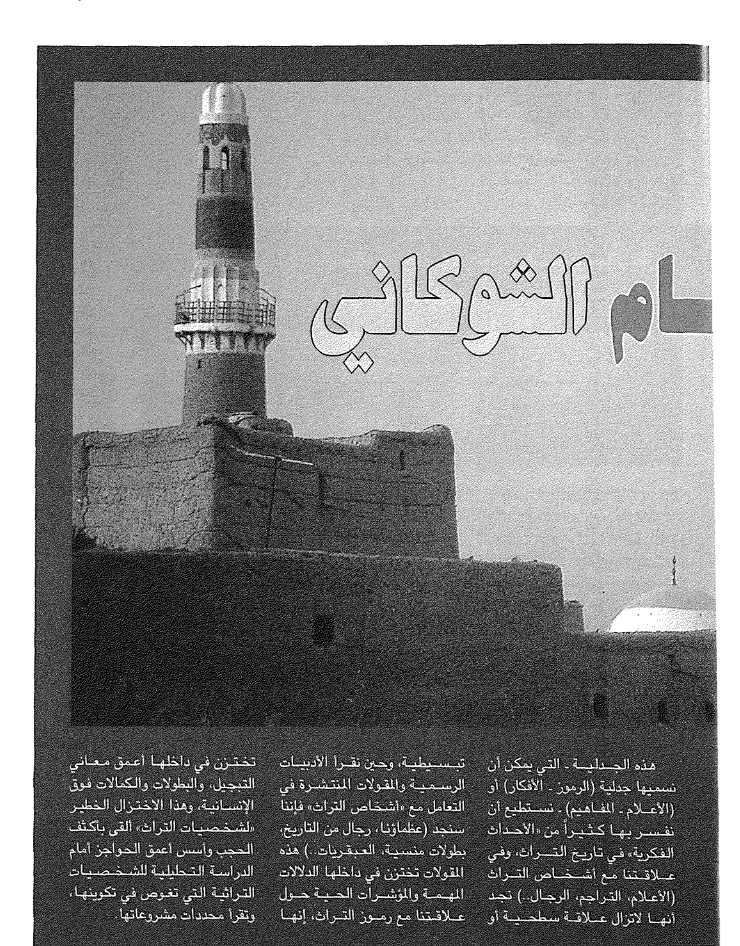
الموجّهات المركزية لعلّامة اليمن :

خطــاب الإمـ

إبراهيم عمر السكران *
الرياض

حينما تقف أمام «مكتبة التراث»، وتلمس هذا الثراء الضخم والهائل والمتنوع فإنك في الحقيقة تقف أمام شيئين: الأول منهما هو «الأفكار» والثاني هو : «الأشخاص» ولكن ما القانون الذي يحكم علاقة هذين الطرفين؟ ومن هو الذي يؤثر في الآخر؟ من هو المؤثر منهما، ومن هو المتأثر؟ أتوقع أن علاقة التأثير تتجاوز نظرية «التأثير ذو الاتجاه الواحد» إلى قانون «التأثير المتبادل» فالأفكار والمفاهيم والمقولات تفرض نفسها على الأشخاص أحياناً وتسوقهم معها في قافلتها، وتصبح هذه «المقولات» الميزان الذي يوزن به «الأشخاص»، بينما في أحيان أخرى قد يحدث العكس ليكون «الأشخاص» هم الذين يفرضون سلطتهم على الأفكار ويصبحون هم معيار الحقيقة.

* المعهد العالي للقضاء.



هذه الجدلية - التي يمكن أن نسميها جدلية (الرموز - الأفكار) أو (الأعلام - المفاهيم) - نستطيع أن نفسر بها كثيراً من «الأحداث الفكرية» في تاريخ التراث، وفي علاقتنا مع أشخاص التراث (الأعلام، التراجم، الرجال..) نجد أنها لاتزال علاقة سطحية أو تبسيطية، وحين نقرأ الأدبيات الرسمية والمقولات المنتشرة في التعامل مع «أشخاص التراث» فإننا سنجد (عظماؤنا، رجال من التاريخ، بطولات منسية، العبقريات..) هذه المقولات تختزن في داخلها الدلالات المهمة والمؤشرات الحية حول علاقتنا مع رموز التراث، إنها تختزن في داخلها أعمق معاني التبجيل، والبطولات والكمالات فوق الإنسانية، وهذا الاختزال الخطير «لشخصيات التراث» ألقى باكثف الحجب وأسس أعمق الحواجز أمام الدراسة التحليلية للشخصيات التراثية التي تغوص في تكوينها، وتقرأ محددات مشروعاتها.

والأعمال الإسلامية التي تقرأ الشخصيات التراثية إذا تجاوزت السرد الوصفي فإما أن تكون مسرحية بطولية معروفة النتيجة مسبقاً، وإما أن تكون دراسة لعقيدته من خلال نصوصه. من وجهة نظري أرى أنه يجب أن نتجاوز ذلك، وأن نحاول أن نقرأ هذه الشخصيات بشيء من الواقعية وكيف تعاملت مع معطيات الواقع وأن ندرسها كانعكاس لبيئتها، وإفراز لثقافتها، وأن نقرأ تأثير جميع المكونات في خطابها بما فيها الجانب الشخصي الإنساني، إذا أعدناها إلى سياقها وقرأناها بهدوء سنشعر أن جوانب العظمة ليست في تلك المبالغات التي كنا نسمعها، أما إذا اجتثثناها من جذورها ووضعناها كصورة مكبرة فوق التاريخ فمن هاهنا يبدأ «الخداع الذاتي» وتقصف جميع الجسور التي تمكننا من استثمار الجوانب الرائعة وتوظيفها في تجارب أخرى تسعد بنجاح مماثل، ومن تلك الخطابات المهمة في تاريخ التراث والذي نريد أن نستثمره بشكل أفضل هو «خطاب الشوكاني» أحد «أعلام» القرن الثالث عشر الهجري، وهو خطاب له آلياته ومخرجاته، وفي قراءتنا الهادئة سنحاول التعرف على «قسماته الفكرية» والتي يعتبر جزء منها «موجهات» كامنة في خلفية خطابه جعلته يتشكل بهذه الطريقة، وجزء آخر هو «ملامح» وتجليات لهذا الخطاب.

”الذهنية «التوفيقية» حاضرة بشكل بارز في خطاب الشوكاني“

الذهنية التوفيقية:

في أوسع دراسة عن «التوفيقية» يطرح د. الأنصاري التساؤل التالي: «متى أصبح مصطلح «توفيق» و«توفيقية».. مصطلحاً معتمداً في الفكر الإسلامي؟ لا نجد شيوعاً متواتراً لهذا المصطلح ـ لفظاً ـ في نصوص الفلسفة الإسلامية القديمة، وقد استخدم قبله مصطلح «الجمع» للدلالة على العمليات الفكرية الهادفة لتحقيق الاتفاق والوحدة.. بين أية فكرتين، أو عنصرين، يراد ردهما إلى حقيقة مشتركة، وإزالة ما يبدو بينهما من اختلاف في الظاهر، غير أن مصطلح «الجمع» ترادفت معه منذ الأصل، مشتقات من الجذر [و ـ ف ـ ق] بحيث يصح القول أن مصطلحي «الجمع» و«التوفيق» مترادفان ـ قديم وحديث ـ لمفهوم فكري واحد»(1).

ومن مصطلح «الجمع» نستطيع أن نفسر كثيراً من المشروعات التراثية باستثمار هذا «المفتاح» المهم، ولو أخذنا نتأمل في أحد أبرز

الإمام الشوكاني

(١١٧٣ـ ١٢٥٠هـ)

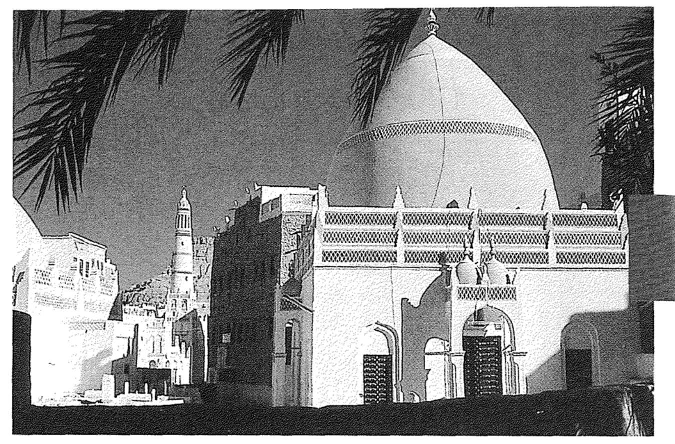
هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بن عبدالله الشوكاني، الخولاني، الصنعاني. مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم. من كبار علماء اليمن.

ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان في ٢٨ ذو القعدة عام ١١٧٣هـ، ونشأ بصنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، وجدّ في طلبه فأكثر من المطالعة والحفظ والسماع، حتى صار عالماً كبيراً يشار إليه بالبنان، توافد عليه الطلاب من كل مكان. اشتغل بالقضاء والإفتاء وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد بعد أن اجتمعت فيه شرائطه كاملة. كثر خصومه كما كثر المعجبون به بسبب دعوته إلى الاجتهاد والتجديد.

من تصانيفه الكثيرة: فتح القدير في التفسير، نيل الأوطار في الحديث، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، والدر النضيد في إخلاص التوحيد، وله شعر.

توفي رحمه الله بصنعاء في جمادى الآخرة عام ١٢٥٠هـ.

المصدر: الأعلام للزركلي، والموسوعة العربية العالمية.



«المشروعات الشوكانية» سنجد أن أبرز مدرستين في «تاريخ التفسير» هما مدرسة التفسير بالأثر، ومدرسة التفسير بالرأي، وهما ألمع وأعرض مدرستين في «تاريخ التفسير». وقد استغرقتا جزءاً لا يستهان به من النتاج العلمي في «فن التفسير» وكان الرهان بينهما على أشده، وحظيتا باهتمام أوسع من غيرهما من المدارس، وحين هم «الشوكاني» بتأليف تفسير «للقرآن» «ورغب إلى الدخول من أبوابه، ونشط إلى القعود في محرابه، والكون من أحزابه»[٢]، لم يقف الشوكاني في خندق إحدى هاتين المدرستين، أو الانتصار لهذه على تلك، بل كانت «ذهنية التوفيق» تفرض عليه موقفاً آخر هو «الجمع» وتجده يمارس ذلك بكل وعي وشعور وإيمان «بالمنهج التوفيقي» وحين يحاول أن يشرح لك ما الذي جرى في مشروع تفسيره يقول: «ووطنت النفس على سلوك طريقة، ها أنا أوضح لك منارها.. فأقول: إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين: الفريق الأول اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية، وقنعوا برفع هذه الراية، والفريق الآخر: جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية. وما تفيده العلوم الآلية، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً»[٣].

ثم يشرح بعد ذلك «الإضافة التوفيقية» التي سيقوم بها في مشروعه «وبهذا تعرف أنه لا بد من «الجمع» بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين»[٤].

ها هنا يبرز «الجمع» في فلسفة المشروع كأبرز موجه للخطاب، ثم ينتقل «الشوكاني» إلى تحديد العنوان الذي اختاره لهذا المشروع «وقد سميته: فتح القدير، «الجامع» بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»[٥].

وها هنا يبرز «الجمع» مرة أخرى في عنوان المشروع بكامله، وهذا من حيث فلسفة المشروع بشكل كلي.

أما تفاصيل الآليات التي يستخدمها في معالجة قضايا التفسير «فالذهنية التوفيقية» حاضرة فيها بشكل بارز في محاولة إقامة «التصالح» بين الأقوال، وأن الآية تفيدها جميعاً، بل يقدم في مقدمة كتابه الاستدلال على صحة هذه الآلية المنهجية، حيث يقول: «قال سفيان: ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد منه هذا وهذا»[٦].

وهذه قراءة واحدة فقط «لذهنية التوفيق» في أحد مشروعاته، وبالرغم من أن مشروعاته الأخرى تختزن في داخلها طاقة توفيقية هائلة لكن لا يتسع الإطار المفتوح ها هنا للتتبع والرصد، لكن لا مناص من الإشارة إلى بعض تلك المشروعات ككتابه



> «وكــان دائم الحط على «متعصبة المذهبيات» بمناسبة ودون مناسبة»

الأصولي «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» حيث حاول الجمع بين مدرستين من أضخم المدارس الأصولية «مدرسة المتكلمين الشافعية» و«مدرسة الفقهاء الحنفية»، والمشروع الفقهي الذي قدمه في عدد من كتبه لاتزال «ذهنية التوفيق» فيه حاضرة في كتابه «السيل الجرار» و«نيل الأوطار»، و«الدراري المضية» فمرة بين المذاهب الفقهية الأربعة، ومرة بينهم وبين «الزيدية»، ومرة بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي، ومرة أخرى بين الظاهرية الحزمية بالذات وبين منهج الجمهور في التعليل الفقهي، فلم يكن ظاهرياً يمنع التعليل ولم يكن مع الجمهور في التوسع في تعليل الأحكام ومعاني مناطاتها، بل وحتى علم أصول الدين أو علم الكلام أراد التوفيق بين مدارسه المشهورة؛ لذلك يشرح في كتابه «أدب الطلب» الكيفية التي يقرأ بها هذا العلم، فيرى على طالب العلم «أن يشتغل بفن الكلام المسمى بأصول الدين، ويأخذ من مؤلفات الأشعرية بنصيب، ومن مؤلفات المعتزلة بنصيب، ومن مؤلفات الماتريدية بنصيب، ومن مؤلفات المتوسطين بين هذه الفرق كالزيدية بنصيب، فإنه إذا فعل هكذا عرف الاعتقادات كما ينبغي وأنصف كل فرقه بالترجيح أو التجريح على بصيرة»[٧].

وبشكل عام «فالآليات الداخلية» التي كان يستعملها الشوكاني في «مشروعاته العلمية» كانت تميل إلى التوفيق بين المدارس المشهورة في تلك العلوم، وإقامة المصالحة بين العناصر المتضادة، وإزالة «وهم» التضاد، كما قال عن مدارس التفسير: «وكلا الفريقين قد أصاب، وأطال وأطاب..»[٨].

وفي نهاية القراءة لهذا «الموجه المركزي» في «خطاب الشوكاني» ننتقل إلى الموجه الثاني:

الاندفاع للتحرر العلمي:

حينما تقرأ «للشوكاني» أو تسأل أي قارئ له، ستجد أن «ذم التقليد» كان من أبرز الملامح وضوحاً في هذا الخطاب، ويأسر انتباه القارئ فعلاً كثرة تبرمه بالمقلدة، والجمود العلمي عموماً والفقهي خصوصاً، وكان دائم الحط على «متعصبة المذهبيات» بمناسبة ودون مناسبة، وولعه الهائل بالاجتهاد وتعلقه به، إذاً، نحن أمام «قضية» تأثر بها «الشوكاني» وسنحاول أن نقرأها «كموجه» من موجهات خطابه، ويبدو لي أن محاولة البرهنة على فاعلية هذا الموجه في خطاب الشوكاني لا تحتاج إلى مزيد، فحضوره في حياته

العلمية كان بارزاً، فقد ألف عدة رسائل خاصة في هذا الموضوع، منها «القول المفيد في حكم التقليد» ورسالة «بغية المستفيد في الرد على من أنكر الاجتهاد والتقليد»، بل وصل الأمر إلى أن يكون عنوان إحدى رسائله «بحث في هل يجوز قضاء المقلد؟»، وحينما ألف كتابه «أدب الطلب ومنتهى الأرب» كان مضمون هذا المشروع هو كما يوحي عنوانه السابق: «ما ينبغي لطالب العلم اعتماده، والتحلي به في إيراده وإصداره، وابتدائه وانتهائه، وما يشرع فيه ويتدرج إليه حتى يبلغ مراده..»[(٩)].

والتأليف في هذا الباب تقليد علمي معروف، وفن مشهور له كتبه البارزة مثل «الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي، و«تعليم المتعلم طريق التعلم» للزرنوجي، و«تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» لابن جماعة، وما يهمنا هنا وما نبحث عنه هو أن كتاب الشوكاني «أدب الطلب» بالرغم من أنه ألفه في آداب طالب العلم، والطريقة المثلى لطلب العلم، أو بتعبير آخر «المنهجية في طلب العلم» إلا أن ذم التقليد والتعصب استغرق أكثر من نصف الكتاب وراح يشرح الأسباب المؤدية إليه والتي تجاوزت خمسة عشر سبباً، بل ربما يزداد الإيمان بعمق هذا «الموجّه» في خلفية «خطاب الشوكاني» حينما نعلم أن كتابه العلمي الشهير «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» والذي ترجم فيه لما يرقب من (٦٠٠) علم، واهتم به المعاصرون، وهو كتاب له وزنه العلمي، هذا الكتاب كان «الدافع» لتأليفه، و«الموجّه» لتشكيله هو «صراعه مع المقلدة» وخصوماته معهم حيث «اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة، تعذر وجود مجتهد بعد المئة السادسة، كما نقل عن البعض، أو بعد المئة السابعة كما زعمه آخرون.. فحداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم، مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا، ليعلم صاحب تلك المقالة أن الله وله المنة قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف..»[(١٠)].

وكان لهذا الموجه العميق في نفسية الشوكاني أعمق الأثر على كتابه الآخر «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» فصراعه مع مقلدة الزيدية كان وراء تأليف الكتاب، بل ذكر في كتابه «أدب الطلب» أن هناك علوماً يجب أن يتعلمها طالب العلم ليقمع مقلدة المذاهب، وإذا حاولنا أن نستثمر الحكمة العربية «من أكثر من شيء عرف به» لنوظفها في تحليل بعض الأحداث فإن من ترجم للشوكاني أو حاول قراءة مشروعه كان بارزاً في حديثهم «قضية التقليد عند الشوكاني» حتى عرف بها، فالزركلي صدر ترجمته للشوكاني بقوله «وكان يرى تحريم التقليد»[(١١)]. وبغض النظر عما تفتقده عبارة الزركلي من الدقة الموضوعية، فإننا لا يمكن أن نهمل دلالاتها المهمة باعتبارها مؤشراً مهماً لأحد «موجهات خطاب الشوكاني»، وتحرره العلمي استطاع أن يثبت ويكافح بفضل «موجّه» آخر نتعرف عليه في الفقرة الآتية:

ثراء الإنتاجية:

«الإنتاجية» مصطلح نشأ في البيئة الاقتصادية، وهو «مفهوم مركزي» في علم الاقتصاد المعاصر، نتيجة ما يقدمه من تحديدات مهمة ويحاول «بدوي» أن يشرح هذا المصطلح فيقول: «الإنتاجية هي ما ينتجه الفرد في فترة زمنية معينة، والإنتاجية مؤشر مهم يلقي ضوءاً على مدى نجاح المنشأة في استخدام مواردها الحقيقية»[(١٢)]، ونتيجة ما تعيشه العلوم الاجتماعية المعاصرة من «تبادل اصطلاحي» فإن «مفهوم الإنتاجية» بدأ يبرز «جانبه الفكري» وبدأ يستخدم في قراءة «المشروعات الفكرية»، وحين نحاول أن نوظف هذا المفهوم في قراءة «خطاب الشوكاني» فإننا سنجد مؤشرات مهمة تدل على ارتفاع معدل الإنتاجية حيث يمكن أن نستفيد من كمية المؤلفات على سبيل المثال، حيث يقول الزركلي «له ١١٤ مؤلفاً»[(١٣)]، بينما عدّ له إبراهيم هلال في تحقيق لكتاب الشوكاني «قطر الولي على حديث الولي» ما يقرب من (١٣٤) مؤلفاً، وهناك إضافات قدمها المصلحي في تحقيقه كتاب الشوكاني «نثر الجوهر على حديث أبي ذر»، وعده جملة ممن ترجموا له ومن الباحثين المعاصرين من «المكثرين من التأليف».

إذن نستطيع أن نقول وبكل ثقة إن الشوكاني كان يمتلك «طاقة إنتاجية» مرتفعة نسبياً كانت هذه النفسية أو كان هذا التكوين أحد «موجهات» خطابه ليتكون بهذه الصورة التي نراها، وربما ساعد الشوكاني على هذا الإنتاج الثر: «التنوع العلمي» الذي كان من أبرز ملامح «شخصيته العلمية»، يقول عنه عمر رضا كحالة «مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم»[(١٤)].

وبعيداً عن مبالغات أصحاب التراجم فإننا نستطيع أن نؤكد

«التنوع العلمي» من واقع مؤلفاته العديدة والمتنوعة والذي لا يكاد يوجد فن من الفنون التراثية التقليدية إلا وله «مؤلف كلاسيكي داخل ذلك الفن، إضافة إلى ما أكده هو بنفسه في «البرنامج» الذي رسمه لطالب العلم وذكر فيه فنوناً عديدة ينبغي على طالب العلم معرفتها، وما هي أهم متونها وكيف تدرس، حيث عد في كتابه «أدب الطلب» النحو، المنطق، الصرف، البلاغة، معاجم اللغة، أصول الفقه، علم الكلام، علم التفسير، علوم القرآن، متون السنة، شروح السنة، الجرح والتعديل، مصطلح الحديث، كتب التاريخ، علم الفقه، الشعر، علم العروض والقوافي، علم الرياضيات والطبيعيات والهندسة والهيئة والطب...»(١٥).

وهذا التنوع مؤهل هائل التأثير في زيادة «الطاقة الإنتاجية» التي كانت خلفية بارزة للعقل الشوكاني، وبمحاولة التركيز في هذه الموجهات الثلاث (ذهنية التوفيق، التحرر العلمي، ثراء الإنتاجية) نستطيع أن نفسر (خطاب الشوكاني) وأن نقرأ معطياته.■

الهوامش

١ـ الفكر العربي وصراع الأضداد د. محمد جابر الأنصاري (٩٥).
٢ـ فتح القدير للشوكاني (٦/١).
٣ـ المصدر السابق.
٤ـ السابق (٧/١).
٥ـ السابق (٨/١).
٦ـ السابق (٧/١).
٧ـ أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني (١٩٦).
٨ـ فتح القدير (٦/١).
٩ـ أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكاني (٨١).
١٠ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (٧/١).
١١ـ الأعلام للزركلي (٢٩٨/٦).
١٢ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية للدكتور أحمد زكي بدوي (٣٢٩).
١٣ـ الأعلام للزركلي (٢٩٨/٦).
١٤ـ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٥٤١/٣).
١٥ـ أدب الطلب للشوكاني (١٩٠ ـ ٢٠٧).

وبعد.. يجدر التنويه أن «المعرفة» قد اقتبست كثيراً من صور «ملف: اليمن» من كتاب:
YEMEN A PICTORIAL TOUR. Dr. Scott Kennedy

قراءة تربوية في كتاب «الإمتاع والمؤانسة»:

متى عرف هذه الجملة بالتفصيل فقد فاز الفوز الأكبر ونال الملك الأعظم

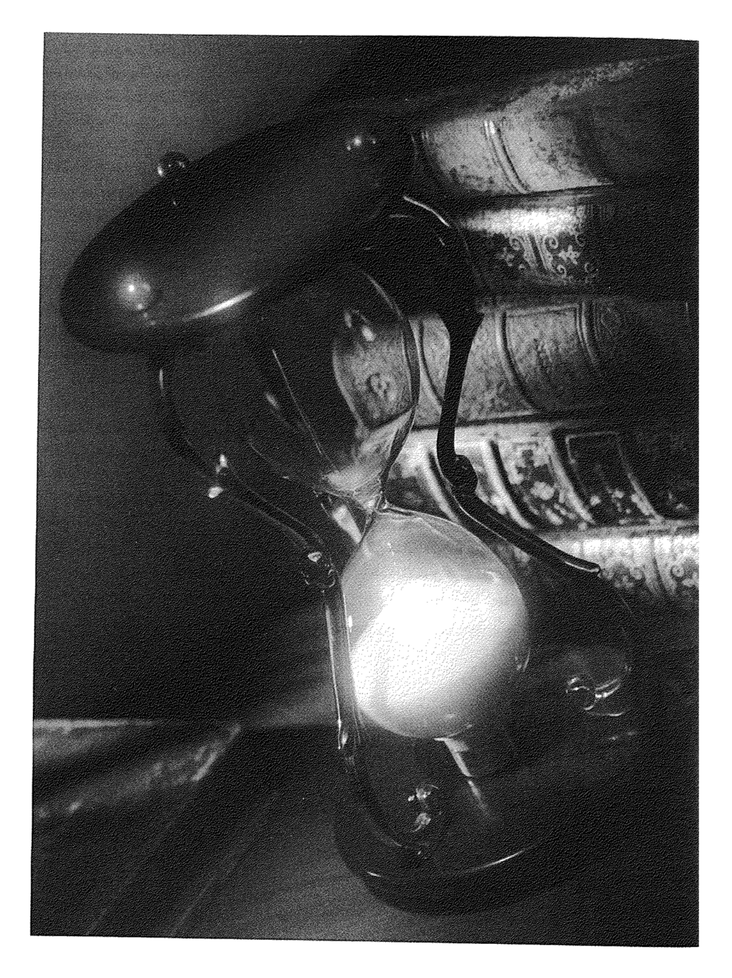
محمد الصاوي *
الإسكندرية

قبل أن نبحث في أساليب التعليم وتطوير المقررات وتطويع التكنولوجيا، علينا أن نواجه السؤال الأخطر: «ما نوع المجتمع الذي ننشده»؟ «ما القيم التي نريد لها أن تسبق وتعلو وتهيمن على كل تخصص علمي أو مهني»؟ «ما الغايات العظمى أو المقاصد العليا للعملية التربوية»؟.

ها هو ذا «التوحيدي» يحدثكم أيها التربويون المحدثون، ينحدر إليكم نداؤه عبر القرون: «وأنا أعوذ بالله من صناعة لا تحقق التوحيد، ولا تدل على الواحد ولا تدعو إلى عبادته، والاعتراف بوحدانيته، والقيام بحقوقه، والمصير إلى كنفه، والصبر على قضائه، والتسليم لأمره»(1).

---

* كاتب مصري .



وإذا شئنا صياغة معاصرة لهذه الفكرة لقلنا: غاية التربية هي تعبيد الناس لرب العالمين. (شتان ما بين التعبيد والاستعباد). ولما كان الداء قديماً، فلا نستغرب أن يشخصه التوحيدي بالقول:

«ووجدت أرباب هذه الصناعات - أعني الهندسة والطب والحساب والموسيقا والمنطق والتنجيم - مُعرضين عن تجشُّم هذه الغايات»[٢].

ويبدو لي أن أبا حيان التوحيدي كان مدركاً لمستويات الأهداف، ما بين الغايات أو المقاصد العليا إلى الأغراض العامة إلى الأهداف التعليمية وأخيراً المرامي. وقد رصد لنا انشغال الناس بالأغراض والأهداف عن الغايات والمقاصد العليا[٣].

تحديد الغايات العليا للتربية مسألة تتعدى مسؤولية التربويين، وتقصر دونها جهودهم وحدهم، معزولين من سائر المنظومة الاجتماعية للأمة جمعاء. لكن ما ينفرد التربويون بتحديده يمكن أن يقع ضمن دائرة النواتج التربوية التي ينشدها المجتمع في النشء. وحديث أبي حيان التوحيدي عن الغايات العظمى للتربية يسلمنا إلى أهداف لا تقل عنها عظمة، يصورها ببيانه الأخاذ:

«وهذا شيء يجده كل من كان صحيح البنية، بريئاً من الآفة، متنزهاً عن الهوى والعصبية، محباً للإنصاف في الخصومة، متحرياً للحق في الحكومة غير مسترق بالتقليد، ولا مخدوع بالإلف ولا مسخر بالعادة..»[٤].

إن مجموع الصفات المستهدفة في شخصية المتعلم - على النحو الذي وصفه التوحيدي - تبرز النواتج التربوية، التي تمكّن من تحققت فيه من شق أمواج الحياة مسلحاً بآلات الفهم التي تعينه على ولوج مجالات الدراسة والبحث أياً كانت. فإذا جعلنا الكلام أكثر تخصيصاً، فلنتناول حاجة الناس إلى البيان أو الكفاءة اللغوية والتواصلية، والتي يمكن اعتبارها الغرض من «التربية اللغوية». يحفظ لنا التوحيدي مقولة عبد الملك بن مروان:

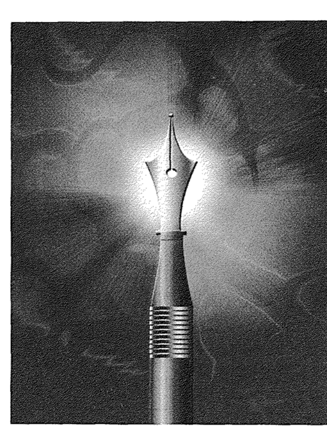
«ما الناس إلى شيء أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتعاورون القول، ويتعاطون البيان، ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها. إن الكلام فارق للحكم بين الخصوم، وضياء يجلو ظلم الأغاليط، وحاجة الناس إليه كحاجتهم إلى مواد الأغذية»[٥].

إن الحاجة إلى التربية اللغوية أوضح من أن تحتاج إلى إقامة الدليل، لكننا - نحن العرب - ابتلينا بمن يطعن ويشكك في جدوى تعليم العربية. والطاعنون المشككون في جدوى تعليم اللسان العربي ليسوا حالة طارئة في مسيرة الحضارة، فلقد لقي أبو حيان واحداً من هؤلاء، وإليكم قصته:

«كان - يعني ابن عبيد - يذكر أن كتابة الحساب أنفع وأفضل وأعلق بالملك، والسلطان إليه أحوج، وهو بها أغنى من كتابة البلاغة والإنشاء والتحرير، فإذا الكتابة الأولى جد، والأخرى هزل؛ ألا ترى أن التشادق والتفيهق والكذب والخداع فيها أكثر[٦]، وليس كذلك الحساب والتحصيل والاستدراك والتفصيل؟/ قال: وبعد هذا فتلك صناعة معروفة المبدأ، موصولة بالغاية، حاضرة الجدوى، سريعة المنفعة، والبلاغة زخرفة وحيلة، وهي شبيهة بالسراب، كما أن الأخرى شبيهة بالماء./قال: ومن خساسة البلاغة أن أصحابها يسترقعون ويستحمقون، وكان الكتاب قديماً في دور الخلفاء، ومجالس الوزراء يقولون: اللهم إنا نعوذ بك من رقاعة



المنشئين، وحماقة المعلمين، وركاكة النحويين. والمنشئ والمعلم والنحوي إخوة، وإن كانوا لعلات، والآفة تشملهم، والعادة تجمعهم، والنقص يغمرهم، وإن اختلفت منازلهم، وتباينت أحوالهم. /قال: ولو لم يكن من صنعة الإنشاء إلا أن المملكة العريضة الواسعة يكتفى فيها بمنشئ واحد، ولا يكتفى فيها بمائة كاتب حساب..، وإذا كانت الحاجة إلى هذه أمس، كانت الأخرى في نفسها أخس. وبعد فمصالح أحوال العامة والخاصة معلقة بالحساب. على هذه الجديلة والوتيرة يجري الصغار والكبار والعلية والسفلة، ومازال أهل الحزم والتجارب يحثون أولادهم ومن لهم به عناية على تعلم الحساب، ويقولون لهم: هو سلة الخبز. وهذا كلام مستفيض.



ومن عبر عن نفسه بلفظ ملحون أو محرف أو موضوع غير موضعه وأفهم غيره، وبلغ به إرادته، وأبلغ غيره، فقد كفى. والزائد على الكفاية فضل، والفضل يستغنى عنه كثيراً، والأصل يفتقر إليه شديداً...»(٧).

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة!

لا يخفى على فطنة القارئ هنا أن أبا حيان يسرد لنا حجج خصمه واحدة واحدة، ويعرض الفكرة - التي سوف يفندها - عرضاً أميناً، حتى يكون الرد عليها مقنعاً غير مؤسس على زيف. وإن في ذلك لعبرة لهواة الرد على أصحاب المذاهب والمخالفين، فنادراً ما نجد كاتباً يعرض أولاً لآراء خصمه، على ذلك النحو من الأمانة والوضوح.

نكتفي هنا بالمختار من أجوبة التوحيدي على مطاعن ابن عبيد في علوم اللسان:

«قولك هذا كان يسلم لو كان الإنشاء والتحرير والبلاغة بائنة من صناعة الحساب والتحصيل والاستدراك وعمل الجماعة وعقد المؤامرة. فأما وهي متصلة بها وداخلة في جملتها ومشتملة عليها وحاوية لها، فكيف يطرد حكمك وتسلم دعواك؟»(٨).

«ألا تعلم أن أعمال الدواوين التي ينفرد أصحابها فيها بعمل الحساب فقيرة إلى إنشاء الكتب في فنون ما يصفونه ويتعاطونه؟ بل لا سبيل لهم إلى العمل إلا بعد تقدمة هذه الكتب التي مدارها على الإفهام البليغ والبيان المكشوف والاحتجاج الواضح»(٩).

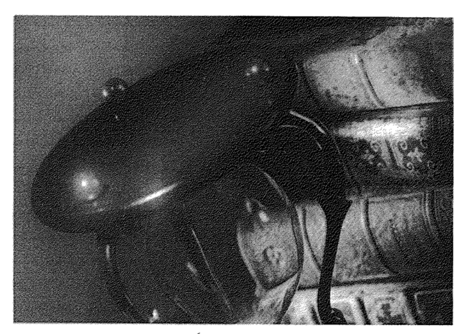
والتوحيدي هنا يعلمنا أن مهارات اللغة لا يمكن النظر إليها على أنها مادة دراسية تقف على قدم المساواة مع مواد مثل الفيزياء أو البيولوجيا. وإنما اللغة نشاط إنساني لا تقوم بقية الأنشطة إلا به، أو قل: اللغة هي نظام الأنظمة. أو كما قيل بحق: «إذا كانت الفلسفة هي أم العلوم، فإن اللغة هي أم الفلسفة».

ويواصل التوحيدي مبيناً أن التربية العربية إنما هي تعليم التفكير: «ثم اعلم أن البليغ مستمل بلاغته من العقل، ومأخذه فيها التمييز الصحيح... ولو أنصفت لعلمت أن الصناعة جامعة بين الأمرين، أعني الحساب والبلاغة والإنسان لا يأتي إلى صناعة فيشقها نصفين ويشرف أحد النصفين على الآخر»(١٠).

ويؤكد التوحيدي فكرة طالما حسبناها صناعة غربية وليدة النظر اللغوي المعاصر، وهي فكرة البنية السطحية والبنية العميقة، استمع إلى عبارته:

«وأما قولك: (الإنشاء صناعة مجهولة المبدأ، والحساب معروف المبدأ) فقد خرفت؛ لأن مبدأها من العقل، وممرها على اللفظ، وقرارها في الخط»(١١).

ينتقل التوحيدي إلى قضية قديمة جديدة، فيشرح تهافت الدعوة إلى نبذ الفصحى، والزعم بكفاية العامية، وإمكانية تجاوز الفصحى، قال: «وأما قولك: (ومن عبر



عما في نفسه بلفظ ملحون أو محرف، وأفهم غيره، فقد كفى) فكيف يصح هذا الحكم ويقبل هذا الرأي، والكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب، كما يتغير الحكم فيه باختلاف الأسماء، وكما يتغير المفهوم باختلاف الأفعال، وكما ينقلب المعنى باختلاف الحروف؟ ولقد قال رجل بالري - كان نبيلاً في حاله جليلاً في مرتبته عظيماً عند نفسه -: (اقعد حتى تتغدى بنا) وهو يريد: حتى تتغدى معنا. فانظر إلى هذا المحال الذي ركبه بلفظه، وإلى المراد الذي جانبه بجهله. ولهذا نظائر غير خافية عليك ولا ساقطة دونك».

قديماً قالوا: رتب ما تحتج به، واجعل أقوى حجة آخراً. والتوحيدي أخر الحجة الأقوى في مجابهة دعاة العامية، وأوضح أنهم في دعوتهم إلى تبني العامية إنما كانوا يستخدمون الفصحى للإبانة عن مقاصدهم:

«وكفي بالبلاغة شرفاً أنك لم تستطع تهجينها إلا بالبلاغة، ولم تهتد إلى الكلام عليها إلا بقوتها: فانظر كيف وجدت في استقلالها بنفسها ما يقلها ويقل غيرها، وهذا أمر بديع وشأن عجيب»[١٢].

إذا كانت الحال هي كما أبان أبو حيان، فأين ياترى مكمن الصعوبة في تعليم اللغة؟ جزء من الجواب نجده في حقيقة أن كل كلام عن «اللغة» إنما يتم باللغة. وأما بتعبيرات القرن الرابع الهجري، فاستمع - رعاك الله - التوحيدي يحدثك:

«إن الكلام على الكلام صعب. قال: ولِمَ؟ قلت: لأن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متسع، والمجال فيه مختلف. فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه؛ ولهذا شق النحو وما أشبه النحو من المنطق، وكذلك النثر والشعر..»[١٣].

ولا يتم موضوعنا إلا بحديث عن علاقة ما بين التفكير واللغة، فما جدوى فتح الصنبور إذا كان الصهريج فارغاً؟! إن الأساليب البليغة والتعابير البديعة والألفاظ الفخمة، كل أولئك لا يساوى شيئاً ما لم تكن العبارة (حبلى) بالمعاني، وما لم تتحول عملية الكتابة ذاتها إلى (مخاض) حقيقي. حفظ لنا الدهر ما رواه التوحيدي عن أستاذه أبي سليمان:

«المعاني المعقولة بسيطة (أي مبسوطة) في بحبوحة النفس لا يحوم عليها شيء قبل الفكر، فإذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق والفهم الدقيق، ألقى ذلك إلى العبارة، والعبارة حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر، وبين وزن هو سياقة الحديث. وكل هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة، وصورة حسناء أو قبيحة، وتأليف مقبول أو ممجوج، وذوق حلو أو مر، وطريق سهل أو وعر، واقتضاب مفضل أو مردود، واحتجاج قاطع أو مقطوع، وبرهان مسفر أو مظلم، ومتناول بعيد أو قريب، ومسموع مألوف أو غريب»[١٤].

كثيراً ما سألت نفسي: لماذا هذا الإصرار المشهود في حضارتنا على تدوين العلم؟ ولماذا عرف تاريخنا ظاهرة مجالس الإملاء؟ ربما أجعل جوابي بعد عرض هذه الإضاءات من «الإمتاع والمؤانسة»:

كان أبو حيان يختلف إلى الوزير يسامره ويلقي إليه بكنوز الفكر ولآلئ الذهن وجواهر الفؤاد، فيطلب الوزير أن يكون هذا كله مكتوباً مقيداً في السطور. يحكي التوحيدي:

«فلما بلغ القول مداه قال: لله دَرّ هذا النفس الطويل والنفث الغزير، لقد كنت قَرِماً إلى هذا النوع

من الكلام، ففرغ نفسك لرسمه في جزء لأنظر فيه، وأشرب حلاوته، وأستنتج العقيم منه؛ فإن الكلام إذا مر بالسمع حلق، وإذا شارفه البصر بالقراءة من كتاب أسف، والملحق بعيد المنال، والمسف حاضر العين، والمسموع إذا لم يملكه الحفظ تذكر منه الشيء بالوهم الذي لا انعقاد له والخيال الذي لا معرج عليه»(١٥).

وربما شعر القارئ بمدى الأسف الذي يبدو من عبارة أبي حيان؛ إذ إنه عجز عن تصوير إحدى المسائل على نحو يرضاه من الدقة، وما ذاك إلا لافتقاده إلى مصدر مدون: «هذا منتهى كلامه على ما علقه الحفظ، ولقنه الذهن؛ ولو كان مأخوذاً عنه بالإملاء لكان أقوم وأحكم. لكن السرد باللسان لا يأتي على جميع الإمكان في كل مكان»(١٦).

وإلى هنا - لعلي لا أكون ضحية خيالاتي - أقول: إن هذا الحرص الزائد على تقييد العلم بالكتابة استهدف تحقيق عدد من الأمور، منها:

- تحقيق جماهيرية التعلم، أي توفير المعلومات في أكبر مدى جغرافيا وزمانياً.

- توفير مادة ملموسة يمكن تبويبها ومعالجتها إذا ما آن الأوان لعصر المعلومات أو ثورة (الإنفوميديا).

ولسائل أن يسأل: هل كان في بال أحد من أجدادنا في ذلك الزمن البعيد أية فكرة عما يمكن أن تصير إليه انفجارية المعرفة؟! لا نمتلك برهاناً يثبت هذا، لكننا في المقابل لا نمتلك دليلاً ينفيه. وأستأذن القارئ الكريم أن أفكر في المسألة على النحو التالي:

إذا كان العمر يقصر عن تحصيل العلوم، وملاحقة فيضانات المعرفة، فإن مهارات التفكير تصبح هي المفتاح لكل المغاليق، والاعتصام بالأصول يغني عن التيه في بيداء القشور. تعالوا نستمع إلى ما يرويه التوحيدي عن «ابن يعيش» الذي يشرحُ المسألة:

«عمر الإنسان قصير، وعلم العالم كثير، وسره مغمور؛ وكيف لا يكون كذلك وهو ذو صفائح مركبة بالوضع المحكم، وذو نضائد مزينة بالتأليف المعجب المتقن. والإنسان الباحث عنه وعما يحتويه ذو قوى متقاصرة، وموانع معترضة، ودواع ضعيفة، وإنه مع هذه الأحوال منتبه بالحس، حالم بالعقل، عاشق للشاهد، ذاهل عن الغائب، مستأنس بالوطن الذي ألفه ونشأ فيه، مستوحش من بلد لم يسافر إليه ولم يلم به وإن كان صدر عنه، فليس له بذلك معرفة باقية ولا ثقة تامة. وإن الأولى بهذا الإنسان المنعوت بهذا الضعف والعجز أن يلتمس مسلكاً إلى سعادته ونجاته قريباً، ويعتصم بأسهل الأسباب على قدر جهده وطوقه. وإن أقرب الطرق وأسهل الأسباب هو: معرفة الطبيعة والنفس والعقل والإله تعالى، فإنه متى عرف هذه الجملة بالتفصيل، واطلع على هذا التفصيل بالجملة، فقد فاز الفوز الأكبر، ونال الملك الأعظم، وكفي مؤونة عظيمة في قراءة الكتب الكبار ذوات الورق الكثير، مع العناء المتصل في الدرس والتصحيح، والنَّصَب في المسألة والجواب، والتنقير عن الحق والصواب»(١٧).

أما قبل: كانت تلك قراءة سريعة وجزئية وفردية، لكنها تأتي في سياق رؤية كلية منهجية لموقع العملية التربوية من نظام الحياة كما نفهمه عن إرثنا الحضاري. ولكي أثبت للقارئ أن قراءتي لا يمكن أن تكون القراءة الوحيدة الممكنة، فأنني أدعوه إلى الاطلاع على الدراسة القيمة في الموضوع للدكتور علي خليل(١٨). ■

هوامش:

١- أبو حيان التوحيدي (توفي ٧٤٥): «الإمتاع والمؤانسة» صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين. نشر دار مكتبة الحياة. بيروت (د.ت). الجزء الثالث ص١٣٥.

٢- السابق نفسه.

٣- لا تتفق الكتابات التربوية المعاصرة على مصطلحات محددة ومضطردة تقابل كلا من Aims-Purposes-Opjectives-Targets-Goals وما اختاره الكتاب هنا يعد اجتهاده الشخصي. لكن المهم هنا هو فكرة التدرج من العموم إلى الخصوص. (راجع قاموس التربية لمحمد علي الخولي).

٤- التوحيدي، السابق. الجزء الأول ص٧٨.

٥- التوحيدي، السابق. الجزء الثاني ص١٤٤.

٦- الكاتب بصدد إنجاز دراسة عن «اللغة والخداع».

٧- التوحيدي، السابق. الجزء الأول ص٩٦ و٧٩.

٨- السابق. الجزء الأول ص٩٧.

٩- السابق. الجزء الأول ص٨٩ القول لصديقنا وأستاذنا الدكتور حسني عصر.

١٠- السابق. الجزء الأول ص١٠٠.

١١- السابق. الجزء الأول ص١٠١.

١٢- السابق الجزء الأول ص١٠٢ و١٠٣.

١٣- السابق. الجزء الثاني ص١٣١.

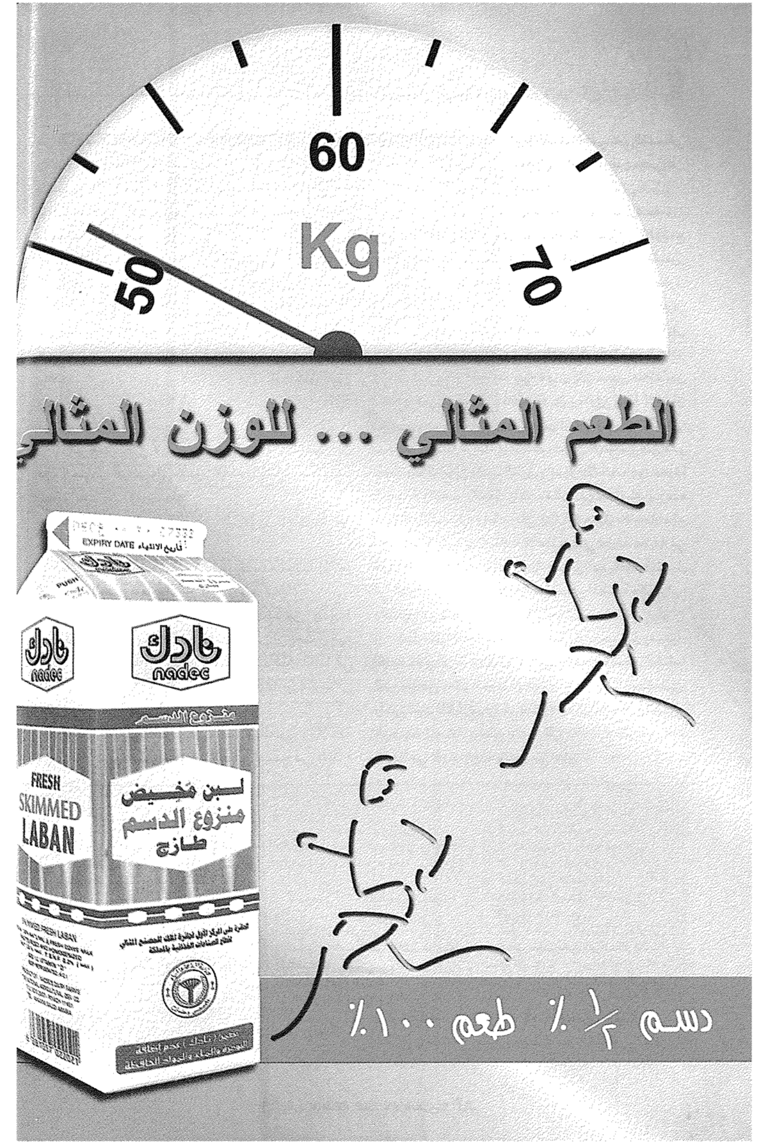
١٤- السابق. الجزء الثاني ص١٣٨-١٣٩.

١٥- السابق. الجزء الأول ص٩٥.

١٦- السابق. الجزء الثالث ص١٤٤.

١٧- السابق. الجزء الأول ص١٠٥-١٠٦ والكلام رواية عن ابن يعيش.

١٨- انظر: «المضامين التربوية في فكر أبي حيان التوحيدي» في: «من أعلام التربية العربية الإسلامية» ج٢ ص١٨٩-٢١٨. مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض ١٩٨٨.


60
Kg
50
70
الطعم المثالي ... للوزن المثالي
EXPIRY DATE تاريخ الانتهاء
نادك
nadec
منزوع الدسم
FRESH
SKIMMED
LABAN
لبن مخيض
منزوع الدسم
طازج
دسم ½ ٪ طعم ١٠٠٪



رئيس التحرير

الإنسان بوصفه «عدواً»

هذا عدوّي!

كان ومازال الإنسان يسعى دوماً للتأكيد أمام الكائنات الأخرى التي تشاطره الحياة أنه هو أكثر الكائنات سلماً وأنساً مع نفسه والآخرين.

ولكي يبرهن الإنسان على هذا الزعم كان لابد أن يستحضر دوماً في ذهنيته هاجس «العدو» الذي يجعله تحت هاجس الريبة، أي أنه مستهدف.. وبالتالي مستضعف.. وبالتالي أليف.. وبالتالي مسالم.. وبالتالي إنسان.

ويمكن القول أن علماء الأنثروبولوجيا لم يجدوا حقبة في تاريخ البشرية لم يتخذ الإنسان فيها له عدواً منذ الإنسان البدائي حتى المتطور. كان ينتخب له من كائنات البيئة المحيطة عدواً، حتى إذا ضاقت عليه فرصة الاستعداء اتخذ من بعضه لبعض عدواً، فإذا ضاقت دائرة الحرب واتسعت دائرة السلام ووجد الإنسان نفسه صفراً من الأعداء اتخذ من نفسه عدواً!

وعليه.. فلم يمر تاريخ الإنسان بفترة طوباوية خالية من وجود العدو، لكنه لا يخلو أحياناً من سعي الإنسان نفسه إلى أن ينحت له عدواً من شجرة السلام، حتى يبرهن أنه ناجح.. وأن كل ناجح مستهدف!

مسألة «العدو» في حياة الإنسان ليست حالة نفسية عدوانية بقدر ما هي حالة ثقافية معرفية. وقد يصدق هذا التشخيص على العدو الجماعي أو المجتمعي أكثر منه في العدو الفردي.

وفي السياق الشرعي فإنه لايوجد للمسلم عدو ثابت لا تتحول عداوته أو تتبدل سوى عدو واحد فقط أخبرنا به القرآن الكريم: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾. وماعدا ذلك فإن كل عدو للإسلام هو بالضرورة عدو للمسلم، لكن هذا العدو بعينه غير ثابت كما هو الشيطان، فهذا الذي هو عدو للإسلام اليوم قد يكون غداً من دعاة الإسلام وأنصاره، ولذا فإن قائمة العداوة لدى المسلم يجب أن تجدَّد وتراجع وتحدّث معلوماتها يوماً بعد يوم!

هذه المقالة لا تسعى إلى أن تخلخل الحقيقة الثابتة بديمومة وجود «العدو» في حياة الإنسان ـ كل إنسان ـ، لكن تبقى أسئلة في ثقافة الاستعداء تراوح في ذهنية الإنسان:

فهل كثرة الأعداء مؤشر إيجابي دوماً لنجاح الإنسان وتفوقه؟

وهل كل الأعداء سواسية، مهما تفاوت حجم عداوتهم ونوعها؟

وهل كل عدو أممي أو مجتمعي يصبح كل أفراده بالضرورة أعداء؟ فإذا قلنا إن أمريكا عدوة للإسلام والمسلمين فهل كل أمريكي هو بالضرورة عدو للإسلام وينبغي أن نتخذه نحن عدواً؟! ألم يكن الرسول ﷺ إبان قتاله يهود المدينة يلاطف جاره اليهودي ويعوده في مرضه، حتى مات اليهودي؟!

ثم هل أدبيات العداوة والاستعداء في حالة النصر مثلها في حالة الهزيمة؟ وهل هي في حالة الحرب مثلها في حالة السلم؟!

وهل كل من خالفني الرأي والتوجهات هو عدو حتى أتطابق معه؟!

وهل كل عدو يتخذه المجتمع ـ أيّ مجتمع ـ هو عدو إلزامي لكل فرد من أفراد هذا المجتمع؟!

وهل هناك ما يمكن أن يسمى: عدو مدى الحياة؟! وهل كل من يتخذني عدواً له ينبغي أن أتخذه عدواً لي، أم أن الأنبل هو أن أسعى لإزالة مسببات العداء لديه.. إن كانت قابلة للزوال؟

وهل كل عدو لعدوي هو صديقي.. كما كان يقال؟!

وكيف يمكنني أن أخفف من أعراض العداوة بيني وبين عدوي، أم أن الذي ينبغي أن أقوم به هو تهييج الأعراض وليس تخفيفها؟!

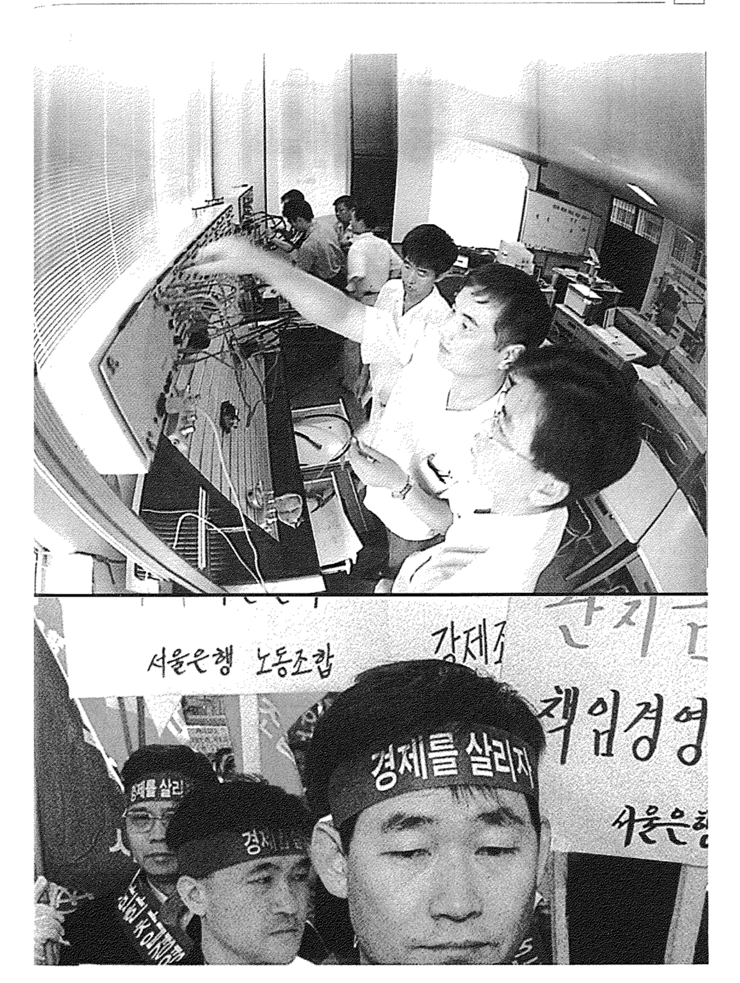
وهل هناك علاقة طردية بين كثرة الأعداء الفرديين ـ المنطلقين من الذات الشخصية ـ مع كثرة الأعداء الجماعيين ـ المنطلقين من القيم والتوجهات؟ فالذين تشغلهم قضية العداوة والعدو والآخر، هم غالباً ذوو خصومات متعددة حتى في الوسط المحيط بهم القريب منهم. فدوائر العداء كبيرة وواسعة قد تمتد بين إنسان في شرق الكرة الأرضية مع إنسان في غربها ثم تضيق وتضيق حتى تصبح بين الأب وابنه والأخ وأخيه، هذا على صعيد العداء القيمي والمعرفي، لا على صعيد الخصومات الفردية الشخصية فحسب.

وأخيراً.. هل من المسوغ أن أتعامل مع عدوي وفق المصالح المتبادلة، أم أن القطيعة التامة هي السمة المميزة للعداء؟!. وفي نفس السياق هل من الحكمة أن أتصالح مع عدوي الأصغر من أجل مقاومة عدوي الأكبر، أم أن هذه علاقة براجماتية، تنطوي على تمييع للعداوة؟!

* * *

أسئلة كثيرة ومحيرة وقد تبدو متناقضة، بينما قد تبدو إجاباتها عند البعض بدهية.

لكن الذي يجب أن نجعله بدهياً هو أن يطرح كل واحد منا هذه الأسئلة على نفسه.. عقلاً وعاطفة، قبل أن يقرر ويقول: هذا عدوي.■


서울은행 노동조합
책임경영
경제를 살리자

المصدر: مجلة بيزنس ويك - ٢٧ أغسطس ٢٠٠١
الكاتب: مون إيهلوان
ترجمة وتحرير: أحمد أبوزيد

أصبح ألعوبة في أيدي السياسيين:

التعليم الكوري جامد ومتخلف!

انفصلت تشوي هاي سوك عن زوجها منذ نحو عام تقريباً، ولم تكن مغادرتها بيت الزوجية في العاصمة الكورية الجنوبية سيول بسبب فشل زيجتها، وإنما كان ذلك سببه رغبتها في أن تتلقى ابنتها يون هاي بن تعليماً محترماً، وهو الأمر الذي ترى تشوي أن من المستحيل تحقيقه في كوريا الجنوبية.

وفي الوقت الذي واصل الأب اجتهاده في عمله كمخرج تلفزيوني في بلده، انتقلت الأم وابنتها إلى شقة مستأجرة في حي فانكوفر ببلدة كوكويت لام في كندا، حيث انتظمت الابنة في مدرسة ريفرسيد الثانوية.

وتركز يون هاي، البالغة من العمر ١٧ عاماً والتي ترغب في أن تصبح طبيبة، على دراسة العلوم مستفيدة من النظام التعليمي الذي يشجع على الإبداع وعلى حل المشكلات. وعلى الرغم من صعوبة التعليم باللغة الإنجليزية في البداية، استطاعت يون هاي بمزيد من المجاهدة والتعلم الإضافي أن تحقق معدل «B» أي جيد جداً على حد قول أمها.

لكن يبقى على يون هاي ألا ترتكب أي خطأ حتى لا يكلفها الأمر تضحية غالية، حيث تبلغ مصروفات تعليمها ٨٢٠٠ دولار أمريكي، هي قيمة ما تحصل عليه كندا من الطلاب الأجانب للقيد بالدراسة في مدارسها العامة، بالإضافة إلى ٢١ ألف دولار أمريكي تكلفة معيشة سنوية هناك، بالإضافة أيضاً إلى مصروفات ابنة أخرى تدرس في جامعة نرويجية، وتلتهم ٧٠٪ من دخل الوالد في كوريا الجنوبية. ومن ثم، فقد أصبحت آلام الأسرة أمراً يصعب حصره، وهو ما دفع الأم إلى القول: «بسبب نظام التعليم الكوري السخيف تمزقت عائلتنا، وهو الأمر الذي جعلني أشعر بالغضب الشديد من حكومتنا».

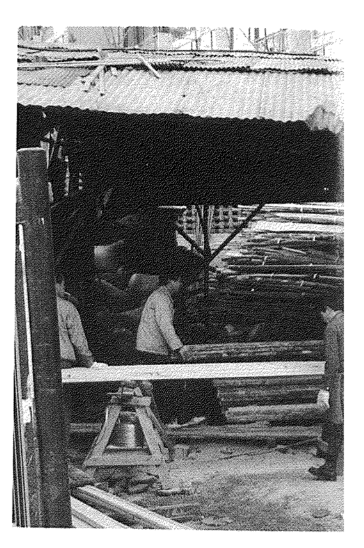
”الأم تشوي: بسبب نظام التعليم الكوري السخيف تمزقت عائلتنا، وهو الأمر الذي جعلني أشعر بالغضب الشديد من حكومتنا“

وتعيش تشوي الآن بعيدة عن وطنها وحيدة، أما ابنتها فما هي إلا واحدة من جيش متنام ومتزايد من الأطفال الكوريين الذين يدرسون خارج أوطانهم. وقد انتقد الآباء وأولياء الأمور بشدة ومنذ زمن نظام التعليم في البلاد، والذي يعج بفصول ضخمة متكدسة، وتعليم بال، ومنهج جامد وضعته فئة من البيروقراطيين.

والشيء المؤكد أن الأطفال الكوريين يتفوقون في الرياضيات والعلوم، ولكن النقاد يشتكون أن المدرسة لا تزرع فيهم نزعة أو حاسة الإبداع اللازمة للتجديد ولبناء اقتصاد قائم على المعرفة. وفي ظل مجاورتها لدولة الصين، التي تصنّع وتحاول أن تتفوق على الشركات الكورية في جميع القطاعات، بدءاً من صناعة الصلب إلى بناء السفن، وانتهاء بالأجهزة الإلكترونية المنزلية، يتوجب على كوريا أن تعلي قيمة العقول. وفي هذا السياق يقول بارك سونج روك، رئيس مركز الدراسات المتحدة، وهي مؤسسة استشارية يمولها رجال الأعمال: «ما لم يتوفر لدينا قدر طيب من العقول ستواجه كوريا خطر أن تصبح لاعباً هامشياً لا قيمة له».

من هنا جاء الاهتمام بالمدارس الأجنبية، وبخاصة التابعة للثقافة الإنجلوسكسونية. فهذه المدارس لا تكتفي بتأكيد التفرد فقط، ولكنها تقدم أيضاً التعليم باللغة الإنجليزية، وهي رصيد يتمتع بقيمة إضافية في كوريا. علاوة على ذلك، فإن الحمل التعليمي في المدارس الثانوية الأسترالية، والكندية، والأمريكية، والنيوزيلندية، أقل وطأة منه في المدارس الكورية، حيث يقضي الأطفال وقتاً طويلاً في الدراسة ما بين مدارس مزدحمة بالطلاب ودروس خصوصية لدى مدرسين خصوصيين. وأخيراً، فإن التحاق الطلاب بمدارس ثانوية أجنبية يعني أن بمقدور الطلاب الالتحاق بالجامعات الأجنبية بسهولة بالغة، وتجنب المنافسة الشرسة في بلادهم.

ويقول كيم هيونج جو، المدير العام لمعهد التطوير التعليمي الكوري، الذي تموله الدولة: «إن نظام التعليم الكوري به كثير من الأشياء التي تستدعي الإعجاب، والمشكلة



تكمن في أن حفنة قليلة من الجامعات تستحق الاهتمام وهي جديرة به، ومن ثم يؤدي هذا إلى منافسة شديدة».

وحتى وقت قريب للغاية، لم يكن يسمح للأطفال الكوريين دون السابعة عشرة بالسفر للخارج للدراسة. وفي ضوء اعتبار هذا الأمر عملاً غير وطني، كان للحكومة الحق في عدم تجديد جوازات سفر هؤلاء الطلاب المخالفين للقانون. بيد أنه في عام ١٩٩٨م، نجح الآباء في مقاضاة الحكومة بشأن هذا الأمر. وفي شهر نوفمبر الماضي، بدأت سيول تسمح لطلاب المدارس العليا، ممن هم فوق الخامسة عشرة من العمر، بالدراسة بالخارج. ومنذ ذلك الحين، توجه عشرات الآلاف من الشباب الكوريين للدراسة في مدارس ثانوية خارج البلاد، واختار عدد متزايد من الطلاب استكمال دراستهم في الجامعات الأجنبية. (انظر الجدول).

وفي الوقت الذي لا تسمح الولايات المتحدة لغير مواطنيها بالالتحاق بالمدارس العامة، يقدم الكثير من الكوريين على هذا الأمر بشكل غير قانوني وذلك بعد التسجيل لمدة عامين في إحدى المؤسسات الأهلية.

أما كندا، وأستراليا، ونيوزيلندا، فيسمحون للطلاب الأجانب بالقيد في مدارس عامة بتكلفة قدرها ٣٥٠٠دولار إلى ٨٢٠٠ دولار أمريكي للعام الواحد.

وإذا عدنا ثانية إلى كوريا، فسنجد أن خروج الطلاب منها له مدلولات اجتماعية واقتصادية، فقد ازداد عدد الآباء المتبطلين عن العمل بسبب أبنائهم، ويوصف هؤلاء «بالعزاب المؤقتين».

وقد أدى تزايد أعدادهم إلى إنشائهم اتحادات لتقديم معلومات، نظير أجر، عن التعليم الأجنبي، الذي انخرط فيه أولادهم. ونشأ نشاط استشاري مستعر لمساعدة الآباء وأولياء الأمور على الإبحار في عملية الهجرة أو الحصول على تأشيرات الدخول للدراسة.

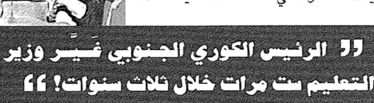
واستطاع هؤلاء أيضاً أن يخففوا القوانين التي تمنع الأطفال من الاتجاه للدراسة بالخارج. ويعبر المسؤولون عن قلقهم من احتمالية ألا يعود الطلاب اللامعون والنجباء إلى وطنهم مطلقاً.

وقد أدركت الحكومة أن عليها أن تفعل شيئاً ما على وجه السرعة. وفي أواخر شهر يوليو الماضي، بدأت حكومة سيول في صياغة خطة جديدة لإصلاح النظام التعليمي. ووعدت الحكومة بأن تتخلص من التعليم العتيق، وترعى التفكير المبدع والمستقل. وخصصت سيول مبلغ ١٢,٨ بليون دولار أمريكي، في الفترة من ٢٠٠١م إلى ٢٠٠٤م، لاستئجار ٢٣٦٠٠ معلم. والهدف من ذلك تقليل عدد الطلاب في فصول المدارس العليا، لينخفض العدد من ٤٣ طالباً إلى ٣٥ طالباً أو أقل في الفصل الواحد في المتوسط. وسيتم استخدام تلك الأموال أيضاً لتدريب المعلمين على التدريس

المكان	عدد الطلاب عام ١٩٩٨م	عدد الطلاب عام ٢٠٠٠م
بوسطن	٧٦٠٠	٨٠٠٠
لندن	٣٢٠٠	٧٦٠٠
لوس أنجلوس	٨٧٠٠	١١٨٤٠
سيدني	١٤٤٠٠	٢١٤٠٠
تورنتو	٢٥٦٠٠	٣٥٧٠٠
فانكوفر	٧٠٠٠	٨١٠٠

بشكل أكثر إبداعاً، وتشجيع المناقشة. وبدءاً من العام القادم، سيصبح من حق المدارس والجامعات الكورية، المقيدة بنظم كثيرة للغاية، مزيد من الصلاحيات في تحديد منهجها الدراسي وإجراءات القبول الخاصة بها.

وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات، تزايدت الشكوك في مصداقية هذه

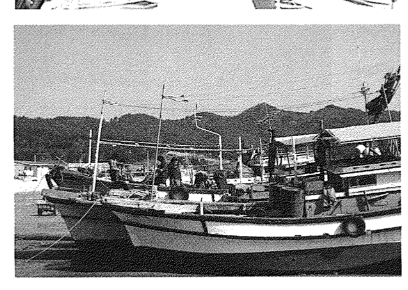


الإصلاحات. فقد قامت الحكومية بتغييرات عديدة في نظام التعليم خلال العقدين الماضيين، لكن الهدف من هذه التغييرات كان الفوز بأصوات الناخبين أكثر منه بتثبيت النظام. فعلى سبيل المثال، ألغت السلطات اختبارات الدخول للمدارس الثانوية بعد أن اشتكى الناخبون، من ذوي الدخول الضعيفة، تمتع العائلات الغنية بميزة غير عادلة؛ لأن بمقدورهم تحمل مصروفات مدرسين خصوصيين لأبنائهم. وقد وضعت سيول أيضاً اختباراً متعدد الاختيارات كأهم مقياس لدخول الكليات، وهو ما يعني أن الجامعات غير قادرة على وضع متطلبات الدخول الخاصة بها.

أما النتيجة فكانت تزايد كثافة الطلاب الذين يستعدون للاختبارات متعددة الاختيارات وتفاقم مستوى الأداء التعليمي الكلي لطلاب المدارس العليا. وبناء على ذلك، لم يستفد التعليم من تحوله إلى لعبة سياسية أشبه بكرة القدم تتبادلها المصالح الخاصة. ويكفي أن نذكر أن الرئيس الكوري الجنوبي، كيم داي جيونج، منذ توليه السلطة في عام ١٩٩٨م، غَيَّر وزير التعليم ست مرات، وكل مرة كانت لأسباب سياسية.

ويصر النقاد على ضرورة اتخاذ خطوات جذرية أكبر. ويقول كيم كاي هوان، مستشار مؤسسة جولدمان وساشز أندكو ونائب وزير الصناعة سابقاً: «لقد أجرينا مناقشات عديدة عن إعادة صياغة النظام التعليمي، ولكن دون أن نحقق أي نجاح. وأقصر طريق لتحقيق هذا الأمر يتمثل في تعزيز المنافسة من خلال السماح للمؤسسات الأجنبية المحترمة بأن تمارس عملياتها هنا».

وتدعو خطة الحكومة للإصلاح لقيام مشروع تتولى فيه



مدرسة أجنبية رفيعة افتتاح فرع لها في سيول في النصف الثاني من العام القادم. وهناك حديث أيضاً عن السماح للمدارس الثانوية الأجنبية الأهلية (الخاصة) بافتتاح فروع لها.

ويرى آخرون أن هناك أملاً كبيراً في ثورة التقنية المعلوماتية، فمن خلال افتخار أكثر من ٤٠٪ من البيوت الكورية بحيازتهم وقدرتهم على الوصول إلى شبكة الإنترنت، سيصبح بمقدور الطلاب الكوريين يوماً ما أن يدرسوا في منازلهم. وخلال العامين الماضيين، تم إطلاق أكثر من خمسمئة موقع تعليمي على شبكة الإنترنت لتدريس كل شيء، بدءاً من اللغة الإنجليزية ومروراً بالرياضيات وحتى تصميم الرسوم.

ومع ذلك، فستمضي سنوات قبل أن يصبح لثورة التقنية أثر مميز على التعليم الكوري، وقد تستغرق إصلاحات الحكومة الفترة نفسها لتؤتي ثمارها. وفي أثناء ذلك سيواصل المزيد والمزيد من الآباء وأولياء الأمور، مثل السيدة تشوي، التطلع للخارج، حتى لو كلفها ذلك تفكك الأسرة، بيد أن الأمر ليس كله شراً؛ لأن الكوريين الذين يتعلمون الآن في الخارج، سيعودون لبناء كوريا الغد. ■

لابد من إعادة النظر في أسلوب تدريسها:

اللغة الإنجليزية «عقدة» فـــ

عبدالرحمن أبو عمة*
الرياض

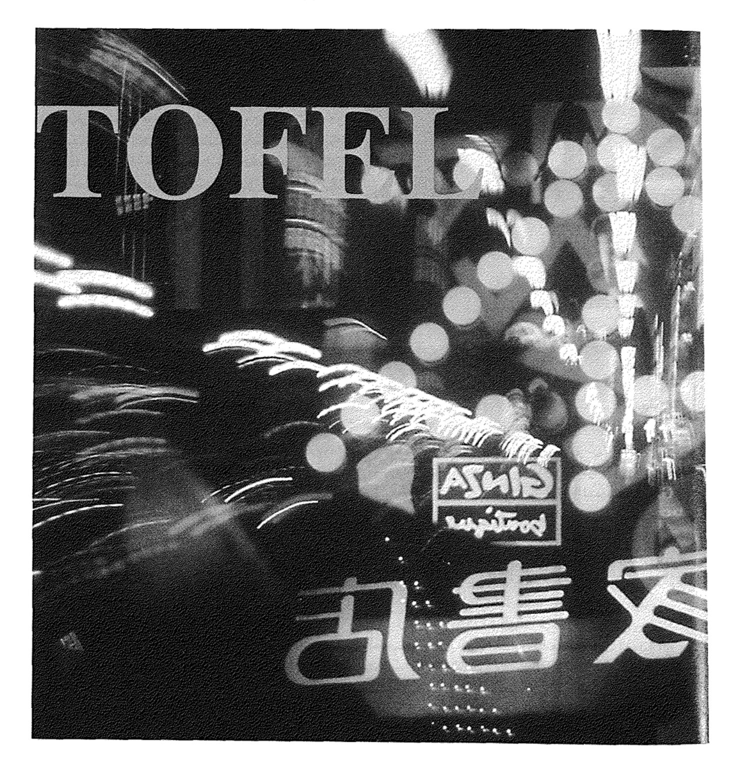


أود أن أعبر في البداية أنني لست من المتحمسين لاستبدال اللغة الإنجليزية بالعربية حتى على مستوى تدريس الطب والعلوم في الجامعات، ولكنني من الذين يؤمنون بأن من تعلم لغة قوم أمن شرهم، بل إن من تعلم لغة قوم تعلم خيرهم في كثير من الأحيان. كما لا يجب أن يكون الاهتمام باللغة الإنجليزية على حساب اللغة الوطنية في أي بلد، ولا يجب أن تؤثر دراسة اللغة الإنجليزية في المملكة أو غيرها من الدول العربية على متطلبات التعليم من مقررات اللغة العربية أو قدرة الطلاب في استيعابها أو محتوى مناهجها، وهي اللغة التي وسعت كتاب الله ولن تضيق بكل المخترعات. مع كل ما سبق لابد من الاهتمام بتدريس اللغة الإنجليزية؛ لأنها لغة التقنية ولغة عالمية في ظل مد العولمة.

يدرس الطلاب اليابانيون، ومنذ سنوات أي ما بعد الحرب العالمية الثانية، اللغة الإنجليزية فيما بين السنوات الثالثة عشرة والخامسة عشرة من عمرهم، أي في المرحلة المتوسطة، كما يدرس الطلبة اللغة الإنجليزية في المستوى الثانوي وفي أغلب المدارس الثانوية. أي أن معظم الطلبة اليابانيين يدرسون اللغة الإنجليزية لمدة ست سنوات، بل إن حوالي نصفهم يدرسها في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي الأخرى. لا يختلف وضع اليابانيين في دراستهم هذه اللغة عن وضعنا في المملكة، بل ولا يختلف وضعهم في هذا الشأن عن كثير من الدول العربية.

* أستاذ الإحصاء بكلية العلوم - جامعة الملك سعود.

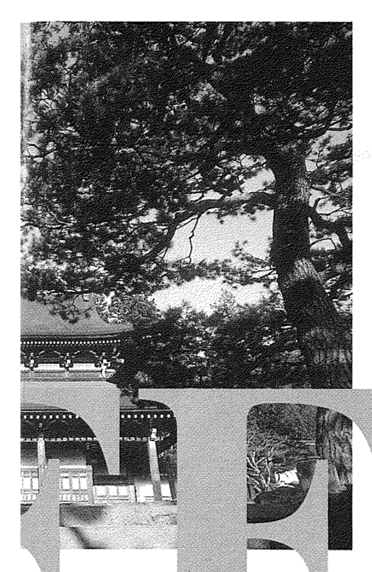
السعودية و.. في اليابان



يواجه اليابانيون بعد هذه السنين من الدراسة صعوبة في التحدث بـ اللغة الإنجليزية، بل لقد أصبحت ظاهرة دراسة اللغة الإنجليزية غير مُرضية وربما ظاهرة مَرضيّة تستحق الدراسة. الوضع في بعض الدول العربية أشد سوءاً؛ لأن من لا يستطيع الإلمام الجيد باللغة الإنجليزية لن يتمكن من إكمال دراسته الجامعية في التخصصات الطبية والهندسية وفي كثير من تخصصات العلوم الأساسية. ويدرس الطالب العربي غالباً اللغة الإنجليزية بعد حصوله على درجة البكالوريوس ليجيدها وليزيد من فرصة حصوله على عمل مناسب في أغلب مؤسسات وشركات القطاع الخاص، وربما كانت اللغة الإنجليزية في بعض الشركات شرطاً أساسياً لا يمكن تجاوزه أو التساهل فيه.

لقد تبين أن الطلبة اليابانيين يحصلون على أقل المعدلات في اختبار التوفل، ليس مقارنة بزملائهم، ولكن مقارنة بطلاب بعض الدول الآسيوية مثل ماليزيا وكوريا والهند. يحدث هذا المستوى في اليابان بالرغم من انتشار اللغة الإنجليزية العالمي مقارنة بلغات العالم الأخرى. ومع الاعتراف بأن على أي مجتمع يتعامل مع العولمة ويمارسها أن يتعلم كل أو جل أفراده اللغة الإنجليزية، حسب رأي كثير من اليابانيين. لهذا السبب كثرت النداءات لمراجعة كيف يتعلم اليابانيون اللغة الإنجليزية، وما هي حصيلة تعليمهم، وأساليب تحسينها؛ لتناسب الجهد من الساعات المعتمدة والتأهيل والتحضير والمال في إعداد الكتب والتدريس.

من الملاحظ أن التركيز في تعليم اللغة الإنجليزية في اليابان محصور في القراءة والكتابة مع تجاهل لا بأس به للاستماع والتحدث. كما تركز الاختبارات على الترجمة والقواعد، ولا تهتم بالمحادثة. ولكي تتمكن اليابان من معاصرة التقنية وتحديثها فإنها بحاجة إلى يابانيين يجيدون قراءة إنجازات الأمم الأخرى التقنية والوثائق المكتوبة باللغة الإنجليزية للاطلاع على جديد التقنية ونظرياتها وأخبارها والاستفادة منها في اليابان. لقد تبين صعوبة تغيير أسلوب التدريس للغة الإنجليزية الذي يؤكد على القراءة والكتابة؛ لأن معلمي اللغة الإنجليزية من اليابانيين في المدارس المتوسطة والثانوية وربما في الجامعات قد تعلموا اللغة بهذا الأسلوب الخاطئ أو غير المناسب. نتج عن ذلك لغة إنجليزية يابانية اللفظ - بسبب تتابع تدريس الأجيال من المدرسين اليابانيين بعضهم بعضاً - يصعب على كثير من الأجانب فهم تلك «اللكنة»، وقد يطلب أحدنا من الياباني أن يكتب ما يود قوله فيجده بارعاً فيما يكتب!



ولعل بُعد اليابان جغرافياً عن دول تتحدث الإنجليزية كلغة أولى أو رسمية، ووجود عدد محدود من الأجانب في اليابان ممن لغتهم الأم إنجليزية يقلل من الحاجة إلى استخدام هذه اللغة إلا في الفصول الدراسية. كما أن الاختبارات تعتمد على القراءة والكتابة لسهولة تصحيح الإجابات، الأمر الذي يجعل من اللغة الإنجليزية غير مرغوبة أو مكروهة أو صعبة التعلم.

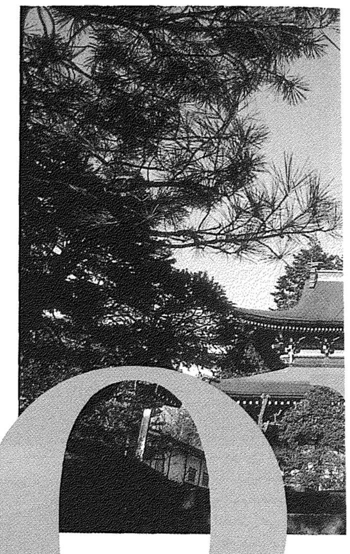
حاولت اليابان التغلب على بعض هذه الصعوبات من خلال برنامج اليابان لتبادل المعلمين، وذلك باستقدام أعداد من المدرسين من أهل اللغة الإنجليزية للتدريس في المدارس اليابانية. كما ساهمت في هذا البرنامج وزارات الخارجية والتعليم والداخلية ومكاتب العلاقات الدولية في الحكومات المحلية. يهدف هذا البرنامج إلى تفعيل التفاهم المتبادل مع الدول الأخرى، وتطوير المفهوم الدولي أو العالمي لليابان، وتحسين تدريس اللغات الأجنبية، وأهمها اللغة الإنجليزية، وزيادة إمكانية التبادل على المستوى

سنة، استفاد منها حوالي مئة وستة وأربعون مدرساً.

لقد عملت وزارة المعارف في المملكة في السابق في برنامج مماثل لتدريس اللغة الإنجليزية ابتعثت من خلاله العديد من المدرسين لدراسة اللغة الإنجليزية إلى بريطانيا ولإعدادهم لتدريسها في مدارس المملكة. ولعل وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات تتمكنان من النظر في مدى استفادة غالبية طلبتنا من دراسة ست سنوات للغة الإنجليزية في التعليم العام، ومع ذلك يحتاج كثير من الكليات الصحية إلى تدريسهم لمدة فصل كامل على الأقل لهذه اللغة، وقد لا يتمكن بعضهم من النجاح أو لا يتمكن بعضهم من الاستمرار في الدراسة، وفي كليات أخرى بسبب عائق اللغة. وقد عمدت اليابان ـ لحل مشكلة عدم إتقان اللغة الإنجليزية ـ إلى تغيير مناهج تدريسها لتركز على أسلوب المحادثة، الأمر الذي أدى إلى أن يكون مقرر اللغة الإنجليزية في المتوسطة والثانوية يؤكد التحدث باللغة الإنجليزية. كما يعمل كثير من الجامعات اليابانية على تغيير اختبارات القبول فيها بحيث تقيس قدرة الطالب اللغوية أو قدرة التخاطب عوضاً عن حفظ بعض القواعد والأمثلة عليها بصورة آلية.

لانزال نشعر كمجتمع بضعف اللغة الإنجليزية بالرغم من دراستها في مدارسنا لست سنوات، إضافة إلى أن أغلب المدارس الأهلية تقدم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية بمستويات مختلفة، وتعد ذلك جاذباً لفئة من بعض طبقات المجتمع لشعورهم بأهمية اللغة لمستقبل أبنائهم وبناتهم. بل الأدهى من ذلك كله قيام كثير من رياض الأطفال الأهلية بتدريس اللغة الإنجليزية لأطفالنا، وقد يختار كثير منا هذه الرياض التي تقدم اللغة الإنجليزية لتعليم أطفالهم، وقد يتفاخر بعضنا بأن ابنته أو ابنه يردد أنشودة باللغة الإنجليزية، وربما اللغة الفرنسية، كمؤشر على نبوغه أو حسن تعليمه. وتقدم التلفزيونات العربية كثيراً من أفلام الكرتون للأطفال باللغة الإنجليزية، وهو ما يدفع بعض الأطفال إلى الرغبة في تعلمها، ولكن طريقة تعليمهم إياها لاتزال محدودة الجدوى ولا تساعدهم على إجادة اللغة في كل مراحل حياتهم.

لا أدري في الواقع نتيجة كل هذه الجهود بصورة علمية؛ لأنه لا توجد نتيجة تقارن بين الطلبة السعوديين وكثير من طلبة الدول العربية مع غيرهم في اختبارات التوفل (TOEFL) أو الاختبار الدولي للغة الإنجليزية (IELTS) الذي تنفذه المجالس البريطانية المنتشرة في العالم العربي. ولا أدري مدى رضا المسؤولين عن التعليم



المحلي للحكومات والمقاطعات.

كما عمل برنامج آخر على مساعدة معلمي اللغة الأجنبية من اليابانيين، وذلك بتقديم برامج متعددة للتدريب والإرشاد والتعليم لتقوية المدرسين اليابانيين، وتطوير قدراتهم التعليمية، وقد استطاع فريق البرنامج تمكين المدرسين اليابانيين من تحسين قدرتهم على المحادثة، وأدى ذلك إلى تطور جيد في لغة طلابهم من الناحيتين النوعية والكمية، وخصوصاً في الاستخدام اليومي، أي التحدث والاستماع.

ومازالت الجهود مستمرة لتحسين مستويات قدماء المدرسين الذين اعتادوا الطريقة التقليدية، حيث أمكن تدريب حوالي ستمئة مدرس لغة إنجليزية في المرحلتين المتوسطة والثانوية بنهاية عام ١٩٩٩م. كما تم استحداث برنامج لدورات في اللغة الإنجليزية لمعلمي اللغة الإنجليزية في المدارس اليابانية، في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، مدة كل منها ستة أشهر أو

عن الجدوى الاقتصادية من دراسة اللغة الإنجليزية في وضعها الحالي.

لا أود أن أستعرض كتب المراحل المختلفة في اللغة الإنجليزية في مراحل التعليم العام أو الكتب المستخدمة في بعض رياض الأطفال لتعليم اللغة حتى لا أخوض فيما لست متخصصاً فيه، ولا أتعدى على اهتمامات زملاء لي كرسوا من حياتهم سنوات لدراسة اللغة الإنجليزية للناطقين بغيرها وحصلوا على شهادات متخصصة ودبلومات وشهادات عليا تؤهلهم لهذا الميدان. ولكن يشعر كثير من أساتذة الجامعات العربية بمعاناة طلابهم من اللغة الإنجليزية عند دراستهم لعلوم أخرى لا تتوفر المراجع فيها، وأحياناً لا يتوفر فيها الكتاب الدراسي المناسب باللغة العربية. ويحس كثير من الأساتذة بأهمية توفير الكتب والمراجع العربية، ولبعضهم جهود رائدة برغم قلة العائد المادي والمعنوي وانعدام جوائز تشجع على الترجمة إلى اللغة العربية أو منها.

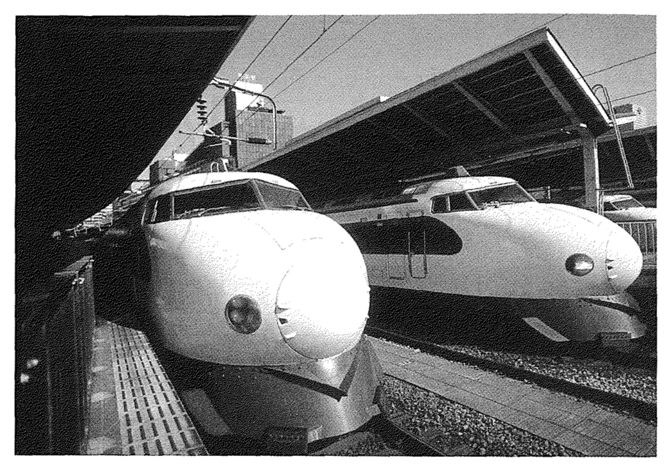
لا يمكن تحسين قدرة طلابنا في اللغة الإنجليزية إذا حصرنا التدريس في السبورة والقلم والدفتر ولم يتمكن الطالب من سماع محادثة على شريط تسجيل صوتي أو صوتي ومرئي لأهل اللغة. كما أن اللغة تحتوي على تراكيب يومية لا يمكن تدريسها عن طريق الكتب. يجب كذلك أن يرافق تعليم اللغة كيفية التحدث والتخاطب بها وفهمها بلهجاتها المختلفة ومعرفة بيئة حياتها ومبررات تراكيب جملها، وهذا ما لا تعبر عنه الكتب الدراسية في بعض البلاد العربية.

تكثر معاهد تعليم اللغة الإنجليزية في كثير من المدن العربية ويقبل عليها الطلاب والطالبات وخصوصاً من يودون تعلم الحاسب الآلي أو الدراسة في الجامعات أو البحث عن عمل في شركة أجنبية أو شركة تكتظ بغير العرب، وتغلب على مخاطباتها ومكاتباتها اللغة الإنجليزية، ويلاحظ الطلاب تحسناً كبيراً في قدراتهم اللغوية عند دراستهم بأسلوب حديث عبر أجهزة الحاسب والفيديو وجهاز التسجيل. بل لقد خصص أحد المعاهد في الرياض ثلاثين في المئة من نشاطه للتدريس التقليدي وستين في المئة للمحادثة، مع إعطاء وقت إضافي لاستخدام الحاسب الآلي، وظهر تحسن ملحوظ جداً على الطلبة الملتحقين فيه. ويفضل بعض الطلبة المعاهد والمراكز الخاصة المعروفة أو المجتهدة في هذا الميدان؛ لوجود حلقات محادثة مع أهل اللغة ومن تكون اللغة الإنجليزية لغتهم الأم.

يعتقد اليابانيون بحاجتهم إلى بعض الوقت لتحسين قدرتهم على التحدث باللغة الإنجليزية، ويرى شباب اليابان أن تعلمهم اللغة الإنجليزية العملية يساعدهم على التعامل مع شبكات الإنترنت ومع متغيرات الاقتصاد المعولم وأمور أخرى. لقد اهتز كثير من اليابانيين وذهلوا عندما قام بعض المديرين العامين للشركات الكبيرة أو بعض كبار موظفيها بعقد مؤتمرات صحفية باللغة الإنجليزية؛ لأن ذلك كان من المستحيلات قبل عشر سنوات. لعله لهذا السبب أصبح لتعليم اللغة الإنجليزية في اليابان أولوية في إصلاح التعليم.

لقد ساعدت البعثات التعليمية بأعداد كبيرة في المملكة على تأهيل جيل كبير من السعوديين لمعرفة اللغة الإنجليزية بجانب تخصصاتهم. ولكن انحسار أعداد المبتعثين في السنوات الأخيرة وكِبر سن بعض الموظفين أو تقاعدهم أدى إلى ظهور دور المترجمين مرة أخرى في المجتمع السعودي، ولكن لا يمكن الاستغناء عن مدير يجيد التحدث مع أبناء بلده وينقل تجاربه إلى غيره بنفسه ويطلع على تجارب الآخرين الاقتصادية والتقنية عن كثب، ومن ثم لابد من إعادة النظر في أسلوب تدريس اللغة الإنجليزية لتفي بالغرض الذي تم وضعها من أجله. وإنه لا يمكن لأي مجتمع أن يصرف العديد من الساعات الدراسية،





بالإضافة إلى رواتب المدرسين لست سنوات متتالية على الأقل وربما تصل إلى أكثر من ستة عشر عاماً، من الروضة وحتى نهاية الجامعة، ويحصل على نتيجة غير معروفة أو متواضعة أو لا تفي بالغرض، مع العلم أنه من الممكن أن يتعلم اللغة الإنجليزية إنسان لم يلم بمبادئها في بضعة أشهر.

كما يشتكي بعض الدارسين للغة في الجامعات أنهم درسوا أدباً إنجليزياً أو أمريكياً ولم يدرسوا لغة لإتقانها، وأنهم أجادوا النقد وفقه اللغة ولم يتقنوا التحدث ولم يحسنوا السماع ولم يطلعوا على شائع التعابير اللغوية المستخدمة يومياً. ولا يستبعد أن نكتشف بعد عدة سنوات وجود لغة إنجليزية سعودية أو خليجية لا يفهمها سماعاً إلا من درسها في مدارسنا أو جامعاتنا، الاستمرار في إجادة اللغة مرهون باستخدامها، ومن ثم فإن إمكانات الشخص اللغوية ومهاراته فيها تنقص مع الزمن ويشعر بها كثير من الأساتذة الذين درسوا في الغرب، أي أن اللغة معرضة للصدأ وبسرعة أكثر من صدأ الحديد الصلب، ولا يمكن إزالة الغبار عنها إلا بالدورات التدريبية الدورية للمدرسين وتنظيم حلقات شهرية أو أسبوعية ليتمكنوا فيها من استخدام لغتهم قراءة وكتابة وسماعاً وتحدثاً.

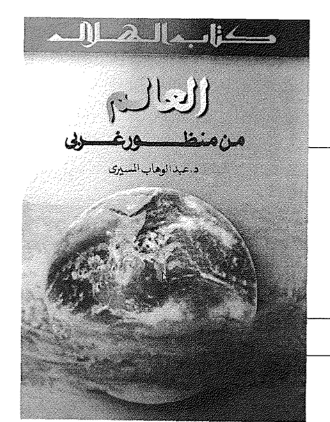
ولا يخفى بعض قدماء مدرسي اللغة الإنجليزية ومدرساتها أنهم نسوا تقريباً كل ما درسوا من اللغة الإنجليزية في الجامعات أو الكليات ما عدا ما تركته لهم وزارة المعارف أو الرئاسة العامة لتعليم البنات بين دفتي الكتب المقررة في المرحلتين المتوسطة والثانوية.

أمل ألا يفهم قارئ أنني أدعو إلى زيادة ساعات تدريس اللغة الإنجليزية في مدارسنا، أو يتوقع أنني راض عن مستوى لغتي العربية؛ لأنني أستعين أحياناً بزملاء متخصصين للاستفسار عن تصويب تعبير أو معنى لكلمة، ولكن ساعات تدريس اللغة الإنجليزية الكثيرة في مجتمعنا لا تتناسب مع حصيلة الطالب المتواضعة من اللغة.

لقد راجع اليابانيون أمرهم في تعلم لغة غيرهم، وهم الحريصون على لغتهم حسب كتاب التعليم في اليابان الصادر من مركز الإعلام الخارجي، ولمسوا تحسناً.. فلعلنا نستفيد من مراجعتهم ونقوم بمراجعة المناهج وطرائق التدريس ومستوى المدرسين ومقدار حاجة المجتمع السعودي إلى هذه اللغة، وكيفية استخدامها بما لا يُغلّبها على لغتنا، ولا يحرم طلابنا من الاطلاع على جديد العلم وحديث التقنية.. والله الموفق. ■



دعوة لتأسيس «فقه التحيز»



الكتاب: **العالم من منظور غربي.**

المؤلف: **د. عبدالوهاب المسيري.**

سلسلة كتاب الهلال - العدد ٦٠٢

الناشر: **دار الهلال.**

تاريخ النشر: **فبراير ٢٠٠١**

عرض: **خالد بن حمزة المدني - الرياض.**

يأتي هذا الكتاب في سياق المؤلفات الأخيرة للباحث الدكتور عبدالوهاب المسيري، التي كان من أبرزها موسوعة اليهود والصهيونية، وبحوثه حول نقد العلمانية وتطبيقاتها، فهو يمثل الفكرة الأساسية التي بنيت عليها كثير من النظريات المعاصرة في مختلف المجالات العلمية: التجريبية منها والإنسانية، ويسعى لتجسيدها وإبرازها بشكل واضح.

وبالرغم من صغر حجم هذا الكتاب، فإنه مليء بالعديد من الأفكار والأدلة والأمثلة التي تعزز اقتراح المؤلف بإنشاء تخصص جديد يدعى «فقه التحيز» يكون من اهتمامه دراسة التحيزات التي طغت على كثير من جوانب المعرفة، والسعي لتخليصها من هذه التحيزات.

ولكلمة «فقه» دلالتها أيضاً، فهي تسترجع البعد الاجتهادي والاحتمالي والإبداعي للمعرفة، بعكس كلمة «علم» التي تؤكد على جوانب الدقة واليقين والحياد والنهائية.

يناقش الكتاب هذا الموضوع من خلال إلقاء الضوء على: النماذج الحالية والتحيز الموجود بها، وطرح نموذج بديل لهذه النماذج. وترجع أفكاره إلى فكرة أساسية، هي أن كل ما هو إنساني فله بعد ثقافي وحضاري، وهو في حد ذاته تعبير عن نموذج معين. وفي ضوء طغيان الحضارة الغربية الحالي صار هناك تحيز لكل ما هو غربي؛ حتى أصبح الذهن ينصرف عند سماع كلمة «عالمي» إلى «غربي»، فإذا سمعت عن النظام العالمي الجديد فاعلم أنه ذو صبغة غربية، وإذا تحدث متحدث عن المعايير العالمية في أي موضوع فتأكد أن مراده بذلك المعايير الغربية.

ينظر الإنسان إلى الواقع من خلال خريطة معرفية تشكلت في صورة عقلية يمثلها النموذج المعرفي والإدراكي المميز لكل منا، والنموذج ـ بهذا المفهوم ـ لا يوجد جاهزاً، وإنما يركبه كل إنسان لنفسه من خلال ما يتاح له من معارف. وبما أن كلاً منا نشأ في بيئة معينة، ويتحدث لغة مختلفة؛ فإنه لا مناص من وجود قدر من التحيز لهذا الإطار الذي يحيط بحياته، ويحدد مرجعيته، ويجيب عن الأسئلة الكلية والنهائية من منظوره.

فالتحيز إذن ـ الذي هو الانضمام والموافقة في الرأي ـ أمر طبيعي؛ وله سمات أساسية، منها:

ـ أنه أمر حتمي، فهو مرتبط ببنية العقل الإنساني ذاتها، وبلغته التي يتحدث بها، وبالتغيرات السريعة لكثير من المدلولات بالرغم من ثبات الدول، وبعدم دقة اللغة عند تعبيرها عن الإنساني في مقابل المادي نظراً إلى وجود المجاز الذي لا يعكس الواقع وإنما يلونه بلونه.

ـ أنه ليس عيباً أو نقيصة، بل يمكن تجريده من معانيه السلبية واكتشاف معانيه الإيجابية؛ ذلك أن الواقع معقد لا يفهم إلا من خلال تفسيره بالمعطيات الحضارية والنفسية للمدرك؛ وهي بالضرورة متحيزة. ومن إيجابيات إدراكنا للتحيز أنه يقلل من خيلائنا، ويجعلنا ننظر للنظريات المعرفية على أنها قابلة للحوار والاجتهاد، وليست نظريات نهائية «موضوعية» من كل وجه. والتحيز قد يكون إيجابياً أيضاً حين نتحيز لقيم فاضلة على حساب ضدها.

وللتحيز أنواع، فقد يكون انتقائياً بحيث يختار فيه المرء رؤية معينة ويركز فيها على جوانب دون أخرى، وقد يكون واعياً واضحاً عندما يمارسه الإنسان، كما هو الحال في الدعاية للأنظمة السياسية «البروباجاندا»، كما قد يكون كامناً غير واع فيستنبطه الإنسان وينظر للعالم من خلاله دون إدراك منه، ويتأثر به المتلقي كذلك دون وعي من جانبه. وثمة أيضاً تحيز حاد سواء للحق أو الباطل، وأقوى ما يكون في ميادين العقائد الدينية والتقاليد والعلاقات الإنسانية.

أما التحيزات التي تهيمن على الواقع العالمي اليوم، ونحن جزء منه، فإنها تبدو أكثر وضوحاً في التحيز للنموذج الحضاري الغربي، والنموذج المعرفي المادي، وبعض النماذج الأخرى المنطلقة منهما، أو الدائرة في فلكهما.

فالتحيز للنموذج الغربي له أمثلة كثيرة، منها ما نراه من خلال تقليعات الموضة في تسريحات الشعر أو في لباس النساء؛ حيث أصبحت تعرية البطن ـ مثلاً ـ تقليداً شائعاً في الألبسة الحديثة، أو حتى في الذوق في بناء المنزل واختيار الأثاث.

وهيمن التحيز لهذا النموذج أيضاً على معظم المشروعات النهضوية في العالم الثالث ـ بما فيه العالم الإسلامي ـ، فنجده جلياً في الفكر العلماني الليبرالي الذي حدد النهضة بأنها نقل أمين للفكر الغربي وذوبان كامل فيه، وكذا التيار الشيوعي والاشتراكي العربي الذي ربط النهضة بالنموذج الغربي ولكن من طريق اشتراكي؛ فهو لم ينتقد هذا النموذج ذاته وإنما انتقد الجوانب التنظيمية له فحسب.

أما الفكر القومي العربي فقد كان هدفه إعادة صياغة الهوية من الداخل على أسس غربية مع الحفاظ على هيئتها الخارجية عربية أو إسلامية وإعادة اكتشاف التراث على هذا الأساس، بحيث يكون أبو العلاء سابقاً لديكارت في الشك الفلسفي، وابن خلدون مكتشفاً لقوانين المادية الجدلية! ومن المؤسف أن هذه

الهيمنة قد سرت أيضاً إلى بعض الاتجاهات الإسلامية «السطحية» فأصبح الإسلام عندهم يكتشف شرعيته بمقدار اقترابه من النموذج الغربي، فصار هناك من ينقل مفاهيم غربية في إعطاء المرأة حقوقها، أو في نظم الحكم والإدارة مثلاً ليؤكد أن الإسلام قد سبق إليها، في سباق تسويغي انهزامي، بل وصل بعضهم إلى أن النموذج الغربي نفسه يمكن أن يصبح إسلامياً بإضافة رتوش بسيطة.

ومن ثم أصبحت هذه المشاريع النهضوية - على اختلاف مشاربها - تنشد المثال الغربي في التغيير؛ فتحول الغرب بذلك من بقعة جغرافية وتشكيل حضاري ذي خصوصية، إلى منطلق للفكر العالمي الحديث، وساهم في ترسيخ ذلك والترويج له كثير من المتعلمين والمثقفين الذين استوعبوا النموذج الغربي واستنبطوه دون أن يدركوا تضميناته المختلفة، فغدوا أخطر القطاعات الثقافية التي تقوم بعملية التغريب، وإعادة صياغة القيم، وإشاعة النموذج الغربي بكل تحيزاته.

أما التحيز للنموذج المعرفي فهو أمر شائع لدى المؤسسات السياسية والثقافية الغربية، ولم يعد التعامل مع العالم يتم إلا من خلال هذا المنظار، ويمكن التضحية بأي شيء آخر عند التعارض. والأدلة على ذلك متضافرة، منها إجراء التجارب النووية دون اكتراث بآثارها على البيئة والبشر، وأنواع التجارب الجسدية والنفسية التي كان يجربها علماء النازية وأطباؤها على المعتقلين دون أن يرف لهم جفن أو تهتز لهم شعرة!

والنموذج المادي يسعى حثيثاً إلى تنميط الناس ليصبحوا في نسق واحد مع الأشياء، لكيلا يعود هناك فارق جوهري بين الإنسان والطبيعة أو المادة. ومن تحيزاته في هذا الجانب أنه ينحاز للعام على حساب الخاص، فهو يفترض أنه كلما تم تجريد الظواهر من خصوصيتها وارتفع مستوى التعميم ازددنا بذلك علمية ودقة. وينحاز للموضوعية - كما يراها - والتي تجرد الباحث من خصوصيته والتزامه الخلقي وعواطفه وحواسه، وتحول عقله إلى صفحة بيضاء تسجل فيها الحقائق وترصد التفاصيل بحياد شديد، في مقابل الذاتية التي تبرز كل مشاهدات الباحث في ضوء إنسانيته ومبادئه.

والهدف النهائي لهذه الانحيازات هو تيسير التحكم الإمبريالي في الواقع، فما يتم ترشيده في إطار مادي يمكن بالتالي اختزاله وتبسيطه وتنميطه، ومن ثم توظيفه. أما ما يستعصي على القولبة والتنميط فإنه يهمش ويوضع في خانات مختلفة مثل «غير طبيعي»، «فوضوي»، «لا يصلح موضوعاً للبحث».

ومن المفهومات الأخرى التي حدث بها تحيز مفهوم التقدم المادي الكمي الذي أصبح هدفاً يسعى الجميع لتحقيقه، وأصبح رديفاً لكل حديث أو خطة عن التنمية والتطوير. فمن تحيزاته الواضحة:

- اعتبار أنه عملية حتمية تتم رغم إرادة الأفراد ولا يمكن لأحد أن يقف في وجهها، فأصبح بهذا المفهوم يسبغ على كل جديد - أياً كان - قيمة إيجابية، وأي قديم - وإن كان الأفضل - قيمة سلبية، واعتباره عملية خطية ذات اتجاه واحد لا رجعة فيه.

- يستند التقدم في المفهوم الغربي إلى افتراض أن التاريخ الإنساني واحد غير متعدد، ومن ثم فإن المراحل المختلفة لأي أمة ستؤدي إلى الهدف نفسه وتحقق الغايات ذاتها، لتصل في النهاية إلى النموذج الأكمل «الغربي بطبيعة الحال» أو تقترب منه.

- يفترض أن تزايد التراكم سيؤدي إلى زيادة المعرفة، ونتيجة لذلك ستزداد قدرة الإنسان على التحكم في بيئته، مع افتراض تنامي الموارد الطبيعية في الكون، وتقدم العقل البشري بلا حدود.

وهذه الفرضيات - كما نرى - لا تستند إلى الواقع، كما أنها تطلق التقدم من أي عقال، فيصبح هو وحده المرجعية لغيره لا العكس، ويغدو غاية بعد أن كان وسيلة، كما أنه لا يكترث بأي خصوصيات حضارية، ويعتمد على الإنجازات المادية فحسب مرجعاً له، فتكون زيادة الكم ومراكمته إلى ما لا نهاية هي الهدف، ويجب أن تتحقق عبر أي وسيلة.

وثمة تحيزات أخرى تظهر في بعض النظريات الغربية كالداروينية والنتشوية التي جعلت من الصراع قانوناً للبقاء، والنظرة الاقتصادية للإنسان باعتباره كائناً يخضع للدوافع والظروف المادية فيسعى لمزيد من الإنتاج والتراكم للحصول على المنفعة، والمزيد من الاستهلاك للاستمتاع باللذة.

أخيراً تأتي إشكالية المصطلح الذي هو - في حد ذاته - تحيز؛ لأنه يدل على معنى اتفق فيه طائفة ما على دلالة معينة لشيء مخصوص، ثم هو تحيز من جهة التضمينات التي يحويها من العقيدة واللغة والفكر الذي نشأ فيه والشخص الذي أطلقه لأول مرة. وللأسف إننا في العلوم الإنسانية العربية استوردنا معظم المصطلحات التي نستخدمها من الخارج، ففقدنا حتى القدرة على إعطاء المفاهيم المختلفة أسماء تدل عليها حسب فهمنا

لها؛ الأمر الذي أفقدنا السيطرة على الواقع والمقدرة على التعامل معه بكفاءة.

هذه الإشكالات السابقة رسخها التحيز في نظرة كثير من الناس للأمور وحكمهم عليها، ومن ثم فإنه لا بد من مناقشة آليات للتحرر من أسر التحيز والقيود التي كبل الناس بها، وطرح نموذج بديل، وإبراز المقومات اللازمة له.

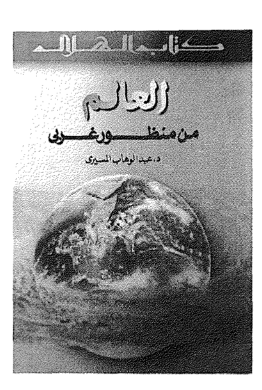
لكي نتجاوز ونتحرر من قبضته لابد أن ندرك حتميته للتعامل معه بواقعية أكثر، وأن نصل إلى البعد المعرفي الذي يركز على الأهداف والغايات لا على المستويات العامة فقط، كما يجب أن نعرف مزايا النموذج الغربي وإنجازاته وأسباب نجاحه، ونلتفت إلى أهمية النقد الكلي للتراث الغربي الذي يهدف إلى الفهم المتعمق له، والتفريق بينه وبين التراث العالمي من خلال رؤيتنا للتجارب المختلفة.

لقد ظهرت في المشروع الحضاري الغربي سمات سلبية كثيرة - بإدراكها سنتحرر من الإنحياز إليه - ومنها: أنه مشروع «كافر» بالإنسان وخصوصياته بقدرة كفره بالإله، وتحرص مؤسساته الكبرى على إنكار الإنسان وخصوصيته واختلافه عن الطبيعة. بل تنزع عنه أي ميزة له تجعله يتصرف وفق خصوصياته، فهو إذن يفترض من الناحية المعرفية البساطة والسطحية في العقل البشري وواقع الإنسان الطبيعي والاجتماعي والدال اللغوي والمدلول الإنساني وكذا العلاقة بينهما، وعليه فإن التعميم تتزايد وتيرته ليشمل كل شيء، فليس هنك ما لا يمكن السيطرة عليه والتنبؤ بمساره.

وارتطم المشروع الغربي بحائط كوني صلب أدى إلى مشكلات بيئية لا حصر لها، حتى ذكرت إحدى الدراسات أن البشر سيكونون بحاجة إلى ست كرات أرضية لاستخلاص المواد الخام، وكرتين لإلقاء النفايات!

وحطم في طريق التقدم - الذي انفلت من كل زمام - إنسانية الناس، فاضطر إلى دفع ثمن التقدم بعد أن جنى عوائده في مظاهر كثيرة، منها التآكل الأسري، وتراجع التواصل بين الناس، وتزايد معدلات العنف والجريمة.

وقد ظهرت في الغرب في خضم ذلك أدبيات يمكن التعبير عنها بأنها فكر احتجاجي أو مضاد لكثير من



المفهومات التي كانت سائدة ومستقرة، ومن هذه الأدبيات: الحداثة، وما تركت من أثر في عالم الفن والفلسفة، ونظرية التنمية التي ركزت على جانب الكم فقط وأهملت الكيف، وظهرت أيضاً مراجعات كثيرة في التاريخ الغربي وعلم النفس واللغة، ولم تسلم من ذلك القوانين العلمية الطبيعية التي أصبحت تستند إلى مقولات فلسفية قبلية لا علاقة لها بعالم التجربة العلمية، أو توجد علاقة واهية على أحسن الأحوال. وهذا الفكر على ما فيه ينبغي دراسته، والاستفادة مما فيه، مع عدم القبول بكل مسلماته ومعطياته.

للتخلص من التحيز يتعين بداية أن ننزع عن الحضارة الغربية صفة العالمية والعلمية المطلقة، وننظر إليها باعتبارها نسبية في الزمان والمكان وليست مركزية تحكم فيما عداها؛ وذلك بإبراز جوانب خصوصيتها والظروف التي أثرت فيها، وتأسيس علم اجتماع للظواهر الغربية؛ لأنها وليدة مجتمعها بتحيزاته وتوجهاته وآلامه وأحزانه ورؤاه وعنصريته، كما أن من الضروري أن ندرك أن ثمة أبعاداً دينية لبعض الأفكار الغربية في الدراسات الإنسانية كأطروحات ماركس وإسبينوزا وفرويد وكافكا وغيرهم.

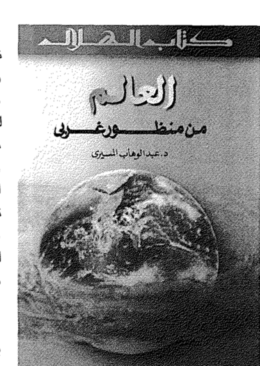
ومن الخطوات المهمة أيضاً: الانفتاح على ثقافات العالم، والاستفادة من التراث الحضاري والفكري لهذه الحضارات العريقة، فما حدث حتى الآن في العالم العربي ما هو إلا انفتاح على الغرب، مع جهل تام ببقية الحضارات العالمية، حتى الإسلامية غير العربية منها، كالتركية والسواحلية والفارسية؛ فمثل هذا الانفتاح سيقودنا إلى مزيد من الوعي في التعامل مع الغرب، وإخضاع رؤاه لمزيد من النقد.

أما تجاوز التحيز في المصطلح فيتم من خلال: إدراك وجود هذا التحيز وحتميته، وأن المصطلحات ليست بريئة أو محايدة، والفصل بين مصطلحات العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، وإدراك البعد المجازي في المصطلحات، وعدم الاكتفاء بالترجمة الحرفية للمصطلح، بل النظر إلى الظاهرة التي يشير إليها، مع

المحافظة على المصطلحات ذات الدلالة العقائدية والمذهبية الخاصة كما هي عند ترجمتها مثل «الدياسبورا» ودلالتها الخاصة لدى اليهود، وأخيراً لا بد من محاولة الوصول إلى مصطلح أكثر عمومية من المصطلح الغربي عند التعبير عن أي ظاهرة.

من الضروري قبل استعراض معالم النموذج البديل أن ندرك بعض القضايا، ومنها: أنه ليس المقصود بنقد النموذج الغربي واكتشاف تحيزاته إسباغ الشرعية على الوضع القائم في بلاد المسلمين؛ وإنما تأكيد أن استيراد هذا النموذج لن يفيدنا كثيراً في سعينا للإصلاح والتغيير، وينبغي ألا نيأس من السعي للإصلاح بسبب تدخل الإمبريالية الغربية بأذرعها المختلفة في شؤوننا، وتحطيمها الكثير من أبنيتنا الحضارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية؛ لأن هذا واقع يفرض نفسه، ويجب أن يتم التعامل معه بوعي أكبر، وفي الوقت ذاته ينبغي ألا نوجه اللوم للغرب فقط وندعي أنه هو المسؤول عن كل ما حدث لنا، فعوامل الانهيار والضعف كانت كامنة في مجتمعاتنا قبل مجيئه؛ ولنعلم أنه لا يمكن أن يحدث تغيير لحالنا ما لم نغير ما بأنفسنا، وأن نعي أن محاولة الوصول إلى نموذج بديل ليست دعوة للوراء، وإنما هي تأكيد على أن النماذج المستوردة لا تصلح لنا، ولا بد من إعمال العقل والاجتهاد وأخذ أوضاعنا في الاعتبار.

ينطلق النموذج البديل من عدة منطلقات، منها: أن نؤمن بأنه ليست هناك قوانين صارمة أو إجابات نهائية جبرية تفسر كل شيء وتصل بالإنسان إلى نهاية التاريخ، بل كل مخلوقات الله - مهما كانت بساطتها - تحوي عنصراً من الغيب الذي لا يقاس، ولا يمكن إدخاله في شبكة السببية الصلبة والواحدية المادية، وأن نفهم أن الهدف من العلم ليس التحكم الكامل ولا تسخير كل الكائنات، وإنما جوهره معرفة قيمة كل شيء خلقه الله وأن له غرضاً ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك﴾، الأمر الذي يؤدي إلى الاستفادة منه وإعماره مع المحافظة عليه.



كما أن من المتعين علينا أن نتوازن في التعامل مع الكليات والجزئيات، فالعالم ليس ذرات متناثرة لا يربطها رابط، كما أنه ليس كلاً عضوياً مصمتاً، وأن ننطلق من تفرد الإنسان واصطفائه، وأن الله قد وهبه العقل وفضله به، فلا يمكن عزو تصرفاته إلى ما هو دونه من الطبيعة أو المادة، فإدراك الإنسان ليس عملية تسجيل بلهاء، وإنما هو اختيار واستقلال.

ومن المهم في النموذج البديل الذي نسعى نحوه أن ينبع من تراثنا الذاتي الذي مركزه القرآن والسنة، وأن نتخلى عن مفهوم التقدم المادي الذي يلخص هدف الحياة في شقيه: الاستهلاك واللذة.

يذكر المؤلف في نهاية كتابه بعض التطبيقات التي أسهم في تنظيمها واستقطاب الباحثين للكتابة فيها، منذ أن بدأ اهتمامه بدراسة مسألة التحيز في السبعينيات الميلادية، والتي تبلورت في المؤتمر الذي عقد في مطلع التسعينيات وناقش إشكاليات التحيز من عدة جوانب، وشارك فيه العديد من الباحثين بأوراق عمل تناولت إشكال التحيز في المجالات المختلفة كالأدب والنقد، والفن والعمارة، والعلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، وعلم النفس، والتعليم، والاتصال الجماهيري.

لقد حاول هذا الكتاب صياغة مفهوم التحيز وإبرازه للعيان، مع ذكر أمثلة وتطبيقات متنوعة له في مختلف المجالات؛ الأمر الذي يؤهله لأن يكون نقطة أساسية في إثارة هذه القضية وتدارس جوانبها المختلفة، على ألا نكتفي بذلك، بل نضيف إليه مقاومة لهذا التحيز الذي يحاصرنا به الغرب في جميع الصعد الحضارية بتطبيقاتها المختلفة إنسانياً واجتماعياً، وإبرازاً لمعاني الحياد والإنصاف في نظرنا للأمور وحكمنا عليها.

إنه نداء صادق من خبير ممارس لهذا الموضوع، ومهتم بدراسته على مدى أكثر من ٣٠ عاماً، فهل يلقى تجاوباً من الباحثين والمثقفين، أم أنه لن يعدو أن يكون صرخة مدوية في واد غير ذي زرع؟! ■

لشمس غدي

شعر:
خالد بن عبدالله الغانم

على درج من الأيام أصعد نحو شمس غدي،
ورغم النار والأخطار والقصدِ
أواصل رحلتي .. أمضي
لشمس غدي.
تقول الشمس إن المهر شلال من العرق
يكون لها كمثل الزيت للمصباح
إن أعطيتها إياه أعطتني من الألق.
فقلت: أيا سرايا الراحة ارتحلي
إلى أن أنجز الميعاد
حينئذ ستنقادين رغماً عنك للبطل
وإني موقن أني
إذا لم أركب الأيام تركبني
إذا لم أسبق الأزمان تسبقني
لذلك لا أفكر في الذي قد فات من عمري
وفي النسيان أدفن كل أيامي التي ماتت
فإن نهضتْ هياكلها من القبرِ
أصيح بها
أنا ما عدت رهن الأمس فاندثري
عيوني الآن قد عادت إلى وجهي
من الظَّهْر.

ما أجمل وأسوأ أن تكون شاعراً!

حقائق عن الشاعر المزروع في ذاكرة النسيان

شعر:
سعود بن سليمان اليوسف

مثلما يفرش الصدى ألوانه ... وكما يرسل الضحى ألحانه
حمل الشمس وامتطى موجة الصبح (م) ... إلى كوكب الرؤى الفينانة
عصر الفجر في اليراع، إلى أن ... أسرج الليل - حين خط - حصانه
أمطر الكون بالشعور، وفي جدب (م) ... الأحاسيس نفسه عطشانه
كلما حاول المنام قليلاً ... أيقظ اللفظ والرؤى شيطانه
صاغيات(*) نفوسنا للهوى، والشاعر (م) ... الحب ساكنٌ وجدانه
التِماع السراب وهمٌ، ولكن ... عَطْشَة المرء حققت لمعانه
كل قلب روح به، وبقلب الشاعر (م) ... الفذ ريشةٌ فنانه
مدمن فالشعور خمر، وساقيها (م) ... يراع، وهدأة الليل حانه
مذعن للتمرد العذب، والدنيا (م) ... عذاب على النفوس الجبانه
ساحر بين إصبعيه، تمنى ... كل شيء لو كان يوماً مكانه
أيقظ الإنسانية الجرح في الناس (م) ... فضجوا وأيقظوا أشجانه
لجمال تثاقلوه! كما استثقل (م) ... في الشعر ناشئٌ أوزانه
ساحر أنت إن نطقت، وإن تكتب (م) ... يقولوا: لقد تعاطى الكهانه!
نابض بالهوى وبالشوق فالدنيا (م) ... ضجيج مضمخ شريانه
حاصروه، ضميره، شفتيه ... فالأحاسيس والحروف مدانه
وهواه أمانة، فطرةٌ قد ... أودعتها، فهل يخون الأمانه؟
حينما هُمُ لم يفهموا لغة الحب (م) ... سموا: أمسى لهم ترجمانه
وإذا القلب صار كالورد عبقاً ... ما استطاعت حقوله كتمانه
ربما يذكرونه ذكرة الأفنان (م) ... للطير تاركاً أفنانه
الليالي جفونها اهترأت، والشاعر (م) ... الفذ لابس عنفوانه
إنما الشاعر الذي عاش لم يعرف (م) ... حصان الأفكار فيه عنانه
كان حدساً شعوره قد وعى أن ... ليس هذا مكانه وزمانه
ساوموه على السكوت، وهل يهوى (م) ... سجين معذب سجانه؟
دهمته زوارق الزيف كي يمسي (م) ... بوقاً وجرّحت شطآنه
ساوموه أن ينزع الشاعر الإنسان (م) ... فيه، ليغمدوا بركانه
فثنى الشاعر الكسير بنانه ... تاركاً في باب الضحى عنوانه

* صاغيات: مائلات.

المشهد الأخير

قصة قصيرة

دخيل علي السهيمي
محايل عسير

الحصة السادسة تبدأ ومعها يبدأ عمل المراوح اليدوية لتخفف قليلاً من جحيم الفصل المحروم من الكهرباء - كسائر حجرات تلك المنطقة المحرومة من كل شيء - الأعين معلقة بالنوافذ، والأجساد التي تغتسل بعرقها ألف مرة تتمنى لو تخترق السياج المحكم باتجاه الفضاء. الفرج المؤقت يأتي - أخيراً - مع صافرة النهاية.. ولا نهاية لمعاناة هذه الأجساد الغضة التي تصطلي كل يوم بلهب لا يرحم..

التلاميذ ينطلقون كالرصاص باتجاه الخارج.. بينما كان يسحب رجليه بتثاقل.. على كاهله يحمل حقيبته وألم النهار الحار الطويل.. وهمّ الرحلة الشاقة إلى المنزل عبر الطريق المجهد، وسيارة النقل المكشوفة التي تشكل امتداداً آخر للمعاناة الناطقة بحال ذلك التلميذ المهدود.. تدافع التلاميذ باتجاه صندوق سيارة النقل المكشوفة.. واستسلم الجميع لحرب شمسية سالت منها تلك الأدمغة المنهكة فيما كانت الأجساد تصطلي بحديد السيارة الحامي.. وكان ارتفاع السيارة بفعل وعورة الطريق بمثابة راحة خاطفة لأجساد التلاميذ من التصاقها بالحديد الملتهب.. لكن العودة جداً قريبة وبسقوط موجع للغاية.. رحلة قاسية وعذاب يومي يتجرعه ذلك التلميذ - بصحبة زملائه - وهو يشعر في قرارة نفسه ألا أحد في العالم يشعر بما يشعر به من عذاب وألم..

يهبط التلاميذ من مركبتهم وقد التصقت أثوابهم البالية بأجسادهم، والآلام تسري في مفاصلهم، وحمامات الشمس تلون دماءهم المغلية.. والمسافة بين باب المنزل ومكان الهبوط من السيارة تستحيل مشياً من فرط التعب وآلام الجسد المحموم وهي لاتعدو كونها خطوات.. يدخل إلى الداخل ويلتهم أي طعام يجده أمامه بعد أن يلقي بحقيبته التي مازالت تحتفظ بقدر وافر من الحرارة، يسمع والده من الداخل يحثه على سرعة التوجه إلى حظيرة الأغنام ليتوجه بها إلى المرعى.. كان يعلم في قرارة نفسه أن الرعي أفضل له وأجدى من المدرسة التي كانت رحلة يومية سائر تفاصيلها تعذيب وحرمان وألم.. كان يعلم أنه عالة على معلميه وعلى مقعده.. وكتبه التي لم يلق عليها نظرة منذ أن استلمها في بداية العام.. حملته قدماه الحافيتان بعيداً عن القرية.. ولم ينس أن يمر على ذلك المكان المنخفض من الطريق الجبلي الوعر.. حيث استقبلته الدنيا هناك..!! وحيث ودعت أمه الحياة هناك قبل أن تكتحل عيناهما برؤية أحدهما للآخر.. كانت الأم تعاني آلام الولادة التي مرت بها عدة مرات، لكنها هذه المرة بحاجة إلى طبيبة أو حتى ممرضة لإنقاذ حياتها بإذن الله.. حملها الزوج وآخرون للمركز الصحي الذي يبعد عن القرية ثلاث ساعات، عشر دقائق منها فقط كانت كافية لتضع الأم وجهها على التراب مودعة الحياة بعد أن تعفر وجه وليدها بالتراب أيضاً.. إنما مستقبلاً الحياة.



سالت دمعتان ساخنتان على وجنتيه الصغيرتين.. كعادته كل يوم، وهمهم في نفسه: ليتني مت معك يا أمي..!! لا شك أن موتي وموت أمثالي هو أمنية المدرسين.. نعم يا أمي. إنهم يطلبون منا أن ندرس في رمضان ونختبر في رمضان ونصوم في رمضان..!!

تحدث كثيراً مع نفسه وجال بخاطره أن جماعة النشاط في المدرسة اختارته مع بعض زملائه لزيارة المحافظة المجاورة.. وهناك شاهد ما لم يكن لخياله الطري أن يلم به. أطفال في الملاهي وآخرون في الملاعب والشوارع المعبدة، والبيوت والشوارع منارة حتى في النهار.. أجل، لهؤلاء وضعت المدارس وليس لي.. ينامون ظهراً.. يلعبون عصراً.. أي حياة هذه؟!

كانت أعماقه وقتها تضطرم وهو يرى كل هذه المظاهر.. شعر بمرارة الحرمان تذوب في حنجرته.. شعر بحرارة الجوع تلسعه، نظر إلى الشمس يستجديها أن تغيب.. فبرقت صورة والده وهو يقول له: هذا العام أعدّ نفسك للصيام، لقد أصبحت رجلاً وإخوتك صاموا وهم أصغر سناً منك الآن..

تذكر النهار الصاخب كيف يبدأ بتلك السيارة التي تفتتح بها سلسلة المعاناة، وبالطريق الجبلي الذي يقطع الأوصال، وباصطدام الرؤوس والأجساد عشرات المرات في ذلك الحوض المكشوف.. وجو الفصل الجحيمي ورحلة الرعي المنهكة.. كل ذلك يحدث وأنا صائم!!

تصور وضعه قليلاً.. فانهمك في بكاء مؤثر.. لم يقطعه سوى الليل الذي أنهى تلك الزيارة.. فأسرعوا عائدين إلى القرية..

كان المذياع يبث برنامجاً مباشراً.. وكان المتصلون يشكون من وجود حفرة صغيرة بجانب الطريق الفرعي في تلك المحافظة، فيما طالب أحد المتصلين باستبدال مكيفات مركزية بمكيفات المدارس الحالية.. كذلك يطالبون بمظلات في مواقف السيارات بالمستشفى العام... إلخ.. وهو لا يفهم كلمة واحدة مما يقال. تذكر أمه.. تذكر وضع مدرستهم. وفجأة توقفت حافلة المدرسة.. أحدهم يستغيث بالسائق لحمل امرأته للمركز الصحي.. إنها تعاني منذ الأمس آلام الولادة وقد فقدت وعيها الآن..!!

تقافز التلاميذ من السيارة وانطلقت مسرعة نحو بيت الرجل.. ثم اتجهت نحو المركز عبر ذلك الطريق العسير.

انتظر الطلاب في مكانهم ولم يطل انتظارهم فقد عاد السائق مسرعاً.. وتم إنزال المرأة وقد أصبحت جثة هامدة..!!

تحلق الجميع حول بيتها.. بينما انزوى بعيداً وراح ينتحب في صمت وهو يرى المشهد نفسه الذي كان يحكى له عن أمه بعينيه اللتين جرّحهما الدمع. ■

إلى مجلة المعرفة.. إهداء

رائدة المعالي

بمناسبة مرور أعوام خمس على عودتها الميمونة

شعر:
أحمد بن سليمان اللهيب
الرياض

برزت فحياها الفؤاد وأشرقا ... وبحسنها تاهت فتاه وأطرقا
وتمايلت بين الوجود ملاحة ... وتألقت بجمالها فتألقا
تخطو وفي خطواتها همساتُ مَنْ ... عزف الهوى في قلبه فتمنطقا
ترنو إليك بنظرة فتّانة ... وتريك قداً في البهاء مطوّقا
حسناء.. أنت ملكت سر مشاعري ... فبعثت شعراً في الوجود منمقاً
يا من كسيت من «المعارف» كسوة ... بيضاء تحمل م العلوم الأصدقا
صفحاتها بظلامها قد أشرقت ... وحديثها بين المسامع شيقا
يا من نثرت الدر بين عوالم ... صيغت ـ بأحسن ما رأينا ـ رونقا
فإليك رائدة المعالي ما حوى ... قلبي وعاد بحبكم مستوثقا
أنت وليدة نخبة قد شاقهم ... أمل إلى العلياء أضحى مشرقا
قاموا بحق للعلا وتمثلوا ... قولاً من الأقوال أمسى منطقا:
«من رام موطنه النجوم فلا يكن ... إلا بحبل العلم منها موثقا»


مزارع فقية للدواجن
أمناء على السعر
أمناء على الصنف
علف
نباتي
١٠٠%
فقيه

سبورة

- هبوط دراسات عليا!
- المشكلات لا تحل بالكاتالوج
- ثقافة العجينتين المصبوغتين!



هذه «سبورة» تفتح يديها للجميع.
هي ليست صفحة القراء - كما في المطبوعات الأخرى - مخصصة للصغار فقط!
«سبورة» أسميناها هذا الاسم محاكاة للسبورة إياها..
تلك التي يَكتب فيها المعلم والطالب معاً..
يُكتب فيها العلم ومحاولات التعلّم جنباً إلى جنب.
هكذا هي إذن سبورة المعرفة للكبار والصغار معاً.. هي للجميع بلا استثناء.

المعرفة

تعقيب أخير في قضية «موقع الهمزة»:

الهمزة المتوسطة بين الجادة والرصيف!

منذر الأسعد
الريــاض

في العدد ٧٤ من العزيزة مجلة «المعرفة» كتب الأخ الكريم قاسم بن خلف الرويس، مشاركة قيمة حول قضية موقع الهمزة المتوسطة، التي سبق أن أسهمت فيها برأي موجز في العدد ٧١.

وأشهد للأخ الفاضل بعفة قلمه وجمال تهذيبه وحسن ظنه بإخوانه، بالإضافة إلى سعة اطلاعه؛ وهذا كله موضع تقدير بسبب ندرته في زماننا عندما تختلف الآراء بين الناس.

وأرى أنني ربما لم أكن موفقاً في عرض وجهة نظري حول المسألة، وهو ما أسعى إليه اليوم، فأقول وبالله التوفيق:

إن الأستاذ قاسم الرويس على حق في إشارته إلى أن لكتابة الهمزة في وسط الكلمة وآخرها قاعدة واحدة هي اتباع ما يوافق الحركة الأقوى.

لكن المشكلة فيما يسميه صوراً ثلاثاً لكتابة الهمزة المتوسطة، فهذا يخرق وحدة القاعدة، سواء أسميناها ثلاث صور أم ثلاث قواعد، وهو ما يسبب اللبس والاختلاف، ويعقد أمراً لا يستحق التعقيد.

فلِمَ نَعْدِل عن اتباع ما يوائم الحركة الأقوى في أمثال (يقرؤون ورؤوس، ومسؤول وشؤون)؟

أليس البقاء على القاعدة الأم خيراً من الخروج عليها، حتى لو كانت الذريعة اختلاف العلماء في اعتبار الهمزة هنا متوسطة أو متطرفة؟

أما ما ظنه الأخ الرويس تناقضاً بين تمسكي بالقاعدة الأصلية، ومشروعي لكتابة الهمزة على السطر في جميع الحالات: في أول الكلمة ووسطها وآخرها.

فإني ألتمس منه العذر عن مخالفتي إياه فيما ذهب إليه.

فالفقير إلى الله كاتب هذه السطور متشبث بالقاعدة الأم في الأوضاع الحاضرة، أما المشروع المقترح فلا ألتزمه إلا إذا نال موافقة المجامع اللغوية؛ لأنني لست أكتب لنفسي، وليست المشكلة شخصية، وذلكم هو الفرق الدقيق الذي جعل صاحب التعقيب يحسبني أجهل ما يسميه الصورة الثالثة (يقرءون).

فخلاصة رأيي - وهو صواب يحتمل الخطأ - أن نظل على الأصل المستقر في الوقت الحاضر فنقلل من الاستثناء والشذوذ، لعلنا نصل في يوم قريب - بإذن الله - إلى صورة موحدة وثابتة لكتابة الهمزة، تلغي الاضطراب القائم، وتنهي خشية

أكثر الطلبة العرب الخطأ في كتابتها.

وأؤكد في الختام، أن طريقتنا في الكتابة تطورت مع الزمن تطوراً فيه كثير من الحرص الطيب على ثبات الهوية، وشيء من الاهتمام بالتجويد وتقريب المكتوب من المنطوق.

وليست كتابتنا اليوم تلتزم كتابة المصحف الشريف التزاماً تاماً، فليس علينا من بأس إن سعينا إلى التطوير والتيسير في حدود الحاجة، ومن غير أن نخرج على الثوابت، وليست كتابة الهمزة من هذه الثوابت؛ لأنها أكثر الحروف التي اضطررنا إلى مخالفة الأقدمين في كتابتها. ولست أعدو الحقيقة، التي يعرفها كل قارئ، إذا ذكَّرتُ بأننا لم نلتزم كتابة المصحف إلا في المصحف نفسه، فكتب الحديث النبوي الشريف ذاتها مطبوعة وفقاً لقواعد الإملاء الحديثة. ■

هبوط دراسات عليا!!

علي حسن الأحمدي

المدينة المنورة

روى لي أحد الأصدقاء حكايته مع الألم النفسي الذي مر به في أثناء دراسته العليا في إحدى جامعاتنا العزيزة، وكيف تفنن مسببو هذا الألم المحترمون - وجميعهم ممن تسبق أسماءهم حروف الدال - في هذا التعذيب النفسي الذي لم يتعوده من قبل، وجعله يكتشف أموراً عدة كانت غائبة عنه، ولم يكن يتوقع أن تكون موجودة.

هذا الصديق الذي أذكر أنه كان من المتفوقين في دراسته في المرحلتين الثانوية والجامعية، وكان من الأوائل دائماً. بدأت حكايته حين قبل في برنامج للماجستير في إحدى جامعاتنا، حيث طار فرحاً بهذا القبول الذي كان يطمح إليه منذ حصوله على الشهادة الجامعية، وأخذ يرسم في خياله صوراً مستقبلية لهذه الدراسة وما سوف يجده فيها من علم متخصص دقيق، وما سيكتسبه من معارف ومهارات متنوعة، خصوصاً في مجال البحث العلمي وطرائقه وأساليبه المتطورة، خصوصاً أن هذه المرحلة تركز على هذه الناحية بالذات.

ويدخل هذا الصديق معمعة هذه الدراسة لتكون المفاجأة التي لم يكن يتوقعها، فأغلب تلك الصور والخيالات التي ارتسمت في مخيلته عن هذه الدراسة العليا لم يجدها في واقعه كما تصورها وكما ينبغي لها أن تكون، وهذا ما سبب له الألم النفسي الذي بات يعانيه.

- حكى لي هذا الصديق كيف أن المحاضرات التقليدية المملة هي نمط التدريس الشائع من قبل الأساتذة في هذه المرحلة العليا!!! الأستاذ يتكلم وطالب الدراسات العليا يصغي مع بعض من النقاش الذي يكون في مجمله غير هادف وليس له أي نتيجة.

- حكى لي هذا الصديق كيف أن بعضاً من هؤلاء الأساتذة يدخل المحاضرة دون إعداد أو تخطيط، والنتيجة لا شيء سوى ضياع الوقت!!

- روى لي صديقي كيف أن معيار التقويم كان يعتمد إلى درجة كبيرة على العلاقات الشخصية أكثر من اعتماده على النواحي العلمية، فأصبحت النتائج لا تعبر عن المستوى العلمي للطلاب واختلط الحابل بالنابل!! وهذا حدا بأكثر الطلاب إلى الاهتمام باصطناع المجاملات من أجل كسب رضا هؤلاء الأساتذة وللحصول من خلالها على الدرجات العليا في المواد، دون اهتمام بالنواحي العلمية والبحثية.

- حدثني هذا الصديق كيف أن الطلاب كانوا يهتمون بالإخراج الفني لبحوثهم أكثر من اهتمامهم بمحتوى تلك البحوث، فالغالبية من الأساتذة لا يقرؤون فلم التعب؟!

حكى صديقي وحكى وسمعته يردد في النهاية قول الرسول ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: وكيف إضاعتها يارسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». ■

في مهمة المرشد الطلابي:
المشكلات لا تحل حسب «الكاتالوج»

إبراهيم أبو صيام
الريـــاض

من أهم صـفـات المرشـد الطلابي الناجح الأصـالة والابتكار؛ لأنه لا يوجد تشابه مطلقاً بين الدقائق النفسية لدى شخص ما ولدى أي شخص آخر في الكون، فهي واحدة فريدة كبصمة الإصبع لا تتكرر. وعلى هذا فالتعميم لا يؤدي إلى علاج ناجع تماماً، بل ربما قصر في التصدي لخصوصيات كثيرة تتعلق بصاحب المشكلة.

لا كاتالوج:

ولا تسير النفس الإنسانية على (كاتالوج) معين مبوب يبين طبيعة الخلل وطريقة إصلاحه، بل إن معرفة ما هو الخلل هي نصف العلاج. ولن يقوم المرشد الطلابي أو المشرف الاجتماعي أو الموجه التربوي أو المحلل النفسي بدور القاضي أو الشرطي أو الضمير المستفز فهذا لا يفيده هو ولا ينفع صاحب المشكلة. الأجدى أن يفتح المرشد المجال للشاب للإفصاح عن نفسه والتعبير عن مكنوناتها بكل طريقة ممكنة، حتى لو اقتضى الأمر إجراء التحليل النفسي الأولي بعرض صور مختلفة، ويطلب منه أن يصفها مراقباً انفعالاته وقسمات وجهه. يمكن للمرشد بعدها أن يتوصل إلى أطراف الخيوط، ويبدأ في ترتيب الخطوات المرحلية لحل المشكلات.

وقد يكون من الأفضل أحياناً تأطير الشاب المعني داخل فريق وملاحظة العلاقات الشخصية والتفاعلات عن كثب. ومن الخطأ الفادح أن يهمل الكثيرون الجانب الإنساني والتعارف الاجتماعي باسم التوازن والصرامة وجدية البحث، فإذا نجح الاعتزال والاختلاء في حل مشكلة ما فإن الاختلاط ينجح في حل مشكلة أخرى.

كيف يصطاد؟

إن الثقة والصدق والمصارحة المتبادلة هي العوامل المحركة للشحن النفسي الذي يحث على التغيير ليدير الشاب أموره مستقبلاً. ينبغي ألا نجعله ينتظر منا سمكة على الشاطئ كل يوم، بل نعلمه كيف يصطاد بنفسه الأسماك في لجج البحار.

دور المرشد أخوي تعليمي، وهو يستقي الخبرات من جلساته مع الآخرين، فينبغي أن يطور مهاراته ويصبح قادراً على ولوج نفسية الفرد وترتيب لقاءات مع الأشخاص واستخلاص الحقائق والنظر إلى المستقبل وتحميلهم مسؤوليات الفعاليات المتبادلة دونما إحراج أو مواجهة في معظم الأحيان.

ويجب أن يعالج المرشد كيفية إدارة المشكلة وجزئياتها المتداخلة ويبسطها إلى نقاط أساسية أولية. ومن دواعي الفشل حجب بيانات المشكلة الصحيحة أو طبيعة علاقات الأشخاص عن المرشد نتيجة الجهل أو الخجل أو الارتباك أو التهديد. وقد يكمن السبب أحياناً في المرشد نفسه عندما لا يتمتع باللباقة والأريحية والخطاب المناسب، ولا يتعامل مع الأطراف الأخرى بطريقة إيجابية ومشجعة بل يحسون أن المسألة تحقيق أو عقاب.

التغيير من الداخل:

ويفترض أن يستخلص المرشد الحقائق عن دور الشاب في التسبب في المشكلة وعما يفعله الآخرون في هذا الصدد، ويشركه في تفسير بعض النقاط، ويتعرف على المشكلة الراهنة وخلفياتها الدفينة، ثم يتوصل إلى الصورة النهائية لمجمل المشكلة، وبهذا يتيسر له كيفية التعامل معها.

ورغم توفر العنصر الإنساني وتبادل المشاعر فإن علاقة المرشد بصاحب المشكلة تبقى في واقع الأمر علاقة عمل تصل في النهاية إلى نقطة يفرض فيها نجاح المهمة نفسه. إن طريقة الاتصال بالأشخاص وإدارة الحوار فن تطبيقي له مئات الأشكال.

لا بد من الاهتمام بالقلب والرأس معاً، ولا يمكن الوصول إلى حل المشكلة دون الاهتمام الحقيقي بالشخص نفسه، ويتجسد هذا من خلال سلوك المرشد وأسلوبه وطريقته في صياغة العناصر الدقيقة الحرجة لعملية التعليم والتغيير التي يمر بها الشاب في أثناء جلوسه معه وبعد انصرافه. ويعني ذلك أن المرشد يصمم أنماطاً سلوكية واجتماعية ناجحة تؤدي إلى البصيرة وحل الخلافات وسوء الفهم والثغرات، ثم التغيير من الداخل.

ابتكار الأسلوب:

ويتوقع من المرشد أن يدير التغيير ويكون أحد عوامله، أما مهمة صاحب المشكلة فهي أن يتفهم ما حوله وأن يتعلم، وهذا هو أهم ما في الأمر. ويستلزم ذلك من المرشد أن يبتكر النمط النموذجي والنقاط الرئيسية والخطة، ويجعل الشاب يبذل جهداً لفهم الأفكار والإجراءات وابتكارها.

قد لا يكون للمشكلة أحياناً جواب واضح مباشر. وهنا يحدد المرشد طريقة حل المشكلة: هل يتم حلها بمزيد من التحكم أم بمزيد من الحرية أم بمزيد من الحقائق أم بنقيض ذلك؟ مهمة المرشد لن تتعدى حفز استكشاف المشكلات وعدم التسرع في الحكم وعدم الوثوق دائماً بالردود الفجائية وبما يميل هو شخصياً إليه. ويجب أن يتأكد المرشد من أن فحوى الأسئلة قد تم استيعابه قبل اتخاذ أي إجراء، كما يجب ضبط نوع الأسئلة وكيفية طرحها حتى يتوصل إلى إجابات سليمة. المرشد لا يهمه ماذا يجب فعله، بل لماذا وما نتائجه.

إن العلاقات الإنسانية والتطور الشخصي والروحانية مهمة جداً في عمل المرشد الطلابي، ويجب عدم تقليص التفاعل الإنساني باسم الهدوء، والاتزان، كما أن الصدق ليس جيداً للروح فحسب وإنما هو أيضاً ضروري للنجاح، فالمرشد الصادق ليس مجرد خيال بلاغي بل هو ميزة نفسية إيجابية.

سر النجاح:

ولا بد من تقويم العلاقة بين المرشد والطالب وتحديد كيفية إدارة تلك العلاقة. وقد يستلزم الأمر أحياناً قرارات محددة فورية. لم لا؟ إنها كالإسعاف الأولي ريثما يصل المريض إلى المستشفى. لقد أصبحت مهمة المرشد الآن بناء مقدرة الطالب على إجراء التقويم بنفسه والإجابة عن أسئلته، ثم التأكد من نجاح ذلك عملياً في حل المشكلة.

ويشرك المرشد عدداً كبيراً من الشباب في إعادة التفكير في مفهوماتهم وعاداتهم واهتماماتهم وعلاقاتهم ومشكلاتهم؛ لأن إعطاء التوصيات الجاهزة من (الكاتالوج) يجعل الشباب اتكاليين على أفكار الآخرين ويبعدهم عن مواجهة مسؤولياتهم. لا يتدخل المرشد في شؤون الآخرين، بل يغير من الداخل أنظمة التفكير ومفهومات السلوك لدى الأشخاص. إن إشراك الشخص المعني وجميع الأطراف معاً يسهم إلى حد كبير في التعرف على جوانب المشكلة وصولاً إلى إيجاد الطرائق والخطط لحلها.

إن سر النجاح في حل المشكلات هو التغيير الذي يجري في العلاقات والمفهومات والالتزامات والمسؤولية. يلجأ المرشد إلى التشجيع والإيجابية شريطة ألا يسرف في الوعود؛ لأن ذلك ينعكس سلباً إن حدث تعثر في بعض الخطوات المرحلية أو في المرحلة النهائية. إن ما يفعله المرشد نابع من شخصه، وهو نوع من المحبة، بمعنى أنه يخدم الآخرين بصدق، ويستخدم ما يعرفه أو ما يشعر به أو ما عاناه، بطريقة تخفف العبء أو تنير الطريق أو تحل المشكلة. إن هدفه ليس الأمر والسيطرة بل النصح والتعليم وتحقيق التفاهم الاجتماعي والاستقرار النفسي. ■

ثقافة العجينتين المصبوغتين!

عبدالعزيز بن محمد الثبيتي
الرياض

قالت كليلة يوماً لدمنة: ألم تسمعي بخبر مجيء أيوب الأعرابي إلى مَجَرَّتنا وعاصمة مملكتنا؟

دمنة: بلى سمعت لكني لا أعلم خبره، ولا أدري ما عُجَرَه وبُجَرَه، إنما هي إشاعات تتلقفها الألسنة لتلوكها، ثم تأتي بخبر لا يمت بصلة إلى تلك الإشاعة، لكن بالله عليك يا كليلة إلا أخبرتني خبره.

كليلة: حباً وكرامة، وطلبك أمر، فأرعني سمعك: زعموا أن أيوب بن يزيد جاء متخطياً حجب الزمن، متلثماً بعمامته، ماشياً عبر تأريخ طويل ليحط رحله في عصر فورة - بالفاء المعجمة الموحدة الفوقية - المعلومات، جاء ماشياً على رجليه، وتنقل بين أفناء نجد يبحث عن الشيح والقيصوم والعرار، فما وجد إلا الفل والورد والياسمين، مما لم تره عيناه في فيافيها القاحلة، وقفارها الموحشة.

دمنة: وكيف عرفت خبره؟

كليلة: لقد أبرق رسالة هذه فحواها:

من الكسير الحسير، صاحب القلب المكلوم، سيد البلغاء وبليغ السادة بلا منازع، الشهير بابن القرية نسبة لجدتي إلى مسلمي مَجَرَّة درب التبانة قاطبة:

ببالغ الأسى والحسرة، ومرارة الحزن والكمد، أكتب لكم رسالتي هذه يا أهل الضاد مستخدماً ليت ولعل ولو أني وكل ألفاظ الترجي والتمني، أرجوكم أن تأخذوا كلماتي بعين الرعاية مع رؤية يمازجها حسن فهم، وبعد نظر، لتربؤوا بأنفسكم أن ترعوا مع الهمل وإلا فالضحية أنتم!

لقد تجولت في أزقة الرياض - وما رأيت زقاقاً على الحقيقة وإنما هي أزقة على المجاز - وتنقلت بين مبانيها العظام بحثاً عن خيمة أو خباء لألقي عصا التسيار بعد عناء السفر ومشقة التجوال، فما وجدت مقيلاً. هالني ما رأيت من دواب تجوب البلاد طولاً وعرضاً، تمخر عباب هذه الأرض وتطويها طياً - وقد حاولت مصاولتها ومجاولتها وسبقها فما رأيت إلا غبارها - ووجدت فيها جفاء لم أعهده، وحقداً لم آلفه في فحولنا، وحين تبينت السبب بطل العجب، فحق لها الجفاء، فصاحبها لا يعلفها ولا يتعاهدها بل يهملها ولا يلتفت إليها، يسومها سوء العذاب، ويحملها على الضيم، ويجهدها جهداً لا تطيقه حمر النعم، فلا عجب أن تكون ليثاً كاسراً ترديه في مهاوي الردى ومواطن الهلكة، وتزهق روحه وتقطع نسله وتجعله في الغابرين.

ليس هذا ما أردته ولا هو ما قصدته، بل شاهدت مشاهد، ورأيت مباهج، أفسدها ما عاينته مما يجعل الحليم حيران، سررت طوراً، وحزنت أطواراً، تنقلت بين رياض وأزهار لكنها خالية من عبير الخزامي وشذاها الفواح، لاقيت من العناء ما أنكرته من نفسي التي لم تعاين حضارة، فليس الهواء هو الهواء ولا الليل هو الليل ولا الناس هم الناس ولا اللغة هي اللغة، تصورت أن أجد كل شيء تحول وتبدل إلا لغتنا التي نعتز بها ونفاخر، لقد أصبحت الأرض غير الأرض فرحماك ربي! راعني وأفزعني تلك اللكنة الأعجمية التي نالت من ألسنتكم، حتى ظننتني في بلاد الفرنجة، أو الهند والسند، أو بلاد ما وراء النهر، وخلتني أتقلب في بلاط آل ساسان أو أنوشروان أو ولد أزدشير بن بابك كان، فرطانة الأعاجم بادية قد كشرت عن نابيها، حربها ظاهرة، ونارها بلهيبها مستعرة، وكيدها شديد وبطشها أكيد، وسيفها مشهور، وسمومها مبثوثة، إنها بلوى عمَّت وطمَّت، فقد رأيت من الدواهي وسمعت من العجائب وشاهدت من البواقع والصواقع ما أطار اللب، وحشى الفؤاد حزناً وكمداً على لغة حفظناها لكم وكتبناها بدماء قلوبنا، وعلمناها أبناءنا حتى جئتم يا أبناء الحليب المبستر والمواد الحافظة وضيعتم جهدنا.

لقد دخلت بهواً كبيراً خلته إيوان كسرى، علّق على مدخله اسم أعجمي، قالوا لي - فيما زعموه - إنه مطعم للمأكولات العجلى! دلفت وليتني ما دلفت! وجدت فيه كل ما مُجَّ وخبث من مأكول فاسد ومشروب سامج، وما وجدت الطعم المستساغ الذي يشبع والري الذي ينقع. ولعمري لضب مشوي أو صفيف شواء أو قديد معجل أو تمرة مغموسة في غضارة لبن أحب إلى قلبي وأشهى إلى نفسي من لحمكم هذا - وقد علمت أنه دجاج فيما أخبروني، ومادار في خلدي أن أمة العرب تأكل الدجاج!! - الذي وضعتموه بين عجينتين، وسكبتم عليه مادة حمراء مخلوطة بمادة

بيضاء في أسماء لم أعهدها ولم أعرفها إلا على الوصف، ألفاظ تتناثر أسنانك وتشتد حبال أصواتك من أجل نطق كلمة منها، كلمات لم يسمعها الخليل صاحب العين، ولم ترد في صحاح الأزهري، ولم تكن مسطورة في محكم ابن سيده، ولا لسان ابن منظور ولا حتى قاموس الفيروز أبادي وصاحبه الزبيدي، بل ولا في أروقة مجامعكم المتناثرة، لم تأت في كتاب مطعوم أو مشروب، فهذه همبرجر، وذاك كاتشب وشطة وهذا مايونيز، وهلم جرا في لغة رديئة وألفاظ بذيئة وأحرف هزيلة، لم تتفوه بها حنجرة عربي أصيل، ولا فاهت بها ألسن فصحاء الضاد، فلأي شيء نترك الدرر ونستقل البحر ونقصد القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؟ وأيش هي (بلازا، ومول، وويب، وسويت، وهاوس، وهاي، وباي، وفاي....) وسلسلة من أوضار العجم.

أترون أن ستين ألف كلمة مما جمع في لسان العرب أو ثمانين ألفاً مما حواه القاموس المحيط، بله المائة والعشرين ألفاً في تاج العروس أتراها عاجزة عن وصف مآكلم ومشاربكم؟ أتراها عاجزة أن تكون لغة التخاطب؟ أتراها عاجزة أن تكون لغة الدعاية والإعلان، إنها درر مصونة وجواهر مكنونة تحتاج للهمة العالية في استخراجها واستخدامها بدل تلك الكلمات العجماوات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وأي خير في ليّ أعناق أحرفكم وميل ألسنتكم وكَلْم حناجركم؟ ألم تعلموا أن البلاغة والفصاحة والإبانة التي يبتغيها اللسن الفصيح إنما طريقها اللغة الفصحى وأداتها اللسان العربي المبين؟ لقد كانت قبائلنا تقيم الأفراح والليالي الملاح إن نبغ فينا نابغ يشيد بأمجادنا ويحفظ أنسابنا، ويطوي كلامه الفيافي والقفار، وتسير بذكره الركبان لتصل القاصي والداني، لا أثر للفظ أعجمي ولا حرف دخيل، فأي خير في كلام بني الأصفر؟ ما بالكم تلقون باللائمة على عدوكم وكأن لا ناقة لكم ولا جمل فيما بنيتموه بأيديكم، وتعاهدته سواعدكم؟ لقد سمعت أنكم تلقون بالتبعية على العدو - وهذه حيلة العاجز وعذر البليد - لتخرجوا سالمين غانمين. فهو الذي دمر اللغة وهو الذي غزاكم بكلماته وهو الذي فعل الأعاجيب! أف لكم ولما تعملون وتقولون، تضحكون على أنفسكم وتضحكون الثكلى من أعمالكم!! إنها ثقافة موجهة بدقة وإحكام فبضياع اللغة ضياع جيلكم.

ثقافة (الهمبرجر): سلاح مغلف تعطي الطعم الغثيث بيد وتطعن بالأخرى، تدس السم في العسل والبصل وكل ما تستطيع الوصول إليه! لقد علمت من خلال تجوالي وعبر ما يقرأ عليّ وما أسمعه من أن الفرنجة طاروا فرحاً واستبشروا وَعَدُّوه فتحاً عظيماً ونصراً مبيناً، حينما افتتحوا أول مطعم لهم في بلاد التتار*.

وإن أنت ذهبت إلى ديارهم أو ديار بني جنسهم وهاتفتهم بلغة ليست من صميم لغاتهم شاحوا بوجوههم عنك وتغيرت ملامحهم حنقاً وحقداً عليك، بل تصبح كاليتيم على مائدة اللئيم، غريب الوجه واليد واللسان، وحيثما شرقت أو غربت أو أشملت أو أجنبت - وإياك والتوسط - لوجدت عجباً! حرب سعار، وفتن تدار من أجل حرب الأطباق الفضائية وما تبثه من ثقافة (الهمبرجر)، أما أنتم فقد رأيتكم سادرين في غيكم تنتقلون من بلية إلى بلية** بحثاً عن أخبار الـ ... الـ ... الـ ... اقتصاد! كدت أفصح فأفضح لولا بقية حياء.

يا عرب الشيخ، يا أمة القيصوم، يا أهل العرار أنادي فيكم إسلامكم وغيرتكم ونخوتكم وحميتكم: انظروا إلى هؤلاء الكفرة الفجرة غضبوا غضبةً قيصرية وكسروية لثقافة ممجوجة وعقيدة هشة، فما بالكم يا مسلمون لا تغضبون غضبة مضرية تشهرون فيها مليار سيف شهير يحملها مليار شاب طرير مع لسان سؤول وقلب عقول؟

إن الأمر لا يحتاج إلى كبير عناء، وإنما همة صادقة تناطح الصخر وتفلق هام الأعداء، وحملة ناجعة تزيل الصعاب وتعانق السحاب، وغضبة مضرية تؤتي ثمارها يانعة يقتطفها الجيل ويبلّغها من بعده، إنها تحتاج لعزمات الرجال، وطول نفس وبال، واعتزاز باللغة وعزم وإصرار على المضي قدماً في تنشئة جيل يحجب لغته ويفخر بها، وإلا ستظل ثقافة العجينتين المصبوغتين بالألوان معشّشة في العقول، مسؤولية على القلوب، وستفشل غضبات مضر وسواعد عدنان ورايات قحطان.

هذه كلماتي، وتلك بعض مكنونات مشاهداتي، أضعها بين أيديكم، فإن أردتم لأنفسكم الخير ولأمتكم النُّجْح والفلاح فالبدار البدار، وإن أردتم الأخرى فكبر أربعاً على جيل العولمة الممسوخ، والسلام.

دمنة: كم هي مؤثرة هذه الرسالة، لقد أحزنتني وأفزعتني وأقضّت مضجعي رغم أني أسمعها الساعة، ألهذا الحد وصلنا؟

كليلة: لا عليك يا دمنة فهذه اللغة محفوظة بحفظ كتاب الله إلى يوم الدين، لكنها غفلة ساعة ستعقبها بإذن الله يقظة الدهر. ■

---

* افتتاح أول مطعم لـ: ماكدونالدز في الصين.

** أكثر من خمسمئة قمر صناعي تجوب الفضاء، تبث كل غث، وقليل من قليل من قليل من سمين!

في الإدارة التربوية:
هنا يرقد أحد الرجال القلائل الذين عرفوا كيف يضمون إلى خدماتهم رجالات أفضل منهم

دخيل الله حمد الصريصري
جدة

يعتبر المدير العنصر المحرك الذي يبعث الحياة في كل عمل، فدون قيادته تظل فعاليات موارد النظام التربوي مجرد موارد فقط، ولا يمكن أن تصبح إنتاجاً ذا ثمار يحقق أهداف الإدارة التربوية.

والبحث عن الكوادر الإدارية رفيعة المستوى يتطلب جهوداً مضنية ووضع معايير وضوابط تعتمد على توفير قاعدة معرفية ومفهوماتية ومهارة فنية وذهنية، وخبرة لها إنجازاتها كأساس للاختيار، والبعد عن الترشيح أو الاختيار الذي يعتمد على معايير الثقة الشخصية.

وهناك قول يلخص فكرة روح المؤسسة التربوية أشار إليه (بتر دراكر في كتابه ممارسة الإدارة ١٩٥٤، ص٢٢٠) وهو ما كتب على شاهد قبر اندروا كارنيجي«هنا يرقد واحد من الرجال القلائل الذي عرف كيف يضم إلى خدمته رجالات أفضل منه هو شخصياً» وذلك ما يعني البحث وحسن اختيار أكفأ وأمهر وأصلح الرجالات لقيادة فعاليات المؤسسات التعليمية في المواقع القيادية المؤثرة ومساعدتهم للوصول إلى الفعالية التعليمية والتربوية.

وهناك خطورة للقيادات ذات القدرات المتوسطة على إضعاف أركان المؤسسات التربوية وإيذاء روحها المعنوية وفعاليتها المختلفة بشكل قد يؤدي إلى انخفاض الأداء والروح المعنوية للعاملين في حقل التعليم مثل أن ترى وتسمع بعض مديريها يقولون: لن يكون بوسعك أن تحظى بالمستقبل الواعد هنا ولكنك لن تفصل من العمل (إن ذلك يؤكد انتعاش دور القيادات والقدرات المتوسطة الآمنة المعتمد تكليفها على الثقة الشخصية دون الكفاءة، وهو الأمر الذي قد يولد البيروقراطية، ويعمل على إعاقة أولئك الذين يكون العمل في أشد الحاجة إليهم، من فئة المبدعين والكفاءات رفيعة المستوى غير المعروفين أن ذلك لا يشجعهم حتى على المخاطرة بارتكاب أحد الأخطاء أنه يثبط من هممهم كلية عند محاولة القيام بأي شيء جديد، إن ذلك الأمر لا يبني الروح المعنوية، والذي يستطيع ذلك هو الأداء الراقي فحسب، بل إنه في الواقع لا يحقق حتى مجرد الإحساس بالأمان. فالأمان الذي تحتاج إليه مجموعة الإدارة التربوية هو ذلك القائم على الوعي بالأداء الراقي والاعتراف به ودعمه وتشجيعه).

ويمكن لأفضل الممارسات أن تفشل في بناء الروح الصحيحة للقيادات التربوية ما لم تكن الإدارة العليا دقيقة مع ما تفعله وتجهر به دائماً عند تعيين أحدهم لأحد المناصب التربوية. وتكمن البرهنة النهائية على دقتها وجديتها في إصرارها وتمسكها الصارم بوضع معايير دقيقة وضوابط واضحة للاختيار لهذه الكفاءات ولاسيما بمبدأ استقامة الشخصية وقدرتها على تحقيق الأهداف، ذلك أن القيادة تمارس من خلال الشخصية، لكونها هي التي تحدد وتضع المثل الذي يحتذى به ويتم تقليده، بالإضافة إلى أن الشخصية ليست بالشيء الذي يمكن اكتسابه أو يعثر عليه بالصدفة.

وقد يكون من الصعب تعريف الاستقامة، إلا أنه من السهل تعريف العوامل التي يؤدي نقصها أو انعدامها إلى أن يحرم شخصاً ما من تقلد منصب تربوي. ومن هذه العوامل:

–لا ينبغي القيام بتعيين أحدهم في موقع تربوي من الذين اقتصرت رؤيته على التركيز على نقاط ضعف الآخرين وليس على مواطن القوة فيهم.

– ولا ذلك الذي يدرك أبداً ودوماً ما يعجز الآخرون عن أدائه دون أن يرى أو يدرك أن بوسعهم أن يقوموا بأشياء أخرى عديدة.ومثل ذلك الشخص الذي ينصب اهتمامه على السؤال: من الذي على صواب؟ وذلك أكثر من اهتمامه بالسؤال: ما هو الصواب؟ إن السؤال من الذي على صواب إنما يشجع المرؤوسين على التصرف بحذر وربما بخبث. وفوق ذلك أنه يشجعهم على التغطية والمداراة أكثر من اتخاذهم لأي إجراء تصحيحي فور اكتشافهم لأحد الأخطاء.

– ولا ينبغي للإدارة التربوية أن تقوم بتعيين من يقدم الذكاء ويضعه في مرتبة تسبق استقامة الشخصية.

– وأيضاً لا ينبغي تعيين ذلك الذي يتضح خوفه وتظهر خشيته من مرؤوسيه الأكفاء الأقوياء أن ذلك يمثل الضعف بعينه.

– كما لا يجب أن يحظى بوظيفة قيادية تربوية من لا يحدد أو يصنع لنفسه أهدافاً عالية ومستويات راقية ومرتفعة في الأداء، ذلك لأن مثل هذا الأمر إنما يولد الاستصغار للعمل وللإدارة التربوية.

وأخيراً يمكن القول أن القيادة التربوية الناضجة والفاعلة هي التي تعمل على رفع الرجال العاديين إلى تحقيق غير العادي، ومن ثم الوصول إلى التميز. ولا يتحقق هذا إلا من خلال نظر القيادة العليا إلى القيادات الجديدة بأنها الأفضل خبرة ومهارة وفاعلية بحيث تستوعب معطيات العصر وتسعى إلى مواجهة تحدياته. ■

اليسير
لإدارة المكتبات

مميزات البرنامج

١ - مهيأ للعمل في بيئة الشبكات .
٢ - خيارات متعددة في البحث .
٣ - تقارير متنوعة وطباعة ملصقات الكعب الباركود .
٤ - يحتوي على قائمة رؤوس الموضوعات العربية للخازندار ، (أكثر من ٦٠٠٠ موضوع) .
٥ - إمكانية تحديد صلاحيات معينة لكل مستخدم .
٦ - نسخ إحتياطية على القرص الصلب أو المرن .
٧ - سهولة في الإعارة والاسترجاع (إعارة الكتاب بإدخال رقمه فقط، أو بواسطة قارئ الباركود) .
٨ - إحصائيات متعددة تفي باحتياجات المكتبة .
٩ - استيراد بيانات الموظفين والطلاب من برنامج (معارف) .
١٠ - تعليمات واضحة تشرح جميع أجزاء البرنامج .

ومن مميزات البرنامج الأخرى

١ - سهولة الاستخدام بحيث يناسب كافة المستويات .
٢ - إمكانيات متعددة في طباعة نتائج البحث .
٣ - استيراد بيانات الكتب التي تزود بها وزارة المعارف المكتبات المدرسية .
٤ - يدعم تقنية الباركود .
٥ - طباعة خطابات للمستعيرين المتأخرين .
٦ - طباعة بطاقات للمستعيرين .
٧ - يساعدك البرنامج على نشر بياناتك على الانترنت حيث يحتوي قرص البرنامج على موقع جاهز يحتوي على الأدوات اللازمة لذلك .
٨ - يحتوي قرص البرنامج على بيانات أكثر من (٦٠٠٠) كتاب يمكنك استيرادها .
٩ - دعم فني متواصل من خلال موقع البرنامج على الانترنت : (ww.alyaseer.gov.sa)
١٠ - البرنامج مفسوح من وزارة الإعلام ومسجل في مكتبة الملك فهد الوطنية .



وزارة المعارف
MINISTRY OF EDUCATION

تصميم وتنفيذ
إدارة المكتبات بوزارة المعارف

الوكيل والموزع الوحيد لبرنامج اليسر
آباتي للحاسبات والتقنية
الرياض - العليا - مركز الصالون الأخضر - هاتف : ٤٦٢٠٣٠٠ - فاكس : ٤٦٤١٥١٨
E-Mail: apaty@hotmail.com



اباتي للحاسبات والتقنية

التقويم الدراسي للعام 1422 / 1423هـ

الموضوع	التاريخ الهجري	الموافق بالميلادي
بداية الدراسة للفصل الأول	السبت ١٣ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ	١ سبتمبر ٢٠٠١م
بداية الدوام الشتوي	السبت ١١ شعبان ١٤٢٢هـ	٢٧ أكتوبر ٢٠٠١م
إجازة عيد الفطر المبارك	بنهاية دوام الأربعاء ٢٠ رمضان ١٤٢٢هـ	٥ ديسمبر ٢٠٠١م
بدء الدراسة بعد عيد الفطر	السبت ١٤ شوال ١٤٢٢هـ	٢٩ ديسمبر ٢٠٠١م
اختبار الفصل الأول	السبت ٢١ شوال ١٤٢٢هـ	٥ يناير ٢٠٠٢م
تنتهي اختبارات الفصل	بنهاية دوام الأربعاء ٢ ذو القعدة ١٤٢٢هـ	١٦ يناير ٢٠٠٢م
بداية الدراسة للفصل الثاني	الإثنين ٧ ذو القعدة ١٤٢٢هـ	٢١ يناير ٢٠٠٢م
إجازة الحج (عيد الأضحى)	نهاية دوام الأربعاء ١ ذو الحجة ١٤٢٢هـ	١٣ فبراير ٢٠٠٢م
بداية الدراسة بعد إجازة عيد الأضحى	السبت ١٨ ذو الحجة ١٤٢٢هـ	٢ مارس ٢٠٠٢م
بداية الدوام الصيفي	السبت ٩ محرم ١٤٢٣هـ	٢٣ مارس ٢٠٠٢م
اختبار الفصل الثاني	السبت ١٣ ربيع الأول ١٤٢٣هـ	٢٥ مايو ٢٠٠٢م
إجازة نهاية العام للطلاب	بنهاية دوام الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٣هـ	٥ يونيو ٢٠٠٢م
إجازة نهاية العام للمعلمين	بنهاية دوام الأربعاء ١ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ	١٢ يونيو ٢٠٠٢
عودة المعلمين	السبت ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ	١٠ أغسطس ٢٠٠٢م
اختبار الدور الثاني	السبت ٩ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ	١٧ أغسطس ٢٠٠٢م
بداية العام الدراسي ١٤٢٣/١٤٢٤هـ	السبت ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ	٧ سبتمبر ٢٠٠٢م

تمور المحمدية



المصنع: تليفون: ٠١/٥٤٤٤٨٠٢ - ٠١٥٤٤٤٨٢٧ - فاكس تحويلة: ٥١

الادارة والمبيعات: ٤٦٢٦٢٨٤ تحويلة ٢٣٨/٣١٩ فاكس: ٤٦٠٢٧٠٥

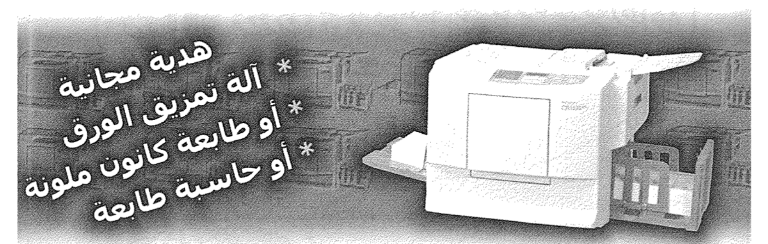
شركة مجموعة العجو للتجارة

العجو
EL-AJOU

RISO
DIGITAL PRINTERS

تقدم الحل الأمثل للمدارس

آلة النسخ الرقمية ريزو CR 1630



* سرعة عالية تصل الى 130 نسخة في الدقيقة
* دقة وضوح عالية 300X300 نقطة في البوصة
* قلة تكلفة الطباعة
* يمكن استخدام اوزان مختلفة من الورق حتى 210 غم
* سهلة الاستخدام
* تعمل مع جميع اجهزة الكمبيوتر
* تضمن العجو صيانة الآلة كاملة
* ضمان ضد عيوب التصنيع لمدة عام



فقط
نقــداً ٩,٩٨٠ ريال
بالتقسيط على ٩ شهور
١,١٧٠ ريال شـهرياً

الرقم المجاني 8001241177

الادارة العامة	الرياض	جدة	الخبر	بريدة	خميس مشيط
01.4041717	4630773	6437037	8944744	3815183	2233585

shadfan-i@elajougroup.com) (http://www.elajougroup.com) 01.4041717 EXT 229 MOBILE : 054230856



لا تطاوع «المعرفة»!



ثلاثة أرباع بيتي كتب ومجلات.

المعرفة





نحن أمة لا .. تتساءل!

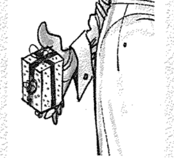


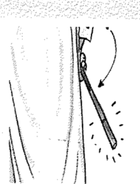
الحل عن طريق «شرب الهـواء»!

الأسبوع الأول!!

الوهيبي







الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية، كما نردد دوما!
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: د. برهان غليون - أستاذ علم الاجتماع السياسي ومدير مركز دراسات الشرق المعاصر بجامعة السوربون - باريس، يقدم لنا شيئاً من وجهات نظره فيما يلي:

المعرفة

برهان غليون:

العرب ظاهرة «صمتية»!

*** احتراف المثقف العربي!**

كيف؟ احتراف ماذا؟ ليت هناك محترفي ثقافة بالفعل.

*** كتابة السير الذاتية كرواية أدبية!**

لِمَ لا؟ ما المانع من ذلك؟ قد تكون السيرة رواية جميلة.

*** نظرية المؤامرة الغربية!**

تستخدم اليوم بدل الحديث عن استراتيجية غربية؛ لأن الحديث عن الاستراتيجية يستدعي بناء استراتيجية مضادة، أما المؤامرة فهي تغطي مفهوماً أخلاقياً للعلاقات الدولية لا يكلف صاحبه بأي عمل مضاد ومسؤولية.

*** توأمة المؤسسات الثقافية!**

رمز للتعاون والتفاعل.

*** فكرة العواصم الثقافية!**

وسيلة للتذكير بأنه لايزال هناك في العالم العربي عواصم. فعلى المستوى السياسي تكاد تكون غير موجودة من وجهة نظر عالمية.

*** نحن والعولمة .. من يربي الآخر؟**

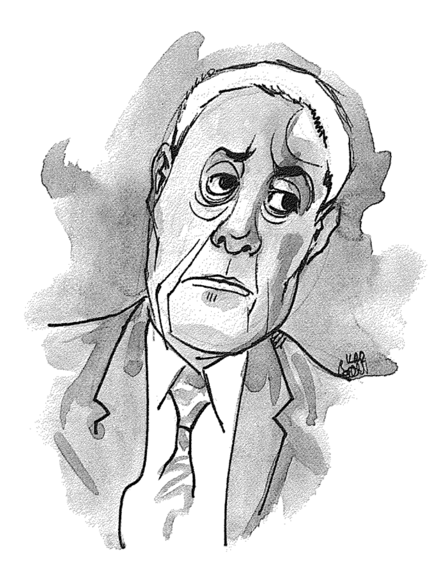
من تقصد بنحن؟ العرب أم الإنسان؟ الإنسان يستطيع، وسوف يعمل على إخضاع العولمة لمعايير وقيم إنسانية، والعرب إذا أصبحوا شريكاً في حضارة العالم والعولمة.

*** نحن أمة لا تقرأ!**

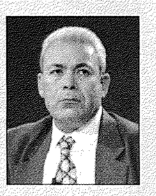
وكتابنا المقدس اسمه القرآن. السبب أننا لم نعد نتساءل، لم نعد نبذل جهداً، لم يعد لدينا أمل، لا يهمنا شيء سوى الحفاظ على البقاء.
هذا ثمن اليأس الذي بعثته نظم مجتمعية يستدعي استمرارها قتل الإنسان.

*** الفجوة بين «نخبة» المثقفين و«لخمة» الشباب!**

المثقفون ليسوا أنبياء ولا أولياء، هم جزء من المجتمع نفسه ولديهم عيوبه ذاتها، والسبب أن الشباب الذي أنتجهم وينتجهم النظام، ليسوا بحاجة إلى ثقافة، والمثقفون ليسوا



- العواصم الثقافية العربية تذكرنا بوجود عواصم..!
- نحن أمة لا .. تتساءل!
- الرقيب الداخلي أصبح أقوى من الرقيب الخارجي.
- الثقافة حين تكون سلاحاً .. للقتل!
- التنافس الثقافي المشارقي المغاربي .. اختراع صحافة مريضة!
- فصل السياسة عن الثقافة أحد خصائص المجتمع المريض!


برهان غليون

● لم يعد هناك «وطنيون» الجميع تحولوا إلى «مستهلكين» وحسب!

● لا أحد في المجتمع الراهن المكسور بحاجة إلى أحد، الكل يبحث عن العزلة والانكفاء والأمان.

بحاجة إلى شباب، لا أحد في المجتمع الراهن المكسور بحاجة إلى أحد، الكل يبحث عن العزلة والانكفاء والأمان.

*** التنافس المشارقي المغاربي الثقافي!**

اختراع ثقافة وصحافة مريضة بهدف الإثارة والإيحاء بالحوار الكاذب.

*** قيم الثقافة العربية تحد من الإبداع!**

وقيم ثقافة الاستلاب والاحتقار للنفس وللثقافة المحلية تحد أكثر بكثير.

*** فصل السياسة عن الثقافة!**

حقيقة قائمة، ممنوع على السياسي أن يكون ذا ثقافة، وممنوع على المثقف أن يشارك في السياسة، وهذه إحدى خصائص المجتمع المريض والمقسم والمفتت القائم على القهر الداخلي والخارجي وانعدام الحوار.

*** الثقافة حين تكون مصدراً للعيش!**

أفضل من أن تكون سلاحاً للقتل.

*** الأعمدة الصحفية في الصحافة العربية!**

يتوقف الأمر على نوعية الصحافة وعلى الكتاب، التعميم غير مفيد والصحافة العربية ليست كلها سيئة.

*** الإنترنت يسحب البساط من تحت أقدام الرقيب!**

لكنه لا يسحب الرقيب من ذهن كل فرد وقلبه، الرقيب الداخلي أصبح أقوى من الرقيب الخارجي، إلا في ميدان الأخلاق واحترام الآخر!!

*** إلغاء وزارات الإعلام العربية!**

مسألة شكلية، المهم سياسات الإعلام الفعلية، وقبل ذلك مضمون الإعلام ومسائل إدخال الجمهور الواسع في الحياة العمومية التي يهتم بها الإعلام. وليس لدينا اليوم لا إعلام ولا وزارات إعلام ولكن رقابة على الضمير والسلوك.

*** المجتمعات الغربية على وشك الانهيار!!**

لماذا؟ لأن نظمها الاجتماعية نجحت في أن ترفع دخل الفرد فيها إلى ثلاثين ضعف دخل الفرد في العالم النامي، وتقدم له نظاماً من المؤسسات يمكّنه من تعديل سياساته بطرائق سلمية، ولم تبخل في دعم الاستثمار في الإنسان وتوسيع دائرة الخدمات الصحية والتربوية والاجتماعية والتعويضات عن البطالة، ولأنها أزالت الفقر؟ ولصالح أي نوع من الأنظمة الاجتماعية المنافسة: الديكتاتورية؟!

*** العرب «ظاهرة صوتية»!**

كلام قديم، لم يعد للعرب صوت على الإطلاق، إنها ظاهرة صمتية، لم يعد لديهم ما يقولون لأنفسهم ولغيرهم، ولا رغبة في القول ولا لذة في المشاركة في الحوار. العرب منكفئون ومنسحبون من العالم والتاريخ.

*** مقولة «المركز والأطراف في الثقافة العربية»!**

أُلهيات مثقفين وصحفيين صغار.

*** الوطنية بين المزايدات «والمناقصات»!**

هناك مزايدات ومناقصات، وهي تقل يوماً بعد يوم، لكن لم يعد هناك وطنية للأسف. جميع الناس تحولوا إلى مستهلكين فحسب. ■

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.

المعرفة

الفـــرق

سنتان فقط.. لم تكتملا بعد.. والثمرة طفلة كضحكة الورد.. أو بسمة الفجر..

البرود.. الصقيع.. يكسو المكان.. الجدران والأرائك تلوذ بالصمت.. صمت مريب يلف المكان.. وبطء عجيب يتلبس الزمان.. وهي.. وهو.. شتاء.. أو خريف.. هي لم تخطئ.. هكذا تظن.. ولربما كانت هذه الحقيقة.. هو يظن أنه لم يخطئ.. هكذا يظن.. ولربما كانت هذه الحقيقة.

وكلاهما ينتظر من الآخر أن يكسر الطوق.. والأيام تبتلع نفسها..

هي تظن أن الحب والمودة بين أي زوجين يجب أن يظهرا جلياً في الأفعال لا الأقوال.. فكيف بها وهي تعاني انعدام القول والفعل وردة الفعل.

هو يظن أن العقاب يجب أن يكون كبيراً.. بكبر المخطئ.. حتى وإن كان الخطأ.. أشبه بلا شيء..

وبينها وبينه.. تقف مسافات.. الرحيل عبرها.. معاناة.. واجتيازها أمر يشبه الأسطورة..

هكذا ظن.. وظنت.. فحملت حقائبها.. طاوية صفحة - أرادتها مضيئة.. بل الأضوأ في حياتها - لكنها لم تكن كذلك.. لا لها.. ولا له، وفي الجانب الآخر.. كانت كهي.. وكان هو.. لكنهما لم يستعجلا حزم الحقائب.. بل انتظرا الأيام.. لترطب أوراق علاقتهما الجافة، وتمهد عقبات الطريق.. بينما كانا يعملان في صمت، ليذوب الجليد.. كان الوصول إلى القمة، وعراً للغاية.. وصعباً.. لكن الوصول إلى درجة التعايش ليست بتلك الصعوبة.. ولكي تستمر الحياة.. أياً كان نوع تلك الحياة.. يجب أن يكون هناك مزيد من الصبر والتريث.. كما أنه - ولكي تستمر الحياة - يجب ألا يتحلى أحد الطرفين بصفات ملائكية، فالعيوب التي نراها فاضحة في البدايات.. تقل حدتها كلما تقدم وقت التعايش وزاد زمن العشرة.

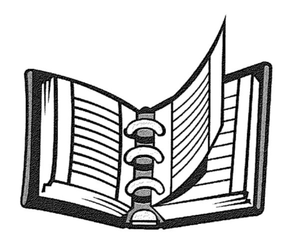
القـــرار

قالت: لست أدري ما هو السر ياصغيرتي، لكن الذي أذكره وأنا - تحديداً - في سنك.. أنني كنت أحب المدرسة حباً لا يعادله شيء آخر.. لم يكن لدي مرابيل بنفس عدد مرابيلك الآن، ولا حقائب كتلك التي تمتلكينها الآن.. ولا أحذية أو أقلام كهذه التي معك.. ومع ذلك فقد كنت أنام ملء عيني، وقبل أن يتفتق الليل عن صباحه أكون قد ارتديت مريولي العتيق وتقلدت حقيبتي البالية والفرحة تغمرني وتكاد تطير بي..

في هذه الأثناء كانت الصغيرة تهز رأسها استهزاء من هذا الذي تسمع.. ولكن مازالت عيناها تسبحان في بركة من الدموع..

واصلت حديثها وهي تمسح على رأسها وتحدق في وجه الذكريات البعيد.

كنت أذهب قبل أن يحين موعد الذهاب، وأجلس عند باب المدرسة قبل أن يأتي أحد لفتحه، وكثيراً ما كانت المستخدمة توبخني أنا.. وبقية



فاطمة السهيمي
عسير

الزميلات اللاتي كن يلحقن بي ونتحلق حول الباب منذ الصباح الباكر..

كل يوم أتذكر هذا المشهد وأنت تتكورين في فراشك رافضة الذهاب إلى المدرسة فيما يكون الفاصل بين هذا المشهد وبين طابور الصباح دقائق فقط..

بنيتي.. إنني أعلم يقيناً أن كل شيء يتم تحت سلاح التهديد والتسيير والإجبار والقوة.. لا يتم..!

ولكني كذلك أعلم يقيناً أنه ليس هناك حل آخر.. وأعلم كذلك أنك ستقفين غداً في وجهي لتأنيبي على إهمالي في تعليمك حين ترين زميلاتك قد وصلن إلى مراحل متقدمة في الدراسة أو تبوأن مراتب مرموقة..

صغيرتي.. لو كان الأمر يتعلق بك فقط لهان الأمر .. لكن الأمر يعني جيلك بأكمله، ولذا ليس بيدي أن أتخذ لك مساراً يختلف عن مسار جيلك..

إن القرار الذي تدفعينني لاتخاذه دفعاً.. ليس بيدي.. إنه ليس بالسهولة التي يتخيلها عقلك الصغير..

وليست لدي الشجاعة الكافية لأتخذ هذا القرار.. فأشذ به، وأعزو - أو أندب - به خارج السرب الكبير.. الكبير جداً.. زاد بكاء الصغيرة فيما كانت الأم تختم محاضرتها الطويلة بقولها: والآن يا صغيرتي ينبغي عليك النهوض من وضعك هذا المحزن.. فلديك واجبات عديدة، ومذاكرة طويلة يجب البدء فيها مبكراً قبل أن يداهمنا الوقت..!!

حرب:

الأم: عندما اضطرمت الحرب، أعلن في المذياع عن تأجيل طويل للمدارس، في الحرب تتأجل أشياء كثيرة، بينما تأتي الأشياء المؤلمة مبكراً.

رفعت الصغيرة رأسها من بين أرتال الكتب وسألت بلهفة:

- حقاً يا أمي.. ومتى «ستهل الحرب» مرة أخرى؟!

سجن:

خرج لتوه من المدرسة، خرج لتوه من السجن..

- مبروك.

- بارك الله فيك.. لقد تعلمت درساً.. ولن أعود للقضبان مرة أخرى.

- أما أنا.. فلم أتعلم درساً.. وسأعود لقضبان المدرسة غداً..!!

أمل:

عندما غادرت قاعة الصف الأول بانتهاء حصتها ودخلت معلمة أخرى.. ألقت عليهن نظرة حانية ثم قالت لزميلتها: أرجوك.. اعتني بخيوط الإشراق..! ■

حياة كل واحد منا، جملة من النجاحات والإخفاقات . .

وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسناً . . وعماذا هو يتحدث إذاً، عن إخفاقاته؟ ربما!

الفشل ليس عيباً، فهو وقود الانتصارات . .

«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.

ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.

ش: شهادة.

ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك! ، وضيف هذا العدد هو : **الأديب والشاعر د. عبدالعزيز المقالح - رئيس جامعة صنعاء سابقاً ومستشار الرئيس اليمني حالياً.**

المعرفة

عبدالعزيز المقالح:

راتبي يستلمه السائق ويسلم

في المجال المهني:

- فشلت في أن أكون فناناً تشكيلياً، فقد كنت منذ الطفولة الباكرة أهوى الرسم وأعشق الألوان، ولم يبق باب منزل في الحارة التي كنا نسكنها في المدينة إلا وقد عبثت به محاولاتي الأولى المرسومة بالطباشير والفحم، ولا أتذكر أنني أمسكت ورقة إلا ورسمت عليها شخصاً أو شيئاً ما، وأزعم أنني كنت قد نجحت إلى حد كبير في رسوم البيوت والطيور والحيوانات، وإلى حد ما نجحت في رسم ملامح الأشخاص.

ولوكانت الظروف في بلادنا - في أثناء طفولتي وبداية شبابي - مستقيمة وفيها كلية للفنون الجميلة لكنت واحداً من طلابها وربما أصبحت فناناً تشكيلياً معروفاً.

- فشلت في أن أكون طبيباً، فقد تم اختياري - في منتصف الخمسينيات - ضمن عشرة طلاب متفوقين لنكون أطباء، وبدأت تدريباتنا العملية والنظرية في المستشفى الوحيد في المدينة لمدة عامين ليتم ابتعاثنا إلى إيطاليا لدراسة الطب، لكن ذلك لم يتحقق فذهبت إلى التدريس وذهب زملائي الآخرون إلى مجالات أخرى، ولم يبق من مجموعتنا الطبية سوى زميل واحد واصل مهنة الطب، أو اقترب منها، وبالمناسبة فقد صار واحد من أولئك الزملاء وزيراً، حيث وصل إلى الوزارة في السنوات الخمس الأخيرة من القرن العشرين.

- الفشل الثالث يرتبط بسابقه فقد فشلت في مواصلة دراسة اللغة الإيطالية، أو بالأصح انصرفت عن مواصلتها بعد أن توقفت فكرة الابتعاث لدراسة الطب في روما، وبذلك حرمت من استيعاب لغة «دانتي» و«دافنشي» و«ميكائيل أنجلو» وحرمت أيضاً من مهنة الترجمة من الإيطالية وإليها.

- والفشل الرابع والأخير في هذا المجال يتعلق باللغة أيضاً، فقد فشلت في مواصلة دراسة اللغة الفارسية بعد أن امتلكت مفاتيح



ـــه إلى أم الأولاد!

- فشلت في الانتماء إلى حزب، كما فشلت في الانتماء إلى شلة.
- ظروف بلادي حرمتني من أن أكون فناناً تشكيلياً.
- هجرت الطب إلى التدريس.
- فشلت في إيجاد علاقة مع المال.
- لم أكره شيئاً كالرياضيات.
- أدركني اليأس من بعض الناشرين.

الدخول إليها خلال عامين جامعيين وشعرت أنني أقترب من فهم نماذج رائعة في الأدب الفارسي وفي مقدمتها «رباعيات الخيام» التي أخذت بمشاعر العامة والخاصة في أنحاء العالم، لكنني بعد تخرجي في الجامعة وبعد أن جمعت كماً لا بأس به من مراجع هذه اللغة وآدابها انصرفت إلى الدراسات العليا على أمل أن أعود إلى تلك اللغة في وقت قريب، لكن ذلك الوقت لم يحن حتى الآن، وبذلك فشلت في تحقيق حلم امتلاك لغة أخرى أحببتها وتمنيت أن يكون لي معها صولات وجولات.


عبدالعزيز المقالح

- **فشلت في تعلم الإيطالية والفارسية.**
- **فشلت في أن أجعل أولادي أدباء بسبب أمهم!**
- **ثلاثة أرباع بيتي كتب ومجلات.**

في المجال المالي:

– فشلت تماماً في إيجاد علاقة من أي نوع بيني وبين المال، حدث ذلك منذ الطفولة فقد كان أخي الأصغر هو الذي يشتري حاجات البيت ويستفيد مما يتبقى من المصروف الضئيل ويحتفظ به لنفسه ويتباهى أمامي بما يستطيع أن يشتريه من حلوى وألعاب ولكي يغريني بالقيام بالمهمة بدلاً عنه، إلا أنني كنت منصرفاً إلى قراءة الكتب والرحيل في عوالم الكلمات بعيداً عن البيع والشراء وعن الأرقام في مختلف المجالات. ولم أكره شيئاً كما كرهت الرياضيات، لا لتعقيدها فقد كانت قواعدها سهلة بالنسبة إليَّ، ولكن لمبالغتها في الأرقام وتصاعد المكنات العددية إلى ما لا نهاية.

– فشلت في التعامل مع الراتب الشهري منذ كنت مدرساً بمرتب خمسة عشر ريالاً. وحتى الآن لا أدري كيف يتم التصرف في الراتب وأين يذهب، فالسائق يقبضه من الخزينة ويسلمه إلى أم الأولاد وهي التي تتصرف فيه بنظرها، ويعلم كل الزملاء والأهل أنني لا أشغل نفسي بهذه الأمور، وفيهم من يحسدني على هذا الموقف (اللامسؤول) ومنهم من يلومني عليه أشد اللوم.

– فشلت خلال تجربة طويلة عمرها ثلاثون عاماً في دنيا النشر، وأدركني اليأس من بعض الناشرين الذين يقومون بنشر كتبي ودواويني الشعرية سواء في لبنان أو القاهرة أو دمشق أو صنعاء. وكذلك الأمر مع الصحف والمجلات التي تدعوني إلى الكتابة فيها، بعض هؤلاء أوفياء وصادقون يبعثون بحقوقي أولاً بأول - وفقاً للعقود - والغالبية يماطلون. وآخر ما نشرته من كتب نثرية وشعرية خلال السنوات الثلاث الأخيرة لم أتسلم عنها أي مقابل حتى الآن.

في المجال الاجتماعي:

– فشلت اجتماعياً في كثير من المواقف، وإذا كان عصرنا هذا هو عصر الأحزاب والشلل، ومن لا يكون في حزب يدافع عن حسناته وسيئاته فلابد أن تكون له شلة تقوم بتلك المهمة، لكنني أعترف أنني فشلت في الانتماء إلى حزب كما فشلت في الانتماء إلى شلة. وبعض العقلاء يسليني بالقول أن ذلك دليل على أنني شاعر، والشاعر يضيق بالالتزام الاجتماعي والسياسي ولا يقبل أن يوضع في إطار يحدد مواقفه ومنطلقات كلماته، وربما أرضاني هذا التفسير وأسعدني.

– فشلت فشلاً ذريعاً ومحزناً في كل ما بذلته من محاولات جادة ومضنية في تحويل بعض الحساد المعذبين إلى أصدقاء. وكان زميلي وصديقي الأستاذ الجامعي المعروف الدكتور وهب روميه كلما رآني أبذل جهداً في هذا الصدد يردد قول أبي الطيب المتنبي:

سوى وجع الحساد داو فإنه
إذا حل في قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد في مودة
وإن كنت تسديها له وتنيل

– فشلت وبامتياز في أن أجعل أياً من أولادي أديباً أو حتى على صلة جيدة بالأدب، وربما كان ذلك من صنع والدتهم ومن كثرة نصائحها لهم نتيجة ما تراه من معاناتي اليومية أولاً، ولأنني - ثانياً - أفسدت عليها نظام البيت بما تراكم فيه من كتب ومجلات استحوذت على ثلاثة أرباع البيت المؤلف من طابقين. ■

حياة كل واحد منا، جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسناً . . وعماذا هو يتحدث إذاً، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيباً، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك! ، وضيف هذا العدد هو :
الدكتور عبدالعزيز الخويطر، الأديب المعروف. وزير الدولة عضو مجلس الوزراء .

المعرفة

عبدالعزيز الخويطر:

ف: فخ تنصبه «المعرفة»
ش: شناءة مباحة
ل: لا تطاوع «المعرفة»!

«المعرفة» حاولت أن تستدرج الدكتور عبدالعزيز الخويطر عبر هذا الباب «أنا والفشل» ليبوح ببعض مكنوناته المكتنزة في دواخله المغيبة.. تذاكينا وكان الخويطر أذكى.. فإليكم مرافعته الجميلة

لا بد أن رئيس تحرير «المعرفة»، في ساعة فشل تجاه أمر ما، وجد في استخراج مواقف الفشل عند الآخرين ما يعزيه، وليتنا نعرف منه هذا الموقف الفاشل، الذي تسبب في تدحرج كرة الثلج التي أرسلها، فجمعت من فشل من أقروا فشلهم ما جعلها ثقيلة، ويصعب تحريكها إلا بقوى اصطناعية فولاذية.

أو لعله عثر على بعض أعداد من المجلات المصرية القديمة التي ابتدعت مثل هذه الأسئلة والاعترافات التي تخرج عن مجرى الخطوط المعتادة، لتوجب الالتفات، وتجدد نشاط القراء فيما ابتكرته، ولا يهم ما يأتي منها من حصيلة مادامت قراءتها ترفع الحواجب، وتقتلع عبارات الاستغراب.

أو لعل أمراً غير هذا وذاك، ولكن الثابت أن لهذا الأمر محركاً،


قولوا:

أما أنا فعشت مع عيوب الآخرين وأنا أقول: «اللهم حوالينا ولا علينا»، وسأتعهد هنا أن ما سوف يأتي هنا في أقوالي أنه يدخل فيها «حوالينا»، ولن أشفي صدور قوم متطلعين إلى ما يمسك عليَّ، فأُلقّب «أبا عيب» أو «أبو العيوب».

وعدم استجابتي لنشر عيوبي له أسباب، منها أني أخشى، بناء على ما قلت من قبل، أن يأتي شخص، ذو تفكير عميق، ويقول: إن نشر الشخص لمرات فشله شذوذ في التفكير؛ لأن الإنسان الطبيعي يحرص على رسم صورة له مضيئة، وأكثر ما يفزعه أن يأتي عليها كلف يشوهها. والحمد لله أن الذين استجابوا، وتتالوا يعددون مواقف فشلهم، لم يبدؤوا الأمر، وإنما استجابوا لرغبة غيرهم، أي أنهم جروا إليه جراً، وليس اختياراً. ولباقة الأخ رئيس تحرير «المعرفة» ورقة حديثه أمتن حبل يمكن أن يسحب به لسان ما، وكدت أفشل في مقاومة طلبه، ترى هل فشلت حقاً؟! هنا تأتي الحيرة في حدود الفشل، أين هي من كل عمل لم يوصل فيه إلى ما يعد نجاحاً؟

إن كل حالة، تقريباً، مما قرأت أنه حالة فشل، تحتاج إلى مقال كامل عنها؛ لأن كثيراً منها ظاهره الفشل، ولكنه عند التمعن ليس فشلاً. ثم أليس بإرادة الله أن تجتهد وتسعى ثم تقف دون الهدف لأمر يعلمه الله، ولا شك أنه في صالح المرء وإن غابت عنه الحكمة.

وحتى لا أخيب أمل رئيس تحرير «المعرفة» فسوف أذكر حالة فشل قابلتني، وأذكرها هنا راجياً أن



عبدالعزيز الخويطر

يجعل الله فيما سوف أشرحه أداة نجاح، ولو إلى حد ما، وأنا متأكد أني سوف أجني نجاحاً لأني صاحب نية حسنة في هذا الأمر، «والنية مطية».

فشلت في إعادة جملة : «رحمه الله» وكلمة: «حفظه الله» إلى مكانها من الدعاء، الذي كانت عليه، والذي تعلمناه في المرحلة الابتدائية أنها صيغة دعاء، رغم أنها بفعل الماضي.

وهي مثل: «صلى الله عليه وسلم» و«رضي الله عنه» كما وردت في كتب الحديث. وحنقي على هذا الفشل، أن تجنب وسائل الإعلام لصيغة الماضي هذه وصل إلى درجة أني عندما أرسل مقالاً أقول فيه عن خادم الحرمين الشريفين مثلاً: «حفظه الله» تعدل عند الطبع إلى «يحفظه الله»، ما الذي رجح المضارع، وهو غير المعتاد، على الماضي، وهو المعتاد؟ ولو قيل: «اللهم احفظه» لقبلنا. ومجافاة جملة: «حفظه الله» التي برزت في سبع السنوات الأخيرة فجأة دعتني إلى أن أكتب مقالاً كاملاً في صحيفة الجزيرة بعنوان: «رضي الله عنه ورحمه وغفر له» في ١٤١٨/١١/٢٦هـ. (وليت «المعرفة» تعيد نشره ليلتقط المدرسون الكرة فيوصلوها إلى الهدف، وفيهم الخير إن شاء الله).

وسأقف عند هذا الفشل إلى أن أنجح في القضاء عليه، وبعد ذلك إذا حدث فشل فسوف أدونه في وقته حتى إذا دعيت مستقبلاً إلى مثل هذه الدعوة، غير المتوقعة، يصبح عندي رصيد معه، وذخيرة جاهزة؛ لأني أظن أن من زيادة نجاح الأخ زياد في مجلة «المعرفة» أنه مل من هذا النجاح، وأتخم من تتابعه، فأحب أن «يحمض» بأحاديث الفشل، وقد رأينا من «حَمْضِه» فطاحل من الكتاب المرموقين، وأنا لا أريد أن أكون بينهم، أو معهم، لأن من دخل بينهم يرص ويضغط، وتكسر أضلاعه، وأنا لا أريد أن تكسر أضلاعي، ولي في الحكمة المعروفة عند العامة منجى: «لا تحكك بالزمل وأنت حويشي».

وبعد، رقم (١) أليس من لب الحكمة طلب الستر، ومن أبرز جمل الدعاء «اللهم سترك»، وكشف المغطى فيه احتجاج على وجود الأغطية؟!

وبعد، رقم (٢) هل يا ترى فشلت فيما أردت تبيانه كما أردت، أو أن الذي فشل هو الأخ زياد في الوصول معي إلى ما أراد مما لم أرد؟!

وبعد، رقم (٣): المعادلة «ف»، «ش»، «ل» التي وردت في أعلى الصفحة الأولى خير منها المعادلة التالية:

ف: فخ تنصبه المعرفة لتطمس بفرشته ما قد يكون في الأذهان من صورة حسنة.

ش: شناءة مباحة محللة بالدليل من فم صاحبها.

ل: لا تطاوع «المعرفة» في إيجاد متكأ ينام عليه الباحثون عن الأعذار من الشباب.■

إلياس حرفوش:

الإعلام الغربي لا يغير مواقفه لمجرد زيارة عربية

حول الخطة الإعلامية التي اجتمع من أجلها وزراء الإعلام العرب في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة الشهر الماضي كتب إلياس حرفوش (مجلة «المجلة، العدد: ١١٢٤) أنه يشعر بسعادة لتريث الوزراء في تمويل الخطة الإعلامية المعدة لمواجهة الإعلام الإسرائيلي في الخارج ليس من باب الاعتراض حسب قوله ولكن من باب فهم الأمور أولاً.

يقول: «وزراء الإعلام العرب يعتقدون - مثلاً - أن إرسال وفد للقاء رئيس تحرير صحيفة الـ «نيويورك تايمز» الأمريكية أو «لوموند» الفرنسية أوسواهما يكفي لإقناعه بتغيير مسار الرأي في الجريدة». ويضيف: «والوزراء مقتنعون - أيضاً - بأن تخصيص مبلغ - قيل إنه يوازي مليون دولار - لإنفاقه على حملات إعلانية في الصحف الغربية وعلى برامج وثائقية يتم «صنعها» لمحطات التلفزيون العالمية يكفي لإحداث انقلاب في توجهات الرأي العام العالمي من مناصر للصهيونية إلى حليف للعرب!».

ويؤكد حرفوش في مقال أن ثمة حقائق أساسية في الغرب فاتت على مثل هذه الأفكار التقليدية يعرفها من تعاطى مع إعلام الغرب وفهم طريقة عمله تنذر بفشل الخطة الإعلامية العربية.

يقول: «ففي الغرب تعتبر كل حملة إعلانية في الصحف أو محطات التلفزيون حملة «مشبوهة»، بمعنى أنها حملة موجهة، ينقصها التوازن في الموقف. وبالتالي تفتقر إلى المصداقية. ينطبق هذا الأمر على الإعلام الإسرائيلي كما ينطبق على الإعلام العربي، فإسرائيل لا توزع إعلانات ولا «تصنع» برامج تلفزيونية إذ لديها متحالفون مع مواقفها من كتاب الأعمدة والمقالات من يهود وغيرهم وهؤلاء متميزون بمكانتهم الصحفية، شئنا أم أبينا وليس بكونهم أبواقاً لوزارة الإعلام الإسرائيلية غير الموجودة أساساً».

ويتساءل حرفوش كيف أن إسرائيل حققت نصرها الإعلامي الذي نريد مواجهته دون أن تكون لديها وزارة إعلام بينما نحن متخلفون في

دراسة أمريكية:

التعليم الديني يصنع الإرهاب!

حول هذه الفكرة «البريئة» قامت مجموعة من مراكز البحوث التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية مؤخراً بإعداد دراسة حول المعاهد الدينية وتأثيراتها على الأوضاع في المنطقة العربية تم رفعها إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي.

وتشير الدراسة الأمريكية إلى أن ثمة علاقة بين ظاهرة الإرهاب ووجود المعاهد الدينية في عدد من الدول العربية مثل اليمن والجزائر والسودان ومصر كونها - بحسب الدراسة - تؤكد أعمال الجهاد والاستشهاد.

وتبين الدراسة أن التعليم الديني مسؤول عن إبعاد الأجيال الجديدة عن تطورات العصر والانغلاق داخل الأفكار التقليدية.

وترى الدراسة إلغاء المعاهد الدينية وتدريس الدين في كلية متخصصة ضمن الجامعة، أما طلاب المدارس فيكتفى بتدريسهم مادة أو اثنتين لا يشترط النجاح فيهما نهاية العام مع تعبئة المادة برسائل التعايش والسلام بين الأديان والبشر على الأرض وإلغاء مفهوم الجهاد، وغير ذلك من الطلبات التي تهدف إلى حصر نطاق الدين ومفهومات «العزة الإسلامية»!

الكاتب الأردني ياسر الزعاترة الذي علق على هذه الدراسة في مقال كتبه بجريدة «الحياة»، العدد (١٤٠١١) ، يؤكد جهل القائمين على هذه الدراسة

الكليات الأهلية:

الحل عن طريق «شرب الهواء»!

كيف تضع حلاً وتضع معه في الوقت نفسه مشكلة؟!، فبدلاً من أن نفرح بالحل، نحزن كثيراً «لمشكلة الحل».

هذا الأمر يتجسد بحذافيره في الكليات الأهلية التي تصر على أن أهم «أهدافها» تضخم الناحية الاستثمارية التي أضحت غاية أهم من «التربية للجميع» و«التعليم المستمر» وحل معضلة محدودية فرص التعليم الحالي.



عبده خال

هذه الفكرة تناولها الكاتب عبده خال في زاويته «حقول» بجريدة عكاظ، العدد (١٢٧٨٢) بصورة واضحة تبين مقدار الخلل الذي لصق بالكليات الأهلية منذ أول يوم وجدت فيه، يقول: «لا أعرف تحديداً كيف قامت حسبة المستثمرين في التعليم الأهلي بإقرار سقف رسوم مرتفعة.

هل وضعوا الرسم وفق دراسة لمتوسط الدخل أم وضعوه لفئات اجتماعية ذات دخول مرتفعة أم وضعوه للحد من قبول الطلاب - أيضاً - متبعين خطى الجامعات الحكومية ومتضامنين معها في أن زيادة نسبة القبول ستكون عالة على الوزارات بعد التخرج؟».

ويحسب عبده خال في مقاله حسبة منطقية لرسم القبول المرتفع ليؤكد مقدار المبالغة الذي يحملها ذلك «الرسم» الكبير وأثره في دخل الأسرة، مبيناً أن رسم القبول في بعض الكليات ٣٠,٠٠٠ ريال.

يقول: «لو افترضنا أن رجلاً من هذه البلاد لديه ابنان يرغب في أن يواصلا تعليمهما من خلال الدخول في هذه الكلية الأهلية، هذا يعني أن عليه دفع خمسة آلاف ريال شهرياً، وإذا علمنا أن متوسط الدخول - خمسة آلاف تقريباً - يصبح تعليم الاثنين اجتزاء للدخل كاملاً ولتشرب العائلة الهواء».

ما فائدة الكليات الأهلية مادام أنها ستحل مشكلة تعليم اثنين من الأبناء، ولكنها ستضطر العائلة إلى «شرب الهواء»؟! ■

بطبيعة الإسلام، أو أنهم يهدفون إلى أمر آخر هو تشويه صورة الجهاد الحقيقي.

ويرى أن التركيز على مسألة التعايش والجهاد لها صلة واضحة بالصراع مع الصهاينة المحتلين في فلسطين.

وينفي الزعاترة علاقة التعليم الديني بابتعاد الأجيال عن الأخذ بالعلوم الحديثة، ذلك أن دعوة العلماء المسلمين إلى الإفادة من العلوم الحديثة لا ينكرها أحد، ويبقى للتخصص حاجاته.

ويخلص الزعاترة من قراءته لهذه الدراسة إلى أنها تصب في خدمة اليهود ومشروعهم في المنطقة «فلن يتمتعوا يوماً بالسلام أو بالتعايش مادام هذا الدين راسخاً في القلوب، فهم يعملون من أجل تجفيف ينابيعه لتغدو المجتمعات الإسلامية أكثر قابلية للتعامل معهم وقبولهم كأصدقاء وشركاء». ■

الدوسري.. فقدناه مرتين



جاء خبر وفاة الزميل التربوي الصحفي محمد يوسف الدوسري الشهر الماضي مؤثراً لطاقم التحرير بمجلة «المعرفة» بوصفه أحد منسوبيها من خلال عمله مندوباً للمجلة في السنة الأولى من إعادة إصدارها.

لقد فقدناه مرتين، الأولى عندما اعتذر عن مواصلة العمل بها لانشغاله، والثانية يوم رحل عن دنيانا.

الفقيد الذي توفي عن عمر يناهز الخمسين عاماً مارس العمل الصحفي قرابة ٢٥ عاماً، شغل خلالها عدداً من المناصب، حيث ترأس تحرير مجلة «الشرق» وعمل بصحيفتي «الجزيرة واليوم»، ويعد الدوسري أحد القياديين التربويين بإدارة تعليم المنطقة الشرقية. رحمه الله رحمة واسعة. ■

قمامة تجارية في الفضاء العربي!

«بلغ عدد الهيئات العربية التي تبث قنوات فضائية أو تعيد البث على شبكاتها (٣٣) هيئة عربية، منها (١٨) هيئة حكومية و(١٥) هيئة خاصة، كما بلغ عدد القنوات التلفزيونية العربية المنوعة (٦٦) قناة، ومتخصصة (٥٨) قناة، ومشفرة (٥٢) قناة».

ويشير الدكتور عبدالله الجاسر - وكيل وزارة الإعلام - إلى أن البث التلفزيوني العربي يغطي حالياً المنطقة العربية بأكملها وجزءاً واسعاً من آسيا وأوروبا وأستراليا وإفريقيا والأمريكتين، مبيناً أن هذا البث يستخدم أحدث ما توصلت إليه تقنية «الديجتال» التي تعطي نقاء وصفاء عاليين في الصوت والصورة.

ويرى الجاسر في مقال كتبه في جريدة «الوطن» السعودية بعنوان «التلفزيون والثقافة» أن هذا التوسع الكبير وهذه التقنية العالية في القنوات العربية ليسا أهم من مستوى جودة المادة العربية المبثوثة للعالم ومضمونها.

ويقول معبراً عن أزمة المادة التلفزيونية المسطحة التي يسببها الإعلان الذي بات مسيطراً على معظم فترات البث: «وعلى الرغم من أن الإعلان عنصر مهم في تمويل كثير من البرامج التلفزيونية، لكن ذلك لا يعني الابتعاد الحاد في بعض الأحيان عن طرح قضايا الثقافة الجادة والتوعية والتعليم الجادين ودون التركيز على ملء الفراغ الفضائي ببرامج ليس لها طعم ولا رائحة ولا هوية».


عبدالله الجاسر

ويطالب الجاسر بالتوازن بين المادة الإعلانية والمادة الثقافية من أجل أن يكسب التلفزيون أكبر عدد من المشاهدين لكي يبتعد عما أسماه المفكر الفرنسي «بيفو» بالقمامة الإعلامية التجارية التلفزيونية.

القنوات العربية بدأت تلقى نقداً مستمراً من عدد من الجهات الحكومية والأهلية التي تدعو إلى مواد أكثر جدية تبني العقل العربي ولا تهدمه، ومقال عبدالله الجاسر واحد من هذه المقالات التي تطالب بإعادة صياغة للبرامج المبثوثة، وفي ذلك أمل في انفراج أزمة البرامج الفضائية العربية التي ينتظر منها الكثير. ■

رئيس تحرير «كتاب في جريدة»:

عدد القراء في بلجيكا يفوق القراء العرب!

«في بلجيكا البلد الأوربي الصغير يتجاوز عدد القراء فيه كل قراء الدول العربية».

قال ذلك بحرقة الشاعر العراقي شوقي عبدالأمير في اللقاء الذي أجرته معه مجلة «الأهرام العربي» عدد ٢٢٧.

وأشار الكاتب الذي يرأس تحرير «كتاب في جريدة» الذي يصدر في العواصم العربية عبر أبرز صحفها المحلية إلى الطريقة التقليدية التي نعلم بها أطفالنا الصغار القراءة. يقول: «نحن نعلم الطفل القراءة والكتابة ولكن نعاقبه إذا أخطأ أو تقاعس، وإن أسلوبنا هذا أسلوب بدائي جداً فبدلاً من أن نقرب الطفل من القراءة ترانا نبعده عنها، فنحن لا نملك - فعلاً - ديمقراطية تربوية تدفعنا نحو قراءات متنوعة ومعمقة».

ويستخف الكاتب بالفضائيات، موضحاً أننا نتعاطى يومياً عبر وسائل الإعلام برامج لا شأن لها بالتثقيف وتشجيع الناس على القراءة فيقول: «وسائل الإعلام تهتم بالإعلان عن بيع الصابون والعطورات والملابس والأحذية والأغاني والبرامج التمثيلية».

ويصف الجانب الثقافي فيها «بالمظلم»، وأكد أن العرف الثقافي يستوجب أن يكون للكاتب والمبدع في العالم العربي مكانة مرموقة، مبيناً أهمية أن تؤمّن له الدولة وجهات الرعاية تلك المكانة وأن تمنحه اعتباره ودوره الثقافي. ■

حــروف بــارزة.. حــروف بــارزة.. حــروف بــارزة..

خالص جلبي

• «كما يموت البشر ويتحولون إلى جثث لا تملك ضراً ولا نفعاً **كذلك مصير الأفكار**، وإذا كنا نتعامل مع جثث أحب الناس إلينا بإيداعها في المقبرة والترحم عليها قبل أن تفوح رائحتها، **كذلك الأفكار يحول عليها ما يحول على الجثث** فيجب أن تدفن بخشوع في مقبرة خاصة بها».

خالص جلبي

•• المشكلة في عدم وجود الطبيب الذي يؤكد بالدليل القاطع أنها ماتت


خالد السليمان

• «أنعمت مجلة (نيوزويك) الأمريكية في تقرير لها على نوال سعداوي بلقب **المناضلة**، ووصفت ما تتعرض له حالياً بأنه جزء من حرب تشهدها الساحة المصرية على المثقفين والمفكرين يقودها المسلمون المتشددون، ولأن التحرر الفكري والاجتماعي والديني هي من أهم الصفات الواجب توفرها في أي إنسان يريد أن ينضوي تحت تعريف الثقافة والحضارة الإنسانية بالمفهوم الغربي الذي يظن أهله أنه المفهوم (النموذج) الوحيد الواجب تطبيقه كمعيار للثقافة والحضارة الإنسانية في هذا العصر - فإن أي دفاع عن أي قيم دينية أو اجتماعية موروثة لا تتوافق مع معايير الثقافة الغربية حتى ولو كان كردة فعل وليس كمبادرة لمهاجمة الغير يصنف على الفور عند الغربيين **على أنه شكل من أشكال الحرب الفكرية الرجعية غير المشروعة**، ولكن في المقابل فإن أي هجوم يشنه الغير على القيم والأفكار التي تشكل عصب الحضارة الفكرية الإسلامية الموروثة للشعوب الإسلامية يصنف على أنه **شكل من أشكال البحث الحضاري للشعوب والديانات تحت مظلة ممارسة حرية الفكر**».

خالد السليمان - كاتب سعودي

•• مناضلة.. منازلة!


بول فندلي

• «كنا ننشد **ترتيلة تنقل نظرة مشوهة عن الإسلام**، مازال يقبلها كنظرة تتسم بالدقة الكثير من المسيحيين، وربما غالبيتهم. فكلماتها، التي تصور الفرسان الصليبيين أبطالاً، لا تلمّح إلى إقدامهم في الواقع على ذبح آلاف المسلمين الأبرياء واستمتاعهم بارتكاب المجزرة. لقد تجاهل الصليبيون، الذين سموا أنفسهم مسيحيين، التزام دينهم التسامح والرحمة والعدل. وسلكوا بدلاً من ذلك **سلوك المتوحشين**».

بول فندلي في كتابه الجديد عن تعرفه إلى الإسلام

•• «من يجرؤ على مثل هذا الكلام» إلا بول فندلي؟!



● «أول شيء أعمله في الصباح الدخول على شبكة الإنترنت، ولدينا نظام داخلي في CNN يسمح بتصفح **كل الأخبار من جميع وكالات الأنباء بشكل فوري**. أنا، مثلاً أرى كل ما كتب عن مصر، وعندما أذهب للمكتب أقرأ الصحف المصرية ثم أختار قصة اليوم، وأراعي أن تكون ساخنة وتحظى باهتمام كبير. وإذا كان الأمر هادئاً أبحث عن قضايا جانبية في المجتمع والثقافة والاقتصاد بعيداً عن السياسة التي تتصدر غالباً قمة الأولويات. وأود أن أشير إلى أنه ليس هناك من يملي على مراسل CNN قراراً بتغطية هذا الحدث أو ذاك، **فلدينا حرية كبيرة في اختيار الموضوعات التي نعالجها**».

بن ويدمان، مدير مكتب CNN في القاهرة

●● صحفيون آخرون لديهم حرية كبيرة في اختيار الموضوعات التي «لا يعالجونها».



حسين كامل

● «**ظاهرة الدروس الخصوصية أصبحت ظاهرة مقلقة جداً** وأنا أمثلها «بالإيدز». الدروس الخصوصية مرض يدمر المؤسسة من الداخل ويدمر السلام الاجتماعي من الخارج، لأنه يحرم الغالبية غير القادرة من الفرصة الوحيدة من التعليم. وظهور الدروس الخصوصية بدأ في النصف الثاني من القرن العشرين عندما انخفض الإنفاق على التعليم بسبب الحروب وتدهور مستوى التعليم وكثافة الفصول وتدني الأجور، وكان بالتالي أن **فقد المجتمع الثقة في التعليم الرسمي داخل المدرسة**. ولكن بعد أن اجتهدنا في تطوير التعليم وإدخال التكنولوجيا الحديثة وتزويد المعامل بأجهزة حديثة وجدنا أن الدروس الخصوصية **أصبحت عادة** لا تستغني عنها الأجيال».

حسين كامل بهاء الدين -
وزير التعليم المصري

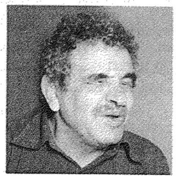
●● «أصبحت عادة».. أن نبرر إخفاقاتنا

● «حتى مدرسو المادة نفسها لا يبدون حماساً على الإطلاق في القراءة والبحث التاريخي لمثل هذا النوع من الموضوعات، وإذا كانت **الدولة الكنعانية** على سبيل المثال غير مهمة للوزير أو لمدير التعليم أو للموجه التربوي أو للمعلم نفسه، **فلماذا تكون مهمة للطالب البسيط؟**».

علي سعد الموسى - كاتب سعودي - صحيفة الوطن

●● مهمة: لأنها أسهمت في «نجاح» قيام الدولة «الخنفشارية» التي سيطرت لاحقاً على تجارة «اللبان» عبر مضائق جنوب شرق آسيا و«سقطت» أخيراً في «اختبار» تطوير «المنجنيق» في حربها مع الدولة «الحشوية!»

صنعاء


البردوني

مــــاذا أحـــدّث عن صنعـــــاء يا أبـتي
مليـحـــة عـــاشـقـــاها: السل والجـــرب
مـــــاتـت بـصـنـدوق «وضــــــاح» بـلا ثـمـن
ولم يمت في حــشــاها العــشـق والطـرب
كــانت تراقب صــبـح البــعث.. فـانبـعــثـت
في الحلم.. ثم ارتمت تغـــفـــو وترتقب
لكنهـــا رغم بخل الغـــيـث مـــا برحت
حــبلى وفي بطنهـــا «قــحطان» أو «كــرب»
وفي أسى مـــقلتـــيــهـــا يغـــتلي «يمن»
ثـان كــحلم الصـــبـــا.. ينأى ويقـــتــرب

* * *

«حــبـيـبُ» تـســأل عن حــالي وكــيف أنا؟
شُــبَّــابة في شــفـــاه الريح تنتـــحب
كـــانت بلادك (رحـــلا) ظهــر (ناجــيـــة)
أمـــــا بلادي فـــلا ظـهـــر ولا غـــــبب
أرْعَـــــيـت كل جــــديبٍ لحم راحلة
كـــانت رعـــتـــه ومــاء الروض ينسكب
ورحت من ســـفــــر مــضـن إلى ســـفــــر
أضنى.. لأن طـريق الراحـــــة التــــعب
لكن أنا راحل في غـــيـــر مــا ســـفــــر
رحلي دمي.. وطريقي الجـــمـــر والحطب
إذا امـــــتطيت ركـــابـاً للنوى فـــأنا
في داخلي .. أمـــتطي ناري وأغـــتـــرب
قــبـري ومــأسـاة مــيـلادي على كــتــفي
وحـــوليَ العـــدم المنفـــوخ والصـــخب
١٩٧١م

● شاعر اليمن الكبير.
١٩٢٨-١٩٩٩م